مجموعة
رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

هدية

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع القانونى

١٩٩٨/٤٦٩٦

شركة الأمل للتجهيزات الفنية
عامر شماخ وشركاه
ت: ٥٧٦١٩٦٢

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

[الأحزاب: ٢٣]

نبذة عن حياة
الإمام حسن البنا

ولد الشهيد حسن بن أحمد بن عبدالرحمن البنا - رحمه الله تعالى - بمدينة المحمودية (قرب الإسكندرية) سنة ١٩٠٦م، وتخرج في مدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم متنقلاً بين مدينة وأخرى، داعيًا أمته إلى العمل بالقرآن الكريم والاستمساك بسنة النبى العظيم . فاهتدى على يديه الألوف من طلبة الجامعات والعمال والمزارعين وسواهم من طبقات الشعب.

ثم استقر فترة من الزمن فى مدينة الإسماعيلية، أسس فيها أول دار (للإخوان) مع صفوة من إخوانه .

ثم بادر بإعلان الدعوة بالمحاضرات والنشرات، وانفرد بعد ذلك بزيارة المدن والقرى . ولم يلبث أن أصبح له فى كل بلد (دار للدعوة) ولم تقتصر دعوته على الرجال فأنشأ فى الإسماعيلية (معهد أمهات المؤمنين) لتربية البنات تربية إسلامية.

وبعد فترة نُقِلَ إلى «القاهرة» فانتقل معه المركز العام ومقر القيادة. وبزغت دعوته فيها بزوغ الشمس، وعظم أمر الإخوان وناهز عددهم نصف مليون .

وخشى رجال السياسة وأذناب الإنجليز الإمام الشهيد فحاولوا إبعاده عن السياسة، ولكن كل ذلك لم يثنه عن عزمه فقام يُعَرّف الإسلام بأنه: عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق وثقافة وقانون .

ثم أنشأ بالقاهرة (جريدة الإخوان المسلمين) اليومية، فكانت منبره بالكتابة إلى جانب منابره الخطابية .

وحدثت كارثة فلسطين فكانت (كتيبة الإخوان) فيها من أنشط الكتائب المتطوعة ووصلت إلى أبواب تل أبيب وكادت أن تدخلها لولا خيانة حكام ذلك الزمن وتوقيعهم الهدنة واعتقال الملك فاروق قادتهم والبارزين منهم، ولم يكتف الاستعمار بهذا بل حرك أذنابه لاغتيال البنا.

وأمام مركز جمعية (الشبان المسلمين) فى القاهرة أطلقوا عليه رصاصهم الغادر وولوا هاربين.

ولم يجد البنا من يضمد جراحه، لقد تركوه فى أرض المستشفى بعد نقله إليها ينزف دمه وهم ينظرون إليه. دون أن تدمع لهم عين أو يرق لهم قلب ومنعوا عنه إخوانه فتوفى بعد ساعتين فى سنة ١٩٤٩ م.

وقد ترك الشهيد - رحمه الله - مؤلفات فى غاية الروعة، منها مذكرات الدعوة والداعية ومجموعة الرسائل - وقد جمعناها كلها بين دفتى هذا الكتاب.

* * *

بعض ما قيل عن الإمام الشهيد

○ الشخصية التى فاجات مصر والعالم الإسلامى

«. . . فاجأت تلك الشخصية مصر، ثم العالم العربى والإسلامى بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة، التى جمع الله فيها مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة فى عين كثير من علماء النفس والأخلاق، المؤرخين والناقدين، هى: العقل الهائل النير، والفهم المشرق الواسع، والعاطفة القوية الجياشة، والقلب المبارك الفياض، والروح المشبوبة النضرة، واللسان الذرب البليغ والزهد والقناعة - دون عنت - فى الحياة الفردية، والحرص وبعد الهمة - دونما كلل - فى سبيل نشر الدعوة والمبدأ، والنفس الولوعة الطموح والهمة السامقة الوثابة، والنظر النافذ البعيد، والإباء والغيرة على الدعوة، والتواضع فى كل مايخص النفس، تواضعًا يكاد يجمع على الشهادة به عارفوه، حتى لكأنه - كما حدثنا كثير منهم - مثل رفيف الضياء: لاثقل ولاظل ولا غشاوة .

وقد تجلت عبقرية الداعى - مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها - فى ناحيتين خاصتين، لا يشاركه فيهما إلا القليل النادر من الدعاة والمربين، والزعماء المصلحين : أولاهما شغفه بدعوته، وإيمانه واقتناعه بها، وتفانيه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله؛ وذلك هو الشرط الأساسى والسمة الرئيسية للدعاة والقادة الذين يُجرى الله على أيديهم الخير الكثير. والناحية الثانية تأثيره العميق فى نفوس أصحابه وتلاميذه، ونجاحه المدهش فى التربية والإنتاج، فقد كان منشئ جيل؛ ومربى شعب، وصاحب مدرسة علمية فكرية خلقية .

لقد فاتنى أن أسعد بلقائه فى مصر وفى غير مصر، فلما قُدر لى أن أزور مصر كانت رحمة الله قد استأثرت به؛ ولما يجاوز عمره بعد الثانية والأربعين إثر حادث استشهاده الذى أدمى نفوس ملايين المسلمين، وحُرم العالم الإسلامى هذه الشخصية التاريخية الفريدة، ولاأزال أتحسر على هذه الخسارة التى كُتبت لى. . .»

الأستاذ أبو الحسن الندوى

○ لم ير المسلمون مثل حسن البنا منذ مئات السنين

«إنى أقولها حرة ولابأس بروايتهـا عنى، أقول : إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، فى مجموع الصفـات التى تحلى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف. لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القـائدين، وتدبير المدبرين، وحنكة السـائسين. لا أنكر هذا كله عليـهم من سابقـين ولاحقـين، لكن هذا التـجمـيع لهذه المتـفرقـات من الكمالات قلما ظفر به أحد كالإمام الشهيد رحمه الله.

لقد عـرفه الناس وآمنوا بصدقـه، وكنت واحداً من هؤلاء العـارفين به، والذى أقوله فـيه قولاً جـامعًا: هـو أنه كان لله بكليتـه: بروحه وجسـده، بقالبـه وقلبه، بتصـرفاته وتقـلبه . كان لله فـكان الله له، واجتباه وجعلـه من سادات الشـهداء الأبرار. . .»(١).

الشيخ محمد الحامد

○ الرجل الفذ

« . .لقد قتُل حسن البنا يوم قُتل والعـالم كله أتفه شىء فى ناظريه! ماذا خرقت الرصاصـات الأثيمة من بدن هذا الرجل؟ خـرقت جسداً أضنتـه العبادة الخاشـعة، وبراه طول القيام والسـجود، خرقت جسداً غـبرته الأسفار المتـواصلة فى سبيل الله وغضنت جـبينه الرحلات المتـلاحقة. رحلات طالما أصغى الملايين إليه فيـها وهو يسوق الجماهير بصوته الرهيب إلى الله، ويحشدهم ألوفًا ألوفًا فى ساحة الإسلام.

لقد عاد القـرآن غضًا طريًا على لسانه، وبدت وراثة النبـوة ظاهرة فى شمائله، ووقف هذا الرجل الفذ صخرة عـاتية انحسرت فى سفحهـا أمواج المادية الطاغية، وإلى جانبـه طلائع الجيل الجديـد الذى أفُعم قلبه حـبًا للإسلام، واستمسـاكًا به، وعرفت أوربا أى خطر على بقائهـا فى الشرق إذا بقى هذا الرجل الجليل؛ فأوحت إلى زبانيتـها، فإذا بالإمام شـهيد مدرج فى دمـه الزكى، وإذا بجيله الذى رباه فى المعتقلات. . .».

الشيخ محمد الغزالى

○ المثل الأعلى فى كل شىء

« . . . كان حسن البنا إمامًا بكل ما تسع الإمامة من معنى، كان مثلاً أعلى فى كل شىء: فى علمه، فى إيمانه، فى إخلاصه، فى نشاطه، فى حدة ذكائه، فى دقة ملاحظته، فى قلبه الكبير وروحه الطاهرة.

كان حسن البنا حجة الله فى نفسى، على أن الإسلام يصنع الرجال، ويحقق المثل العليا، ويصوغ النور المصفى من لحم ودم. كان عقلاً هائلاً، وروحًا موصولاً بالسر الأعلى، لا يفتر عن ذكر الله. كان قمة شامخة فيها العلو وفيها الثبات، وفيها قوة الجبل. كان عظيمًا موفقًا لايخطئ الوجهة. كان رائعًا ملأ قلوبنا بحب الله، وأشعل صدورنا بحب الإسلام، وصهرنا فى بوتقة طاهرة لا تشوبها شائبة.

قُتل حسن البنا فى يوم أسود من أيام التاريخ، وفقدت الإنسانية بفقده (إنسانًا) قل أن يجود الزمان بمثله. قتل حسن البنا بعد عشرين عاماً قضاها فى جهاد مرير، متصل الأيام والليالى. . . ».

الأستاذ سعيد رمضان

○ فكرة تحيا فى رجل

كان حسن البنا فكرة قوية هائلة، والفكرة لاتبغى مالاً، ولاتسعى لغرض زائل، لذا رأيناه يحيا بيننا حياة الطيف الخفيف، يلم الدنيا على هوادة، لا يجمع منها ولا يمنع، ولايهتم لشىء فيها إلا بمقدار، ولا يصيب منها إلا ما تدعو إليه الضرورة. يأكل ما حضر من الطعام، ويلبس ما تيسر من اللباس، ويتخذ ما قل وكفى من السكن، ويعيش عيشة الكفاف، ولايهمه أن يترك بنيه لله ولا شىء معهم، وكل قرة عينه، وبهجة نفسه، أن ينادى فى الناس بكلمة الله، ويعلن إليهم ما فى صدره من الأسرار، وأن يرى فضائل فكرته ومثلها العليا حقائق واقعة، وصوراً عملية تسعى فى حياة الناس على قدمين، وتزحم بمناكبها العريضة كل ما يعترضها من باطل، وتنضر وجه الدنيا بإبائها وعفتها. فإذا بلغ من ذلك ما أراد رضيت الفكرة فى نفسه، وبسمت فى قرارة فؤاده؛ بسمة لها من سنا وجه الله نعيم ونور وغبطة.

الأستاذ البهى الخولى

وأخيراً

(هذا أنا فمن أنت ؟)

سأل صحفى الإمام الشهيد عن نفسه، وطلب منه أن يوضح بنفسه عن شخصيته للناس، فقال رحمه الله:

«أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة فى ظل الإسلام الحنيف .

أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى: إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لاشريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . .

«هذا أنا فمن أنت ؟»

حسن البنا

دعـوتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مصارحة

نحب أن نصارح الناس بغايتنا، وأن نجلى أمامهم منهاجنا، وأن نوجه إليهم دعوتنا، فى غير لبس ولا غموض، أضوأ من الشمس، وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار.

براءة

ونحب مع هذا أن يعلم قومنا - وكل المسلمين قومنا - أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة، قد تسامت فى نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدمًا فى الطريق التى رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فلسنا نسأل الناس شيئًا، ولا نقتضيهم مالاً ولا نطالبهم بأجر، ولا نتزيد بهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكورًا، إن أجرنا فى ذلك إلا على الذى فطرنا.

عاطفة

ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداءً لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمنًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء. وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التى استبدت بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا، وأسالت مدامعنا. وإنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس، فنحن نعمل للناس فى سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب، ولن نكون عليكم يومًا من الأيام.

لله الفضل والمنة

ولسنا نمتن بشيء ولا نرى لأنفسنا فى ذلك فضلاً، وإنما نعتقد قول الله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات ١٧]. ولكم نتمنى - لو تنفع المنى - أن تتفتح هذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا، فينظر إخواننا هل يرون فيها إلا حب الخير لهم والإشفاق عليهم والتفانى فى صالحهم؟

وهل يجدون إلا ألمًا مضنيًا من هذه الحال التى وصلنا إليها؟ ولكن حسبنا أن الله يعلم ذلك كله، وهو وحده الكفيل بالتأييد الموفق للتسديد؛ بيده أزمة القلوب ومفاتيحها. من يهد الله فلا مضلٌ له ومن يضلل الله فلا هادي له، وهو حسبنا ونعم الوكيل. أليس الله بكافٍ عبده ؟ .

أصناف أربعة

وكل الذى نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحدا من أربعة:

مؤمن :

إما شخص آمن بدعوتنا وصدّق بقولنا وأعجب بمبادئنا، ورأى فيها خيراً اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين، ولا معنى لإيمان لايتبعه عمل، ولا فائدة فى عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية فى سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه وآمنوا برسالاته وجاهدوا فيه حق جهاده، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لاينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

متردد :

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف فى قولنا معنى الإخلاص والفائدة، فهو متوقف متردد، فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلى

إخواننا، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل.

○ نفعى:

وأما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البذل له من مغنم فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم فيك خيراً، أما نحن فمغمورون جاهًا فقراء مالاً، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما فى أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله وهو نعم النصير فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عنده خير وأبقى، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله فى العقبى وما عندكم ينفد وما عند الله باق، وإن كانت الأخرى فالله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

○ متحامل:

وأما شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج فى غروره ويسدر فى شكوكه ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد. ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو سبحانه أهل الرجاء، ولقد أنزل الله على نبيه الكريم فى صنف من الناس ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. وهذا سنظل نحبه ونرجو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

نحب أن يكون الناس معنا واحداً من هؤلاء، وقد حان الوقت الذى يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته، ويعمل إلى الوجهة حتى يصل إلى

الغاية، أما تلك الغفلة السادرة والخطرات اللاهية والقلوب الساهية والانصياع الأعمى واتباع كل ناعق فما هو من سبيل المؤمنين فى شىء .

فنـــاء

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

فهى دعوة لا تقبل الشركة إذ إن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيُحرم ثواب المجاهدين ويكون مع المخلَّفين ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته به قومًا آخرين ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

وضـــوح

نحن ندعو الناس إلى «مبدأ» . . مبدأ واضح محدود مسلم به منهم جميعًا، هم جميعًا يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيته ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم . . مبدأ أثبتت التجربة وحكم التاريخ صلاحيته للخلود وأهليته لإصلاح الوجود .

إيمانان

والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا فى الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم فى نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوى يقظ فى نفوس الإخوان المسلمين . ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا فى نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيمانا يخيَّل للناس حين نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبال وبذل

النفس والمال واحتمال المصاعب ومقارعة الخطوب حتى تنتصر بها أو تنتصر بنا، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع نسى كل إيمانه وغفل عن فكرته، فهو لايفكر فى العمل لها ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد فى سبيلها، بل إنه قد يبالغ فى هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر!! أولست تضحك عجبًا حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة فى ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحدًا مع الملحدين وعابدًا مع العابدين!

هذا الخور أوالنسيان أو الغفلة أو النوم، أو قل فيه ما شئت، هو الذى جعلنا نحاول أن نوقظ « مبدأنا » وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا فى نفوس هؤلاء القوم المحبوبين .

دعوات

وإذن سأعود إلى أول كلمتى فأقول إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مبدأ، وفى الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادئ وفكر ومذاهب وآراء ومنازع كلها تتقسم عقول الناس وتتنازع ألبابهم، وكل منها يزينه أهله ويقوم بالدعاية له أبناؤه وأتباعه وعشاقه ومريدوه، ويدّعون له المزايا والمحاسن ويبالغون فى هذا الادعاء ما يبرزه للناس جميلاً خلابًا رائعًا .

دعاة

والدعاة اليوم غيرهم بالأمس فهم مثقفون مجهزون مدربون إخصائيون - ولاسيما فى البلاد الغربية - حيث تختص بكل فكرة كتيبة مدربة توضح غامضها وتكشف عن محاسنها وتبتكر لها وسائل النشر وطرائق الدعاية، وتتلمس لها فى نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع .

وسائل

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلك، فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى فى خطبة أو اجتماع أو كلمة تكتب فى رسالة أو خطاب، أما الآن فنشرات

ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح (وخيالات) وحاكي ومذياع، وقد ذلل ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم، نساءً ورجالاً فى بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم .

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعًا حتى يأتى عملهم بثمرته المطلوبة .

وما لى ولهذا الاستطراد ؟ سأعود مرة ثانية فأقول إن العالم الآن فى حالة تخمة بالدعوات ما بين سياسية وقومية ووطنية واقتصادية وعسكرية وسلمية، فأين دعوة الإخوان المسلمين من هذا المزيج المركب كله ؟

سيدعونى ذلك إلى أن أتكلم لك فى أمرين، أولهما : هيكل دعوتنا الإيجابى المجرد، ثم بعد ذلك موقفها من كل نوع من أنواع هذه الدعوات .

ولا تؤاخذنى بهذا الاستطراد فى القول فقد أخذت على نفسى أن أكتب كما أتحدث، وأن أتناول موضوعى بهذا اللون من ألوان الكتابة فى غير تكلف ولا عناء، وإنما أريد أن يفهمنى الناس كما أنا ويصل كلامى إلى نفوسهم خاليًا من التزويق والتقسيم .

إسلامنا

اسمع يا أخى : دعوتنا أجمع ما توصف به أنها (إسلامية) ولهذه الكلمة معنى واسع غير المعنى الضيق الذى يفهمه الناس. فإنا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعًا، ويفتى فى كل شأن منها ويضع له نظامًا محكمًا دقيقًا، ولايقف مكتوفًا أمام المشكلات الحيوية والنظم التى لابد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأً أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية، وحصروا أنفسهم وأفهامهم فى هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور .

ولكنا نفهم الإسلام على غير هذا الوجه فهمًا فسيحًا واسعًا ينتظم شئون الدنيا والآخرة، ولسنا ندعى ادعاءً أو نتوسع فيه من أنفسنا، وإنما هو ما فهمناه من كتاب

الله وسيرة المسلمين الأولين، فإن شاء القارئ أن يفهم دعوة الإخوان بشيء أوسع من كلمة (الإسلامية) فليمسك بمصحفه وليجرد نفسه من الهوى والغاية ثم يتفهم ما عليه القرآن فسيرى في ذلك دعوة الإخوان .

أجل: دعوتنا (إسلامية). بكل ما تحتمل الكلمة من معانٍ، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك وأنت في فهمك هذا مقيد بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين من المسلمين . فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته، وأما سنة رسوله فهي مبينة الكتاب وشارحته، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منفذو أوامره والآخذون بتعاليمه وهم المثل العملية والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم .

موقفنا من الدعوات

وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحبًا به وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءًا صالحًا من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه .

الوطنية

افتتن الناس بدعوة الوطنية تارة والقومية تارة أخرى وبخاصة في الشرق حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها وأخذت من مالها ومن دمها، وحيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير الغربي الذي فُرض عليها فرضًا، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في وسعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد، فانطلقت ألسن الزعماء وسالت أنهار الصحف، وكتب الكاتبون وخطب الخطباء وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية .

حسنٌ ذلك وجميل، ولكن غير الحسن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهام الشعوب الشرقية وهي مسلمة أن ذلك في الإسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو في أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك ولجوا في تقاليدهم

يعمهون، وزعموا لك أن الإسلام فى ناحية وهذه الفكرة فى ناحية أخرى، وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة ويضعف رابطة الشباب .

هذا الوهم الخاطئ كان خطراً على الشعوب الشرقية من كل الوجهات، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الإخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية، ذلك الموقف الذى ارتضوه لأنفسهم والذى يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم.

وطنية الحنين :

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة، مأمور به فى الإسلام من جهة أخرى، وإن بلالاً الذى ضحى بكل شىء فى سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذى كان يهتف فى دار الهجرة بالحنين إلى مكة فى أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلة ... بواد وحولى إذْخِرٌ وجليلُ

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنةٍ ... وهل يبدُوَنْ لى شامة وطفيل

ولقد سمع رسول الله ﷺ وصف مكة من « أصيل » فجرى دمعه حنيناً إليها وقال : يا أصيل دع القلوب تقر .

وطنية الحرية والعزة :

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد فى تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادئ العزة والحرية فى نفوس أبنائه، فنحن معهم فى ذلك أيضاً، وقد شدد الإسلام فى ذلك أبلغ التشديد فقال تبارك وتعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون:٨] ويقول: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ [النساء:١٤١].

وطنية المجتمع :

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية فى مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضًا، ويراه الإسلام فريضة لازمة فيقول نبيه ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانا» ويقول القرآن الكريم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾

[آل عمران: ١١٨]

وطنية الفتح :

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الإسلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

وطنية الحزبية :

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضيعة أملتها الأهواء وشكلتها الغايات والأغراض وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً يفرقهم فى الحق ويجمعهم على الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله فلا يقصدون إلا داره ولا يجتمعون إلا زواره، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس. فها أنت ذا قد رأيت أننا من دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم فى كل معانيها الصالحة التى تعود بالخير على البلاد والعباد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوة الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام .

حدود وطنيتنا:

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول (لا إله إلا الله

محمد رسول الله) وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد فى سبيل خيره؛ وكل المسلمين فى هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم. ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر ذلك الفارق العملى فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوى نفسها على حساب غيرها فنحن لانرضى ذلك على حساب أى قطر إسلامى وإنما نطلب القوة لنا جميعًا، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون فى ذلك بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ويضرب العدو بعضهم ببعض.

○ غاية وطنيتنا:

هذه هى واحدة. والثانية أن الوطنيين فقط، جلُّ ما يقصدون إليه، تخليص بلادهم، فإذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك، اهتموا بالنواحى المادية كما تفعل أوربا الآن، أما نحن فنعتقد أن المسلم فى عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله فى سبيل أدائها، تلك هى هداية البشر بنور الإسلام، ورفع علمه خفاقا على كل ربوع الأرض، ولايبغى بذلك مالاً ولا جاهًا ولاسلطانًا على أحد ولا استعباداً لشعب، وإنما يبغى وجه الله وحده وإسعاد العالم بدينه وإعلاء كلمته، وذلك ما حدا بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم إلى هذه الفتوح القدسية التى أدهشت الدنيا وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل.

○ وحـدة:

وأحب أن أنبهك إلى سقوط ذلك الزعم القائل إن الجرى عن هذا المبدأ يمزق وحدة الأمة التى تتألف من عناصر دينية مختلفة، فإن الإسلام وهو دين الوحدة والمساواة كفل هذه الروابط بين الجميع ماداموا متعاونين على الخير: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. فمن أين يأتى التفريق إذن؟

أفرأيت بعد هذا كيف أننا متفقون مع أشد الناس غلواً فى الوطنية فى حب الخير للبلاد والجهاد فى سبيل تخليصها وخيرها وارتقائها، ونعمل ونؤيد كل من يسعى

فى ذلك بإخلاص، بل أحب أن تعلم أن مهمتهم إن كانت تنتهى بتحرير الوطن واسترداد مجده فإن ذلك عند الإخوان المسلمين بعض الطريق فقط أو مرحلة منه واحدة، ويبقى بعد ذلك أن يعملوا لترفع راية الوطن الإسلامى على كل بقاع الأرض، ويخفق لواء «المصحف الشريف» فى كل مكان.

القومية

والآن سأتحدث إليك عن موقفنا من مبدأ القومية.

○ قومية المجد :

إن كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف فى مراقى المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة وأن تكون لهم بهم فى ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد له الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به، وهل عدّتنا فى إيقاظ همة الحاضرين إلا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟ ولعل الإشارة إلى هذا فى قول رسول الله ﷺ : «الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» فها أنت ذا ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل.

○ قومية الأمة :

وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك ومن ذا الذى لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم ؟

لعمرى لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب

وإذا قصد بالقومية أننا جميعًا مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى تلتقى إن شاء الله فى ساحة النصر فنعم التقسيم هذا، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كل فى ميدانها حتى نلتقى جميعًا فى بحبوحة الحرية والخلاص ؟

كل هذا وأشباهه فى معنى القومية جميل معجب لا يأباه الإسلام، وهو مقياسنا، بل يفسح صدرنا له ونحض عليه.

○ قومية الجاهلية :

أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة استقرت، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس كما فعلت بعض الدول فى المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عادات جاهلية، فذلك فى القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سئ المغبة، يؤدى بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله؛ ولا يضر ذلك دين الله شيئاً: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨]

○ قومية العدوان :

وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدى إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها فى سبيل عزة أمة وبقائها، كما تنادى بذلك ألمانياو إيطاليا مثلاً، بل كما تدعى كل أمة تنادى بأنها فوق الجميع، فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية فى شىء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشرى فى سبيل وهم من الأوهام لا حقيقة له ولا خير فيه .

○ دعامتان :

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعانى ولا بأشباهها ولايقولون فرعونية وعربية وفينيقية وسورية ولا شيئاً من هذه الألقاب والأسماء التى يتنابز بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله ﷺ الإنسان الكامل بل أكمل معلم علّم الإنسان الخير: «إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» ما أروع هذا وأجمله وأعدله، الناس لآدم فهم فى ذلك أكفاء والناس يتفاضلون بالأعمال فواجبهم التنافس فى الخير؛ دعامتان قويمتان لو بنيت عليهم الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السماوات؛ الناس لآدم فهم إخوان فعليهم أن يتعاونوا وأن يسالم بعضهم بعضاً ويرحم بعضهم بعضاً ويدل بعضهم بعضاً على الخير، والتفاضل بالأعمال. فعليهم أن يجتهدوا كل من ناحيته

حتى ترقى الإنسانية، فهل رأيت سمواً بالإنسانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية؟.

○ **خواص العروبة :**

ولسنا مع هذا ننكر خواصُ الأمم ومميزاتها الخُلُقية، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب فى هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها فى ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق المهمة السابقة التى كلفها كل شعب، تلك هى النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واجداً فى التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ.

هذا استطراد اقتضاه السير فى البحث، ولاأحب أن أتابعه حتى لا يشط بنا القول ولكن أعود بك إلى ما نحن بسبيله .

رباط العقيدة

أما إذ عرفت هذا فاعلم - أيدك الله - أن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين: قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن ببعثة رسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحنُ إليهم ونعمل فى سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال، فى أى أرض كانوا ومن أية سلالة انحدروا. وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هى رابطة الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين. أما إذا أردت ذلك من كتاب الله فاسمع:

١ - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢ - ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]

ولعلى أكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها فى نفسك ملتبسة أو غامضة، لعلك بعد ذلك عرفت إلى أى قبيل ينتسب الإخوان المسلمون .

***

أمام الخلافات الدينية

أتحدث إليك الآن عن دعوتنا أمام الخلافات الدينية والآراء المذهبية.

○ تجمع ولا تفرق:

فاعلم - فقهك الله - أولاً أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة، ولا تنحاز إلى رأى عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة، وهى تتوجه إلى صميم الدين ولبه، ونود أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والإنتاج أعظم وأكبر، فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون، وهى مع الحق أينما كان تحب الإجماع وتكره الشذوذ وأن أعظم ما منى به المسلمون الفرقة والخلاف وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم، وعقيدة راسخة فى نفوسنا، نصدر عنها وندعو إليها.

○ الخلاف ضرورى:

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف فى فروع الدين أمر لابد منه ضرورة، ولا يمكن أن نتحد فى هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة:

- منها اختلاف العقول فى قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعانى. وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأى فى حدود اللغة وقوانينها، والناس فى ذلك جد متفاوتين فلابد من خلاف.

- ومنها سعة العلم وضيقه. وأن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك، والآخر شأنه كذلك. وقد قال مالك لأبى جعفر: (إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة).

- ومنها اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة، وإنك لترى الإمام الشافعى رضى الله عنه يفتى بالقديم فى العراق ويفتى بالجديد فى مصر، وهو

فى كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق فى كليهما .

ومنها اختلاف الاطمئنان القلبى إلى الرواية عند التلـقين لها، فبينا نجد هذا الراوى ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسك وتطيب بالأخذ عنه، تراه مجروحًا عند غيره لما علم من حاله .

ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدمًا على خبر الآحاد مثلاً وذاك لا يقول معه به وهكذا .

○ **الإجماع على أمر فرعى متعذر :**

كل هذه أسباب جـعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمـر واحد فى فروع الدين مطلب مستـحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، وإنما يريد الله لـهذا الدين أن يبقى ويخلد ويسـاير العصـور ويماشى الأزمـان، وهو لهـذا سهل مـرن هين لين لا جمـود فيـه ولاتشديد .

○ **نعتذر لمخالفينا :**

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العـذر لمن يخالفوننا فى بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخـلاف لا يكون أبدًا حـائلاً دون ارتباط القـلوب وتبادل الحب والـتعـاون على الخير، وأن يشـملنا وإياهم معنى الإسلام السـابغ بأفضل حدوده وأوسع مشـتملاته، ألسنا مـسلمين وهم كذلك ؟ وألـسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبـون ذلك ؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا مـا نحب لأنفسـنا ؟ ففـيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالاً للنظر عندهم كرأيهم عندنا ؟ ولماذا لا نتفاهم فى جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم ؟

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان يخالف بعضهم بعضًا فى الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافـًا بينهم فى القلوب؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطـتهم؟ اللهم لا وما حديث صلاة العصر فى قريظة ببعيد .

وإذا كـان هؤلاء قد اخـتلفوا وهـم أقرب الناس عـهدًا بالنـبوة وأعـرفهم بقـرائن الأحكام، فما بالنا نتناحـر فى خلافات تافهة لاخطر لهـا؟ وإذا كان الأئمة وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله قد اختلف بعضـهم مع بعض وناظر بعضهم بعضًا فلم

لا يسعنا ما وسعهم؟ وإذا كان الخلاف قد وقع فى أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذى ينادى به خمس مرات فى اليوم الواحد ووردت به النصوص والآثار فما بالك فى دقائق المسائل التى مرجعها إلى الرأى والاستنباط .

وثمّ أمر آخر جدير بالنظر ، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة) وشرطه الإمامة فيقضى بينهم ويرفع حكمه الخلاف ، أما الآن فأين الخليفة ، وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضى ثم يعرضوا قضيتهم عليه ، فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر .

يعلم الإخوان المسلمون كل هذه الحيثيات ، فهم لهذا أوسع الناس صدراً مع مخالفيهم ، ويرون أن مع كل قوم علماً ، وفى كل دعوة حقاً وباطلاً ، فهم يتحرون الحق ويأخذون به ويحاولون فى هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم ، فإن اقتنعوا فذاك ، وإن لم يقتنعوا فإخوان فى الدين ، نسأل الله لنا ولهم الهداية .

ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم فى المسائل الفرعية فى دين الله ، يمكن أن أجمله لك فى : أن الإخوان يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأى ، ويحاولون الوصول إلى الحق ، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب .

***

إلى العلاج

يا أخى اعلم وتعلَّم أن مَثَل الأمم فى قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء، فالفرد بينما تراه قويًا معافى صحيحًا سليمًا، إذ بك تراه وقد انتابته العلل وأحاطت به الأسقام وهدَّت بنيته القوية الأمراض والآلام، ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله تبارك وتعالى بطبيب ماهر ونطاسى بارع يعلم مواطن العلة ويحسن تشخيصها ويتعرف مواضع الداء ويخلص فى علاجه، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته ورجعت له صحته، ربما كان بعد هذا العلاج خيرًا من قبله. قل مثل ذلك فى الأمم تمامًا، تعترضها حوادث الزمن بما يهدد كيانها ويصدع بنيانها ويسرى فى مظاهر قوتها سريان الداء، ولايزال يلح عليها ويتشبث بها حتى ينال منها فتبدو هزيلة ضعيفة يطمع فيها الطامعون وينال منها الغاصبون، فلا تقوى على رد غاصب ولا تمنع من مطامح طامح، وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاثة: معرفة موطن الداء، والصبر على آلام العلاج، والنطاسى الذى يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه الغاية والشفاء والظفر.

○ الأعراض:

وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحى كثير الأعراض قد نال من كل مظاهر حياتها، فهى مصابة فى ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها، وفى ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها. وهى مصابة من ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا فى نفوس أبنائها، وفى ناحيتها الاجتماعية بالإباحية فى عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل والإنسانية التى ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها، وبالتقليد الغربى يسرى فى مناحى حياتها سريان لعاب الأفاعى فيسمم دماءها ويعكر صفو هنائها، وبالقوانين الوضعية التى لا تزجر مجرمًا ولا تؤدب معتديًا ولا ترد ظالمًا، ولا تغنى يومًا من الأيام غناء القوانين السماوية التى

وضعها الخالق ومالك الملك ورب النفوس وبارئها، وبفوضى فى سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها. وفى ناحيتها النفسانية بيأس قاتل وخمول مميت وجبن فاضح وذلة حقيرة وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدى عن البذل وتقف حجابًا دون التضحية وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين .

وما يرجى من أمة اجتمعت على غزوها كل هذه العوامل بأقوى مظاهرها وأشد أعراضها: الاستعمار والحزبية، والربا والشركات الأجنبية، والإلحاد والإباحية وفوضى التعليم والتشريع، واليأس، والشح، والخنوثة والجبن، والإعجاب بالخصم إعجابًا يدعو إلى تقليده فى كل ما صدر عنه وبخاصة فى سيئات أعماله .

إن داءً واحدًا من هذه الأدواء يكفى لقتل أمم متظاهرة، فكيف وقد تفشت جميعًا فى كل أمة على حدة ؟ لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة فى هذه الأمم الشرقية التى جاذبها خصومها حبل العداء من بعيد، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمنًا طويلاً حتى باضت وأفرخت، لولا ذلك لعفت آثارها ولبادت من الوجود. ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون .

يا أخى: هذا هو التشخيص الذى يلمسه الإخوان فى أمراض هذه الأمة، وهذا هو الذى يعملون فى سبيل أن يبرئها منه ويعيد إليها ما فقدت من صحة وشباب .

○ أمل وشعور :

وأحب أن تعلم يا أخى قبل أن أتحدث لك عن هذه الوسيلة أننا لسنا يائسين من أنفسنا، وأننا نأمل خيراً كثيراً ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا هذا اليأس، فإذا قوى الأمل فى نفوسنا فسنصل إلى خير كثير إن شاء الله، لهذا نحن لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله .

وكل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين، إنك إذا دخلت على مريض فوجدته تدرج من كلام إلى صمت ومن حركة إلى سكون شعرت بقرب نهايته وعسر شفائه واستفحال دائه، فإذا انعكس الأمر وأخذ يتدرج من صمت إلى كلام ومن همود إلى حركة شعرت بقرب شفائه وتقدمه فى طريق الصحة والعافية. ولقد أتى

علىٰ هذه الأمم الشرقية حين من الدهر جمدت فيه حتى ملها الجمود وسكنت حتى أعياها السكون، ولكنها الآن تغلى غليانًا بيقظة شاملة فى كل مناحى الحياة، وتضطرم اضطرامًا بالمشاعر الحية القوية والأحاسيس العنيفة. ولولا ثقل القيود من جهة والفوضى فى التوجيه من جهة أخرى لكان لهذه اليقظة أروع الآثار، ولن تظل هذه القيود قيودًا أبد الدهر فإنما الدهر قُلَّب، وما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال، ولن يظل الحائر حائرًا، فإنما من بعد الحيرة هدى وبعد الفوضى استقرار، ولله الأمر من قبل ومن بعد. لهذا لسنا يائسين أبدًا، وآيات الله تبارك وتعالى وأحاديث رسوله ﷺ وسنته تعالى فى تربية الأمم وإنهاض الشعوب بعد أن تشرف على الفناء، وما قصه علينا من ذلك فى كتابه، كل ذلك ينادينا بالأمل الواسع، ويرشدنا إلى طريق النهوض الصحيح، ولقد علم المسلمون - لو يتعلمون-.

وإنك لتقرأ الآية الكريمة فى أول سورة القصص ﴿طسم ۝١ تلك آيات الكتاب المبين۝٢ نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ۝٣ إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين۝٤ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين۝٥ ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [القصص:١-٦] تقرأ هذه الآية الكريمة فترى كيف يطغى الباطل فى صولته ويعتز بقوته، ويطمئن إلى جبروته ويغفل عن عين الحق التى ترقبه، حتى إذا فرح بما أوتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأبت إرادة الله إلا أن تنتصر للمظلومين وتأخذ بناصر المهضومين المستضعفين، فإذا الباطل منهار من أساسه، وإذا الحق قائم البنيان متين الأركان وإذا أهله هم الغالبون. وليس بعد هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الكتاب المحكم عذر فى اليأس والقنوط لأمة من أمم الإسلام تؤمن بالله ورسوله وكتابه، فمتى يتفقه المسلمون فى كتاب الله؟

لمثل هذا يا أخى، وهو كثير فى دين الله، لم ييأس الإخوان المسلمون من أن يتنزل نصر الله على هذه الأمم رغم ما يبدو أمامها من عقبات، وعلى ضوء هذا الأمل يعملون عمل الآمل المجد، والله المستعان.

أما الوسيلة التي وعدتك الكلام عليها فهي أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان:

أولها - المنهج الصحيح: وقد وجده الإخوان في كتاب الله وسنة رسوله وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات، فعكفوا على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واسعة مستوعبة.

وثانيها - العاملون المؤمنون: ولهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقًا لا هوادة فيه ولا لين، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم مطمئنون إلى غايتهم واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له يعملون وعلى هدى رسول الله ﷺ يسيرون.

وثالثها - القيادة الحازمة الموثوق بها: وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك، فهم لها مطيعون وتحت لوائها يعملون.

ذلك يا أخي مجمل ما أردت أن أتحدث إليك به عن دعوتنا وهو تعبير له تعبير، وأنت يوسف هذه الأحلام، فإذا راقك ما نحن عليه فيدك مع أيدينا لنعمل سويًا في هذا السبيل، والله ولي توفيقنا وتوفيقك وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعم المولى ونعم النصير.

والله أكبر ولله الحمد

إلى أي شيء
ندعو الناس

تمهيد

قد تتحدث إلى كثير من الناس فى موضوعات مختلفة فتعتقد أنك قد أوضحت كل الإيضاح وأبنت كل الإبانة، وأنك لم تدع سبيلاً إلى الكشف عما فى نفسك إلا سلكتها، حتى تركت من تحدثهم على المحجة البيضاء، وجعلت لهم ما تريد بحديثك من الحقائق كفلق الصبح أو كالشمس فى رابعة النهار كما يقولون. وما أشد دهشتك بعد قليل حين ينكشف لك أن القوم لم يفهموا عنك ولم يدركوا قولك.

رأيت ذلك مرات ولمسته فى عدة مواقف. وأعتقد أن السر فيه لا يعدو أحد أمرين. إما أن الذى يقيس به كل منا ما يقول وما يسمع مختلف، فيختلف تبعًا لذلك الفهم والإدراك، وإما أن يكون القول فى ذاته ملتبسًا غامضًا وإن اعتقد قائله أنه واضح مكشوف.

○ **المقياس :**

وأنا أريد فى هذه الكلمة أن أكشف للناس عن دعوة الإخوان المسلمين وغايتها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها فى صراحة ووضوح وفى بيان وجلاء. وأحب أولاً أن أحدد المقياس الذى نقيس به هذا التوضيح، وسأجتهد فى أن يكون القول سهلاً ميسورًا، لا يتعذر فهمه على قارئ يحب أن يستفيد، وأظن أن أحدًا من الأمة الإسلامية جميعًا لا يخالفنى فى أن يكون هذا المقياس «كتاب الله» نستقى من فيضه ونستمد من بحره ونرجع إلى حكمه.

○ **يا قومنا ..**

إن القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية، وكليات الشرائع الدنيوية، وفيه أوامر وفيه نواه، فهل عمل المسلمون بما فى القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات، وفهموا ما أوضح لهم من الغايات؟ وهل طبقوا شرائعه الاجتماعية والحيوية على تصرفاتهم فى شئون حياتهم؟ إن انتهينا من بحثنا أنهم كذلك فقد وصلنا معًا إلى الغاية، وإن تكشف البحث عن

بعدهم عن طريق القرآن وإهمالهم لتعاليمه وأوامره فاعلم أن مهمتنا أن نعود بأنفسنا وبمن تبعنا إلى هذا السبيل .

○ غاية الحياة في القرآن :

إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها، فبينَ أن قومًا همهم من الحياة الأكل والمتعة، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢] .

وبين أن قوماً آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل فقال تبارك وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

[آل عمران: ١٤]

وبيّن أن قومًا آخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥] .

تلك مقاصد من مقاصد الناس في الحياة نزّه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى وألقى على عاتقهم واجبًا أسمى؛ ذلك الواجب هو: هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

ومعنى هذا أن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة،

ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصايا النبيلة، وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب ولمدنية الإسلام لا لمدنية المادة .

○ وصاية المسلم تضحية لا استفادة :

ثم بيّن الله تبارك وتعالى أن المؤمن فى سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها من شيء، وإنما هى وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها إلى قلوب الناس وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]

ومن ذلك ترى أن المسلم يجعل دنياه وقفًا على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته. ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذًا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامى فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربى الآن؟

○ أين المسلمون من هذه الغاية ؟

فبربك يا عزيزى هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم، وتحرروا من رق المادة، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء، وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد، ووجهوا وجوههم لله الذى فطر السماوات والأرض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون فى سبيله، وينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته، أم هم هؤلاء أسرى الشهوات وعبيد الأهواء والمطامع، كل همهم لقمة لينة ومركب فاره وحلة جميلة، ونومة مريحة، وامرأة وضيئة، ومظهر كاذب ولقب أجوف ؟

رضُوا بالأمانى، وابْتلُوا بحظوظهم   وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلُّوا

وصدق رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة» .

○ الغاية أصل والأعمال فروع لها :

وبما أن الغاية هى التى تدفع إلى الطريق، ولما كانت الغاية فى أمتنا غامضة مضطربة كان لابد من أن نوضح ونحدد، وأظننا وصلنا إلى كثير من التوضيح،

واتفقنا على أن مهمتنا سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية كلها إلى نظم الإسلام الصالحة وتعاليمه التى لايمكن بغيرها أن يسعد الناس .

○ مصادر غايتنا :

تلك هى الرسالة التى يريد الإخوان المسلمون أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الأمة الإسلامية حق الفهم، وتهب لإنفاذها فى عزم وفى مضاء. لم يبتدعها الإخوان المسلمون ابتداعًا، ولم يختلقوها من أنفسهم، وإنما هى الرسالة التى تتجلى فى كل آية من آيات القرآن الكريم، وتبدو فى غاية الجلاء والوضوح فى كل حديث من أحاديث الرسول العظيم ﷺ، وتظهر فى كل عمل من أعمال الصدر الأول الذين هم المثل الأعلى لفهم الإسلام وإنفاذ تعاليم الإسلام. فإن شاء المسلمون أن يقبلوا هذه الرسالة كان ذاك دليل الإيمان والإسلام الصحيح، وإن رأوا فيها حرجًا أو غضاضة فبيننا وبينهم كتاب الله تبارك وتعالى، حكم عدل وقول فصل يحكم بيننا وبين إخواننا ويظهر الحق لنا أو علينا: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩]

○ استطراد :

يتساءل كثير من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنا، ووقفنا لخيرهم والعمل لمصلحتهم الدنيوية والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا، وفنينا فى هذه الغاية، غاية إسعاد أمتنا وإخواننا، عن أموالنا وأنفسنا، وذهلنا فى سبيلهم عن أبنائنا والحلائل.

وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الإخوان المتسائلون على شباب الإخوان المسلمين وقد سهرت عيونهم والناس نيام، وشغلت نفوسهم والخليون هُجّع، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهداً ومفكراً مجداً، ولا يزال كذلك طول شهره، حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده مورداً لجماعته، ونفقته نفقة لدعوته، وماله خادمًا لغايته، ولسان حاله يقول لبنى قومه الغافلين عن تضحيته: لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الله. ومعاذ الله أن نمن على أمتنا فنحن منها ولها وإنما نتوسل إليها بهذه التضحية أن تفقه دعوتنا وتستجيب لندائنا .

○ من أين المال ؟

يتساءل هؤلاء الإخوان المحبوبون الذين يرمقون الإخوان المسلمين على بعد ويرقبونهم عن كثب قائلين: من أين ينفقون؟ وأنى لهم المال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة؟

وإني أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال، والعقيدة قبل الأعراض الزائلة، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعًا. وإنّ في مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقتطعونه من نفقاتهم ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم، ويجودون به طيبة نفوسهم سخية به قلوبهم، يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعاف فينفقه في سبيل الله؛ فإذا لم يجد بعضهم شيئًا تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون، في هذا المال القليل والإيمان الكبير ولله الحمد والعزة، بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين، وإن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان و﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

○ نحن والسياسة:

ويقول قوم آخرون إنّ الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية، ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى. ولا ندرى إلى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنابز بالألقاب، وتترك يقينًا يؤيده الواقع في سبيل ظن توحيه الشكوك؟

يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام؛ فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًا فنحن أعرق الناس والحمد لله في السياسة، وإن شئتم أن تسمّوا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات .

يا قومنا : لاتحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر، وإنّ للإسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة؛ وتلك هى سياستنا لا نبغى لها بديلاً فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين .

○ قوميتنا وعلى أى أساس ترتكز :

أيها الأخ : تعال نصغ معًا إلى صوت العزة الإلهية يدّوى فى أجواء الآفاق، ويملأ الأرض والسبع الطباق، ويوحى فى نفس كل مؤمن أسمى معانى العزة والفخار، حين يسمع هذا النداء الذى تستمع له السموات والأرض ومن فيهن منذ أن بلغه الأمين إلى هذا الوجود، إلى حيث لا نهاية، إذ كتب له الخلود : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[البقرة: ٢٥٧] .

أجل . . أجل يا أخى هذا نداء ربك إليك . فلبيك اللهم لبيك . وحمدًا وشكرًا لك لا نحصى ثناء عليك، أنت أنت ولى المؤمنين ونصير العاملين والمدافع عن المظلومين الذين حوربوا فى بيوتهم وأخرجوا من ديارهم، عز من لجأ إليك وانتصر من احتمى بحماك .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠].

أجل أجل يا أخى تعال نستمع معًا إلى صوت القرآن الكريم، ونطرب بتلاوة الآيات البينات، ونسجل جمال هذه العزة فى صحائف ذلكم الكتاب المطهر

إلىّ إلىّ يا أخى واسمع قول الله تبارك وتعالى:

١ - ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[البقرة: ٢٥٧].

٢ - ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٥٠].

٣ - ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[المائدة: ٥٥] .

٤ - ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٦].

٥ - ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة: ٥١]

٦ - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[يونس: ٦٢، ٦٣]

٧ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

ألست ترى فى هذه الآيات البينات أن الله تبارك وتعالى ينسبك إلى نفسه ويمنحك فضل ولايته ويفيض عليك من فيض عزته ؟

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وفى الحديث الشريف الذى يرويه المختار ﷺ عن ربه ما معناه : «يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: يا بنى آدم جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا فقلتم فلان ابن فلان، وقلت: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فاليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم».

لهذا أيها الأخ الكريم فضَّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم إلى الله تبارك وتعالى، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة فينادى أحدهم صاحبه :

لا تَدْعُنى إلا بيا عَبْدَها ... إنه أشرفُ أسمائى

فى حين يجيب الآخرُ من سأله عن أبيه أتميمى هو أم قيسى :

أبى الإسلام لا أبَ لى سواه ... إذا فخروا بقَيْسٍ أوتميم

○ ليس بعد ذلك عزّة

أيها الأخ العزيز: إن الناس إنما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف فى أعمال جدودهم، ولما يقصدون إليه من نفخ روح العزة والكرامة فى نفوس أبنائهم، ليس وراء هذين المقصدين شىء، أفلا ترى فى نسبتك إلى الله تبارك وتعالى أسمى ما

يطمح إليه الطامحون من معانى العزة والمجد: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] وأولى ما يرفع نفسك إلى عليين، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين، وأى شرف أكبر وأى رافع إلى الفضيلة أعظم من أن ترى نفسك ربانيًا، بالله صلتك وإليه نسبتك، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

○ أعظم مصادر القوة:

وفى النسبة إلى الحق تبارك وتعالى معنى آخر يدركه مَنْ التحق بهذه النسبة، ذلك هو الفيض الأعم من الإيمان، والثقة بالنجاح الذى يغمر قلبك ويملأ نفسك فلا تخشى الناس جميعًا ولاترهب العالم كله إن وقف أمامك يحاول أن ينال عقيدتك أو ينتقص من مبدئك: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ولأمر ما كان الواحد من أولئك القلائل المؤمنين بالله وثقته وتأييده يقف أمام الجحفل اللجب والجيش اللهام، فلا يرهب صولته ولا يخشى أذاه لأنه لا يخشى أحدًا إلا الله، وأى شىء أعظم من تلك القوة التى تسكب فى قلب الرجل المؤمن حين يجيش صدره بقول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

[آل عمران: ١٦٠]

○ قوميتنا نسبة عالمية:

وهناك معنى من معانى السمو الاجتماعى فى انتساب الناس إلى الله تبارك وتعالى، ذلك هو تآخى الشعوب وتآزر الجماعات والقضاء على تلك المطامع التى توحى بها العصبية ويؤرث نيرانها بين الأمم التقاطع والتناكر، فمن للعالم بأن يجتمع بقوة حول راية الله . . . ؟

○ أحلام الأمس حقائق اليوم:

هذا كلام طال عهد المسلمين باستماعه فقد يكون غامضًا عليهم غير مفهوم لديهم وقد يقول قائل: ما لهؤلاء الجماعة يكتبون فى هذه المعانى التى لا يمكن أن تتحقق، وما بالهم يسبحون فى جو الخيال والأحلام ؟

على وصلكم أيها الإخوان فى الإسلام والملة، فإنَّ ما ترونه اليوم غامضًا بعيدًا كان عند أسلافكم بدهيًا قريبًا، ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم، وصدقونى إن المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ما قرأوه ونزل فيهم، ما ندلى به اليوم إليكم ونقصه عليكم.

وأصارحكم بأن عقيدة الإخوان المسلمين يحيون بها ويأملون الخير فيها ويموتون عليها، ويرون فيها كل ما تصبو إليه نفوسهم من متعة وجمال وإسعاد وحق: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

أيها الإخوان: إذا اتفقتم معنا على هذا الأساس فاعلموا أن انتسابكم إلى الله تبارك وتعالى يفرض عليكم أن تقدروا المهمة التى ألقاها على عاتقكم، وتنشطوا للعمل لها والتضحية فى سبيلها، فهل أنتم فاعلون؟

○ مهمة المسلم:

إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى فى آية واحدة من كتابه، ورددها القرآن الكريم بعد ذلك فى عدة آيات، فأما تلك الآية التى اشتملت على مهمة المسلمين فى الحياة فهى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

هذا كلام بيِّن لا لبس فيه ولا غموض، ووالله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور، يملأ الآذان ويدخل على القلوب بغير استئذان، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقفالاً فلا تعى ولا تدبر؟

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التى هى لب العبادة

وعمود الإسلام وأظهر مظاهره، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا. وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاهم بذلك عن الشر، وإن من أول الخير أن تترك الشر، فما أوجز وما أبلغ ! ورتب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هى المهمة الفردية لكل مسلم التى يجب عليه أن يقوم بها بنفسه فى خلوة أو جماعة .

حق الإنسانية :

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان، فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف السنان :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من السَّلَم

حراسة الحق بالقوة :

وما أحكم ذلك القائل: (القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنبًا إلى جنب)، فهذا الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فضلاً عن الاحتفاظ بمقدسات الإسلام، فريضة الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر، وألزمهم إياها وندبهم إليها، ولم يعذر فى ذلك أحداً فيه قوة واستطاعة، وإنها لآية زاجرة رادعة وموعظة بالغة زاجرة: ﴿ انفروا خفافًا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ [التوبة: ٤١].

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف وحكمة هذه الفريضة التى افترضها على المسلمين بعد هذا الأمر، فبين لهم أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سوأس خلقه وأمناءه على شريعته وخلفاءه فى أرضه، وورثة رسوله ﷺ فى دعوته، ومهد لهم الدين وأحكم التشريع وسهل الأحكام وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم، وترى فيها الإنسانية أمنيتها الموجوة وأملها المنتظر: ﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ [الحج: ٧٨]. وتلك هى المهمة الاجتماعية التى ندب الله إليها المسلمين جميعًا، أن

يكونوا صفاً واحداً وكتلة وقوة، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذى ينقذ الإنسانية ويهديها سواء السبيل .

○ رهبان بالليل وفرسان بالنهار :

ثم أوضح الحق تبارك وتعالى للناس بعد ذلك الرابطة بين التكاليف من صلاة وصوم بالتكاليف الاجتماعية وأن الأولى وسيلة للثانية، وأن العقيدة الصحيحة أساسهما معاً، حتى لايكون لأناس مندوحة من القعود عن فرائضهم الفردية بحجة أنهم يعملون للمجموع، وحتى لا يكون لآخرين مندوحة من القعود عن العمل للمجموع بحجة أنهم مشغولون بعبادتهم مستغرقون فى صلتهم بربهم، فما أدق وما أحكم [ومن أحسنُ من الله حديثاً] ؟

أيها المسلمون، عبادة ربكم والجهاد فى سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هى مهمتكم فى الحياة، فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون، وإن أديتم بعضها أو أهملتموها جميعًا فإليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

لهذا المعنى جاء فى أوصاف أصحاب محمد ﷺ وهم صفوة الله من خلقه والسلف الصالح من عباده: (رهبان بالليل وفرسان بالنهار) وترى أحدهم فى ليله مائلاً فى محرابه قابضًا على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكى بكاء الحزين، ويقول: (يادنيا غرى غيرى) فإذا انفلق الصباح ودوى النفير يدعو المجاهدين، رأيته رئبالا على صهوة جواده، يزأر الزأرة فتدوى لها جنبات الميدان.

بالله ما هذا التناسق العجيب والتزاوج الغريب والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها وشئون الآخرة وروحانيتها؟ ولكنه الإسلام الذى جمع من كل شىء أحسنه.

○ استعمار الأستاذية والإصلاح :

ولهذا المعنى أيها المسلمون، نفر المسلمون، بعد أن اختار نبيهم ﷺ الرفيق الأعلى، فى أقطار الأرض. قرآنه فى صدورهم ومساكنهم على سروجهم وسيوفهم بأيديهم، حجتهم واضحة على أطراف ألسنتهم يدعون الناس إلى إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال. فمن أسلم فهو أخوهم له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن

أدى الجزية فهو فى ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه ويرعون عهده ويوفون له بشرطه، ومن أبى جالدوه حتى يظهرهم الله عليه: ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ [التوبة: ٣٢].

ما فعلوا ذلك لسلطان، فزهادتهم فى الجاه والشهرة معروفة عند الخاص والعام؛ ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التى يستمتع بها أقوام على حساب آخرين، فكان خليفتهم كأحدهم، يفرض له من المال والعطاء ما لرجل منهم ليس بأفضلهم ولا أدركهم، لا تميزه إلا بما أفاض الله عليه من جلال الإيمان وهيبة اليقين. ولم يكن ذلك لمال، فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوعته وجرعة يطفىء بها ظمأته، والصوم لديهم قربة، والجوع أحب عندهم من الشبع، وحظ أحدهم من الملبس ما يستر به عورته، وكتابهم يناديهم بقول الله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ [محمد ١٢].

ونبيهم يقول لهم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة».

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعمار أو استبداد، وإنما كان لأداء رسالة خاصة هى رسالة نبيهم ﷺ التى تركها أمانة بين أيديهم، وأمرهم أن يجاهدوا فى سبيلها: ﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾

[الأنفال: ٣٩]

○ آن لنا أن نتفهم:

كان المسلمون يفهمون هذا قديمًا ويعملون له ويحملهم إيمانهم على التضحية فى سبيله، أما فى هذه الأيام فقد تفرق المسلمون فى فهم مهمتهم واتخذوا من التأويل والتعطيل سنادًا للقعود والكسل، فمن قائل يقول لك: مضى وقت الجهاد والعمل. وآخر يثبط همتك بأن الوسائل معدومة والأمم الإسلامية مقيدة، وثالث رضى من دينه بكلمات يلوكها لسانه صباح مساء، وقنع من عبادته بركعات يؤديها وقلبه هواء.

لا لا أيها الإخوان، القرآن بينكم يناديكم بوضوح وجلاء: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٥].

وأما السنة فيقول لكم رسول الله ﷺ: «إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» رواه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمر .

وأنتم تقرأون في كتب الفقه ما ألف منها قديمًا أو حديثًا متى يكون الجهاد فرض كفاية ومتى يكون فرض عين، وتعلمون حقائق ذلك ومعناه حق العلم، فما هذا الخمول الذي ضرب بجرانه؟ وما هذا اليأس الذي قبض على القلوب فلا تعي ولا تفيق ؟ هذا أيها المسلمون عصر التكوين فكوِّنوا أنفسكم وبذلك تتكون أمتكم .

إنّ هذه الفريضة تحتاج منكم نفوسًا مؤمنة وقلوبًا سليمة، فاعملوا على تقوية إيمانكم وسلامة صدوركم، وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فاستعدوا لذلك فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق، وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة عرضها السماوات والأرض .

○ من أين نبدأ :

إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولاغدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره. على هذه الأركان الأولية التي هي من خصوص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنًا طويلاً .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين، لا يصل إلى خير ولايحقق أملاً. وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

[النجم: ٢٨]

هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وهو أيضًا القانون الذى عبّر عنه النبى ﷺ فى الحديث الشريف الذى رواه أبو داود: «يوشكُ الأمم أنْ تداعى عليكم كما تداعى الأكَلَةُ إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ «قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاءٌ كغثاء السيل، ولينْزعنّ الله من صُدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ فى قلوبكم الوهْن» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهْن ؟ «قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت».

أوَلست تَراه ﷺ قد بيّن أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهْنُ نفوسها وضعف قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة، وإن كثر عددها وزادت خيراتها وثمراتها.

وإنّ الأمة إذا رتعت فى النعيم وأنست بالترف وغرقت فى أعراض المادة وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا، ونسيت احتمال الشدائد ومقارعة الخطوب والمجاهدة فى سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء.

بين القوتين:

يظن كثير من الناس أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد وآلات الحرب والكفاح لينهض ويسابق الأمم التى سلبت حقه وهضمت أهله. ذلك صحيح ومهم، ولكن أهم منه وألزم: القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والإيمان بالحقوق ومعرفتها والإرادة الماضية، والتضحية فى سبيل الواجب والوفاء الذى تنبنى عليه الثقة والوحدة، وعنهما تكون القوة.

لو آمن الشرق بحقه وغيَّر من نفسه واعتنى بقوة الروح وعنى بتقويم الأخلاق، لأتته وسائل القوة المادية من كل جانب، وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين.

يعتقد الإخوان المسلمون هذا تمام الاعتقاد، وهم لهذا دائبون فى تطهير أرواحهم وتقوية نفوسهم وتقويم أخلاقهم، وهم لهذا يجاهدون بدعوتهم ويريدون الناس على مبادئهم ويطالبون الأمة بإصلاح النفوس وتقويم الأخلاق.

وهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعًا شأنهم فى كل ما يقولون، ولكنهم يستمدون من القاموس الأعظم والبحر الخضم والدستور المحكم والمرجع الأعلى، ذلك هو كتاب الله تبارك وتعالى، وقد سمعت من قبل تلك المادة الخالدة من ذلكم القانون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولقد كشف القرآن هذا المعنى فى كثير من آياته، بل إنه ضرب لنا مثلاً تطبيقيًا خالدًا واضحًا كل الوضوح صادقًا كل الصدق فى قصة بنى إسرائيل، تلك القصة الرائعة التى ترسم لكل أمة يائسة طريق التكوين.

○ المنهاج واضح:

يعتقد الإخوان المسلمون أن الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا محمدًا ﷺ ورضى لهم الإسلام دينًا، وضع فى هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها، وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومصداق قول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف ما معناه: «والله ما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه».

وأنت إذا أمعنت النظر فى تعاليم الإسلام وجدته قد وضع أصح القواعد وأنسب النظم وأدق القوانين لحياة الفرد رجلاً وامرأة، وحياة الأسرة فى تكوينها وأخلاقها، وحياة الأمم فى نشوئها وقوتها وضعفها، وحلل الفكر التى وقف أمامها المصلحون وقادة الأمم.

فالعالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثروة، والصلة بين المنتج والمستهلك، وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى هذه البحوث التى تشغل بال ساسة الأمم وفلاسفة الاجتماع، كل هذه نعتقد أن الإسلام خاض فى لبها، ووضع للعالم النظم التى تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن، وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات. وليس ذلك مقام تفصيل هذا المقال، فإنما نقول ما نعتقد

ونبين للناس ما ندعوهم إليه، ولنا بعد ذلك جولات نفصل فيها ما نقوله .

○ لابد من أن نتبع :

وإذا كان الإخوان المسلمون يعتـقدون ذلك فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الإسلام الأصول التى تبنى عليهـا نهضة الشرق الحديث فى كل شأن من شئون الحـياة. ويعتقدون أن كل مـظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قـواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة، ستخـرج منها الأمة بتضحيات كبيرة فى غير فائدة، فـخير للأمم التى تريد النهوض أن تسلك إليه أخصـر الطريق باتباعها أحكام الإسلام.

والإخوان المسلمون لا يختصُّون بهذه الدعوة قطراً دون قطر من الأقطار الإسلامية، ولكنهم يرسلونها صيحة يرجـون أن تصل إلى آذان القادة والزعماء فى كل قطر يدين أبناؤه بدين الإسـلام. وإنهم لينتهـزون لذلك هذه الفرصـة التى تتحـد فيهـا الأقطار الإسلامية وتحاول بناء مستقبلها على دعائم ثابتة من أصول الرقى والتقدم والعمران.

○ احذروا الانحراف :

وإنّ أكبر ما يخشاه الإخوان المسلمون أن تندفع الشعوب الشرقية الإسلامية فى تيار التقليد، فترقع نهـضاتها بتلك النظم البالية التى انتقضت على نفسـها وأثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها. إنّ لكل أمة من أمم الإسـلام دستوراً عامًا فيجب أن تستمد مواد دستورها العام من أحكام القـرآن الكريم، وإنّ الأمة التى تقول فى أول مادة من مواد دستورها : إنّ دينها الرسمى الإسلام، يجب أن تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة، وكل مـادة لا يسيغهـا الإسلام ولا تجيزها أحكامـه يجب أن تحذف حتى لا يظهر التناقض فى القانون الأساسى للدولة.

○ أصلحوا القانون :

وإنّ لكل أمة قانونًا يتحاكم إليه أبناؤهـا، وهذا القانون يجب أن يكون مستمدًا من أحكام الشريعة الإسلامية مأخوذًا عن القرآن الكريم متفقًا مع أصول الفقه الإسلامى. وإنّ فى الشريعـة الإسلامية وفـيما وضعـه المشترعـون المسلمون ما يسد الثـغرة ويفى بالحاجة وينقع الغلة، ويؤدى إلى أفضل النتـائج وأبرك الثمرات وإنّ فى حدود الله لو

نفذت لزاجراً يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام ويكف العادى . . وإن تأصل فى نفسه العدوان، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده، وأصول التشريع الحديث تنادى به وتدعمه، والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤].

◌ أصلحوا مظهر الاجتماع :

وإنّ فى كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات، فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره. إن البغاء الرسمى لطخة عار فى جبين كل أمة تقدّر الفضيلة، فما بالك بالأمم الإسلامية التى يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزناة بشدة: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾

[النور: ٢]

إنّ حانات الخمر فى أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية، وهذه الإعلانات الظاهرة الواضحة عن أم الخبائث مظاهر يأباها الدين، ويحرمها القرآن أشد التحريم.

◌ حاربوا الإباحية :

وإنّ هذه الإباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث فى الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع، يناقض ما أوصى الإسلام باتباعه من عفة وشهامة وإباء وانصراف إلى الجد وابتعاد عن الإسفاف. «إنّ الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها».

فكل هذه المظاهر وأشباهها، على الأمم الإسلامية أن تبذل فى محاربتها ومناهضتها كل ما فى وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود، لا تنى فى ذلك ولا تتواكل.

◌ نظموا التعليم :

وإنّ لكل أمة وشعب إسلامى سياسة فى التعليم وتخريج الناشئة وبناء رجال المستقبل، الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة، فيجب أن تبنى هذه السياسة على

أصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية وحصانة خلقية، ومعرفة بأحكام دينهم، واعتدادًا بمجده الغابر وحضارته الواسعة.

هذا قليل من كثير من الأصول التي يريد الإخوان المسلمون أن ترعاها الأمم الإسلامية في بناء النهضة الحديثة، وهم يوجهون دعوتهم هذه إلى كل المسلمين شعوبًا وحكومات. ووسيلتهم في الوصول إلى تحقيق هذه الغايات الإسلامية السامية وسيلة واحدة: أن يبينوا ما فيها من مزية وأحكام، حتى إذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته أنتج ذلك عملهم له ونزولهم على حكمه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

انتفعوا بإخاء إخوانكم:

ينادي الإسلام أبناءه ومتبعيه فيقول لهم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

[آل عمران: ١٠٣]

ويقول القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي آية أخرى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ويقول النبي الكريم ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا» وكذلك فهم المسلمون الأولون - رضوان الله عليهم - من الإسلام هذا المعنى الأخوي، وأملت عليهم عقيدتهم في دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف، وأنبل مظاهر الأخوة والتعارف، فكانوا رجلاً واحدًا وقلبًا واحدًا ويدًا واحدة، حتى امتن الله بذلك في كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

تطبيق:

وإنّ ذلك المهاجر الذي كان يترك أهله، ويفارق أرضه في مكة ويفرّ بدينه، كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتيان يثرب ينتظرون وكلهم شوق إليه وحب له وسرور بمقدمه، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم صلة، وما ربطهم به وشيجة من صهر أو

عمومة، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة. وإنما هى عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به، ويعدونه جزءًا من أنفسهم، وشقيقًا لأرواحهم، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه ويفديه بروحه وعياله، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع، حتى روى الإمام البخارى ما معناه : «ما نزل مهاجرى على أنصارى إلا بقرعة».

وحتى خلد القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر، فما زال يبدو غرة مشرقة فى جبين السنين فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ والَّذين تبوَّءُوا الدَّار والإيمان من قبلهم يُحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدُون فى صُدُورهم حاجةً ممَّا أُوتُوا ويُؤثرُون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المُفلحُون ﴾ [الحشر : ٩].

وعلى هذا درج أبناء الإسلام وخص الرعيل الأول ممن وجدت بين نفوسهم الأخوة الإيمانية، لا فرق بين مهاجرهم وأنصاريهم، ولا بين مكّيهم ويمنيّهم، حتى أثنى الرسول الكريم على الأشاعرة من أهل اليمن بقوله ﷺ ما معناه :

«نعم القوم الأشعريون. إذا جهدوا فى سفر أو حضر جمعوا ما عندهم فوضعوه فى مزادتهم ثم قسموه بينهم بالسوية»

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم، وأحاديث النبى العظيم ﷺ، وطالعت سير الغر الميامين من أبناء هذا الدين، رأيت من ذلك ما يقر عينيك ويملأ سمعك وقلبك.

○ أخوة تعلن الإنسانية :

ولقد أثمرت هذه العقيدة ثمرتين لابد لنا من أن نجنيهما ونتحدث إليك عما فيهما من حلاوة ولذة وخير وفائدة، فأما الأولى منهما فقد أنتجت هذه العقيدة أن الاستعمار الإسلامى لم يشبهه استعمار فى التاريخ أبدًا، لا فى غايته ولا فى مسالكه وإدارته ولا فى نتائجه وفائدته، فإن المستعمر المسلم كان يفتح الأرض حين يفتحها ليُعلى فيها كلمة الحق، وينير أفقها بسنة القرآن الكريم، فإذا أشرقت على نفوس أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق ومحيت المظالم، وشملها العدل والإنصاف والحب والإخاء، ولم يكن هناك فاتح غالب وخصم مغلوب، ولكن إخوان متحابون

متآلفون، ومن هنا تذوب فكرة القومية، وتنجاب كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أمام فكرة الأخوة الإسلامية التى يبثها القرآن فى نفوس من يتبعونه جميعًا.

إنّ ذلك الفاتح المسلم قبل أن يغزو من غزا. ويغلب من غلب، قد باع نفسه وأهله، وتجرد من عصبيته وقوميته فى سبيل الله، فهو لا يغزو لعصبية ولا يغلب لقومية ولا ينتصر لجنسية، ولكنه يعمل حين يعمل (لله) ولله وحده لا شريك له، وإنّ أروع ما أثر من الإخلاص فى الغاية، وتجريد النفس من الهوى ما جاء فى الحديث الشريف ما معناه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، إنى أحب أن أجاهد فى سبيل الله، وأحب أن يُرى موقفى، فسكت النبى ﷺ ولم يجبه، فنزلت الآية الكريمة : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف: ١١٠]. أرأيت كيف اعتبر الإسلام تطلع هذا الشخص إلى الثناء والمدح وهما من طبائع النفوس شركًا خفيًا يجب أن يتنزه عنه ويسمو بشرف الغاية النبيلة عنه؟ وهل هناك أخلص من أن ينسى الإنسان نفسه فى سبيل غايته؟ وهل تظن أن رجلاً يشترط عليه دينه أن يتجرد من نفسه ويكبت عواطفها وميولها وأهواءها حتى يكون جهاده خالصًا لله وحده، يفكر بعد هذا فى أن يجاهد لعصبية أو يغزو لجنس أو قومية؟ اللهم لا.

إن ذلك المغلوب الذى شاء له القدر أن يسعد بالإسلام ويهتدى بهديه، لم يترك بلده وأرضه لأجنبى عنه يتحكم فيها ويسخره تسخير العبد الذليل، ويستأثر دونه بخيراتها، ولكنه ترك ما ترك لأنه يخلطه بنفسه ويمزجه بروحه ويناديه بإخلاص: لك ما لنا وعليك ما علينا، وكتاب الله تبارك وتعالى يفصل بيننا. فكلاهما فنى فى غايته وضحى فى سبيل مبدئه، وترك ما ترك ليعم الإنسانية نور الله، ولتسطع عليها شمس القرآن الكريم، وفى ذلك تمام إسعادها وكمال رقيها لو كانوا يعلمون.

○ أفق الوطن الإسلامى:

أما الثمرة الثانية فإن الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض، فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم، قطعة من الأرض الإسلامية العامة التى يفرض الإسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها، فكان من ذلك أن اتسع

أفق الوطن الإسلامى وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية إلى وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة، والحقائق التى جعلها الله للعالم هدى ونوراً، والإسلام حين يشعر أبناءه بهذا المعنى ويقرره فى نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدين، وتخليصها من غصب الغاصبين، وتحصينها من مطامع المعتدين .

○ **طريق طويلة :**

أرجو أن تكون هذه الكلمات المتتاليات فى بيان دعوة الإخوان المسلمين قد كشفت للقراء الكرام عن غايتهم، وأبانت لهم ولو إلى حد ما عن مناهجهم فى السير إلى هذه الغاية، وقد تحدثت من قبل إلى كثير من إخواننا الغيورين على الإسلام ومجده حديثًا طويلاً هو أشبه بهذه الكلمات التى رآها القراء تحت عنوان: (إلى أى شىء ندعو الناس).

ولقد أصغى إلىّ من حدثتهم إصغاءً مشكوراً، وكنا نتفهم القول تباعًا أولاً فأولاً، حتى خرجنا من المحادثة مقتنعين تمامًا بشرف الغاية ونجاح الوسيلة. وكم كانت دهشتى عظيمة حين رأيت منهم شبه إجماع على أن هذه السبيل مع التسليم بنجاحها طويلة، وأن التيارات الجارفة الهدامة فى البلد قوية، مما يجعل اليأس يدب إلى القلوب والقنوط يستولى على النفوس، وحتى لا يجد القراء الكرام فى أنفسهم هذا الشعور الذى وجده أولئك المتحدثون من قبل؛ أحببت أن تكون هذه الكلمة مفعمة بالأمل، فياضة باليقين فى النجاح إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وسأحصر الموضوع فى نظرتين إيجابيتين :

- **نظرة فلسفية اجتماعية :**

يقول علماء الاجتماع إنّ حقائق اليوم هى أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويعززها الدليل والبرهان، بل هى محور تقدم الإنسانية وتدرجها مدارج الكمال، فمن ذا الذى كان يصدق أن يصل العلماء إلى ما وصلوا إليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين، بل إن أساطين العلم أنفسهم أنكروها لأول عهدهم بها، حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان، والمثل على ذلك كثيرة، وهى من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الإطالة بذكرها.

- نظرة تاريخية :

إنّ نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها أن وصولها إلى ما تبتغي ضرب من المحال. ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح. ومن ذا الذى كان يصدّق أن الجزيرة العربية وهى تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحى والسياسى على أعظم دول العالم؟ ومن ذا الذى كان يظن أن أبا بكر وهو ذلك القلب الرقيق اللين، وقد انتقض الناس عليه وحار أنصاره فى أمرهم، يستطيع أن يُخرج فى يوم واحد أحد عشر جيشًا تقمع العصاة وتقيم المعوج؛ وتؤدب الطاغى وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله فى الزكاة من المانعين؟ ومن ذا الذى كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بنى علىٍّ والعباس تستطيع أن تقلب ذلك الملك القوى الواسع الأكناف بين عشية أو ضحاها، وهى ما كانت يومًا من الأيام إلا عرضة للقتل والتشريد والنفى والتهديد؟ ومن ذا الذى كان يظن أن صلاح الدين الأيوبى يقف الأعوام الطوال، فيرد ملوك أوروبا على أعقابهم مدحورين، مع توافر عددهم وتظاهر جيوشهم، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكًا من ملوكهم الأكابر؟

ذلك فى التاريخ القديم، وفى التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك، فمن كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً، ثم يكون بعد ذلك أملاً من آمال العالم الإسلامى فى إعادة مجده وإحياء وحدته؟ ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألمانى (هتلر) يصل إلى ما وصل إليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية ؟

○ هل هناك طريق أخرى :

وثم نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها، وتوجهان قلب الغيور إلى العمل توجيهًا قويًا صحيحًا. أولاهما: أنّ هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها فى بناء النهضات بناءً صحيحًا وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرية: الواجب أولاً.

وثانيتهما أنّ العامل يعمل لأداء الواجب أولاً، ثم للأجر الأخروى ثانيًا، ثم للإفادة ثالثًا، وهو إن عمل فقد أدى الواجب، وفاز بثواب الله ما فى ذلك من شك، متى توفرت شروطه؛ وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله، فقد تأتى فرصة لم تكن فى حسابه تجعل عمله يأتى بأبرك الثمرات، على حين أنه إذا قعد عن العمل فقد لزمه إثم التقصير، وضاع منه أجر الجهاد وحرم الإفادة قطعًا فأى الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى صراحة ووضوح فى الآية الكريمة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

* * *

قصة أمة تتكون

○ ضعف :

نحن الآن أمام جبار متكبر يستعبد عباد الله ويستضعفهم ويتخذهم خدمًا وحشمًا وعبيدًا وخولا، وبين شعب من الشعوب الكريمة المجيدة استعبده ذلك الطاغية الجبار، ثم أراد الله تبارك وتعالى أن يعيد لهذا الشعب المجيد حريته المسلوبة وكرامته المغصوبة ومجده الضائع وعزه البائد، فكان أول شعاع من فجر حرية هذا الشعب إشراق شمس زعيمه العظيم (موسى) على الوجود طفلاً رضيعًا: ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (٤) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ [القصص: ٣-٥].

○ زعامة :

ونحن بعد هذا أمام هذا الزعيم وقد بلغ أشده واستوى، وتولته العناية الإلهية بعد أن أنفت نفسه الظلم وعافت الضيم، ففر بنفسه وهرب بحريته، حيث اصطنعه الله لنفسه وحمله عبء رسالته، وأسند إليه خلاص شعبه؛ فآب مملوءًا بالإيمان مؤيدًا باليقين، يواجه ذلك الجبار فيطلب إليه أن يعيد إلى شعبه حريته ويترك له كرامته ويؤمن به ويتبعه. وما أروع ذلك التهكم المر اللاذع حين يحكي القرآن الكريم قول الرسول العظيم: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾[الشعراء: ٢٢]. أيها الجبار المتحكم في عباد الله لا عبادك، هل من النعمة التي تذكرني بها والجميل الذي تسديه إلى أن تستعبد شعبي وتحقر أمتي وتمتهن قومي ؟ إنها صيحة الحق دوت من فم النبي الكريم فزلزلت عرش الجبار وهزت ملكه: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بني إسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين

﴿... (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

[الشعراء: ١٦-٢١]

○ صـــراع:

ونحن الآن نشهد غضبة القوة على الحق كيف تثور عليه وتنتقم منه وتعذب أهله وتقهر مناصريه، ثم كيف يصبر أهل الحق على كل ذلك، وكيف يحللهم رؤسائهم بالآمال الحلوة والأماني العذبة حتى لا يجد الخور إلى نفوسهم سبيلاً: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٧، ١٢٨].

○ إيمـــان:

وما أروع أن نشهد ذلك النموذج الخالد من الثبات والصبر، والاستمساك بعروة الحق، والاستهانة بكل شيء حتى الحياة في سبيل الإيمان والعقيدة من أتباع هذا الزعيم الذين آمنوا بدعوته، وقد تحدوا هذا الجبار في استهانة واستماتة: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

○ انتصـــار:

فإذا رأينا كل ذلك رأينا عاقبته في القسم الخامس وما أدراك ما هي؟ فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف إلى المهضومين، وأمل يتحقق للحالمين، وصيحة الحق المبين تدوي في آفاق الأرض: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ [طه: ٨٠].

* * *

نحو النور

تقدمة

فى رجبٍ من سنة ١٣٦٦ هجرية بعث الإمام الشهيد حسن البنّا، المرشد العام للإخوان المسلمين ، بهذا الخطاب إلى الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان، وإلى مصطفى النحاس (باشا) رئيس حكومتها حينذاك، وإلى ملوك وأُمراء وحكام بلدان العالم الإسلامى المختلفة؛ كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين فى هذه البلدان من ذوى الصفات الدينية والدنيوية. وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن، فلازالت كثير من النظرات التى تضمنها والتوجيهات التى اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربى ولكل مسلم ، نسأل الله تحقيقها .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] القاهرة عاصمة الديار المصرية فى رجب الفرد ١٣٦٦هجرية .

○ حضرة صاحب...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة إلى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة فى توجيه الأمة التى استرعاكم الله أمرها، ووكل إليكم شأنها فى عهدها الجديد، توجيها صالحًا يقيمها على أفضل المسالك ويرسم لها خير المناهج ويقيها التزلزل والاضطراب ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة .

ولسنا نبغى من وراء ذلك شيئًا إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة .. وثواب الله خير وأبقى .

* * *

تبعة الراعى

○ يا صاحب ...

إنّ الله وكل إليكم أمر هذه الأمة، وجعل مصالحها وشئونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم، وأنتم مسئولون عن ذلك كله بين يدى الله تبارك وتعالى، ولئن كان الجيل الحاضر عدتكم، فإن الجيل الآتى من غرسكم؛ وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل رجل عن أمة: «وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». وقديمًا قال الإمام العادل: (لو عثرت بغلة فى العراق لرأيتنى مسئولاً عنها بين يدى الله تبارك وتعالى لِمَ لَمْ أسوِّ لها الطريق؟) وصوَّر الإمام عمر بن الخطاب عظيم التبعة فى جملة فقال: (لوددت أن أخرج منها كفافًا لا لى ولا علىّ).

مقدمات

أ - عهد الانتقال:

وإنّ أخطر العهود فى حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال. إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التى يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها؛ فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والمناهج واضحة صالحة قوية فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة، وبشر قادتها إلى هذا الفوز، وأدلتها فى هذا الخير، بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة.

ب - على مفترق طريقين :

ولقد كانت المهمة ذات شطرين :

أولهما: تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها .

وثانيهما : بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتنافس غيرها فى درجات الكمال الاجتماعى .

والآن وقد وضع النضال السياسى أوزاره إلى حين، وأصبحتم تستقبلون بالأمة عهداً جديداً، فإنكم سترونَ أمامكم طريقين، كل منهما يهيب بكم أن توجهوا الأمة وجهته وتسلكوا بها سبيله، ولكل منهما خواصه ومميزاته وآثاره ونتائجه ودعاته ومروجوه. فأما الأول فطريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته، وأما الثانى فطريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها.

وعقيدتنا أن الطريق الأول طريق الإسلام وقواعده وأصوله هو الطريق الوحيد الذى يجب أن يُسلك وأن توجه إليه الأمة الحاضرة والمستقبلة.

ج - مزايا التوجه الإسلامى:

وإننا إذا سلكنا بالأمة هذا المسلك استطعنا أن نحصل على فوائد كثيرة؛ منها أن

المنهاج الإسلامى قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته، وأخرج للناس أمة من أقوى الأمم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الإنسانية جميعًا، وله من قدسيته واستقراره فى نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا إليه، فضلاً عن الاعتزاز بالقومية والإشادة بالوطنية الخالصة. إذ إننا نبنى حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ عن غيرنا. وفى ذلك أفضل معانى الاستقلال الاجتماعى والحيوى بعد الاستقلال السياسى.

وفى السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية أولاً ثم للوحدة الإسلامية ثانيًا، فيمدنا العالم الإسلامى كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده، ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه، وفى ذلك ربح أدبى كبير لا يزهد فيه عاقل.

وهذا المنهاج تام شامل، كفيل بتقرير أفضل النظم للحياة العامة فى الأمة عملية وروحية. وهذه هى الميزة التى يمتاز بها الإسلام، فهو يضع نظم الحياة للأمم على أساسين مهمين: أخذ الصالح وتجنب الضار.

فإذا سلكنا هذا السبيل استطعنا أن نتجنب المشكلات الحيوية التى وقعت فيها الدول الأخرى، التى لم تعرف هذا الطريق ولم تسلكه، بل استطعنا أن نحل كثيراً من المشكلات المعقدة التى عجزت عن حلها النظم الحالية، وإنا نذكر هنا كلمة برنارد شو: (ما أشد حاجة العالم فى عصره الحديث إلى رجل (كمحمد) يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجانًا من القهوة).

وبعد ذلك كله فإننا إذا سلكنا هذا السبيل كان تأييد الله من ورائنا يقوينا عند الوهن، وينقذنا فى الشدائد ويهون علينا المشاق ويهيب بنا دائمًا إلى الأمام: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٤-١].

د - المدنية الغربية الآن:

ومن تمام هذا البحث أن نقول: إنّ مدنية الغرب التى زهت بجمالها العلمى حينًا من الدهر، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه، تفلس الآن وتندحر، وتندك أصولها وتتهدم نظمها وقواعدها، فهذه أصولها السياسية تقوضها

الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضى عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة فى كل مكان، وقد حار القوم فى علاج شأنها وضلوا السبيل. مؤتمراتهم تفشل، ومعاهداتهم تخرق، ومواثيقهم تمزق، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له، ويد العظيم فيهم توقّع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة فى ناحية، بينما تلطمه اليد الثانية فى ناحية أخرى أقسى اللطمات. وهكذا أصبح العالم بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة كسفينة فى وسط اليم، حار ربانها وهبت عليها العواصف من كل مكان. الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة، فهى فى أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الإسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة.

لقد كانت قيادة الدنيا فى وقت ما شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية إلى الشرق مرة ثانية ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة. فكانت سنة الله التى لا تتخلف، وورث الغرب القيادة العالمية، وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط، فلم يبق إلا أن تمتد يد «شرقية» قوية يظللها لواء الله وتخفق على رأسها راية القرآن ويمدها جند الإيمان القوى المتين، فإذا بالدنيا مسلمة هانئة، وإذا بالعوالم كلها هاتفة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

[الأعراف: ٤٣]

ليس ذلك من الخيال فى شىء، بل هو حكم التاريخ الصادق، إن لم يتحقق ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٥٤].

بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة، ويكتبون فى ديوان هذا الشرف ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه

ليس فى الدنيا نظامٌ يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الإسلام بذلك كله أممه الناهضة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة، وضرب الأمثال فيها بالإجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى، وعالج هذه النواحى علاجًا دقيقًا واضحًا، لا تأخذ به أمة حتى تصل إلى ما تريد.

أ- الإسلام والأمل:

تحتاج الأمة الناهضة إلى الأمل الواسع الفسيح، وقد أمد القرآن أممه بهذا الشعور بأسلوب يخرج من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلاً إلى الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال، وإن أضعف الأمم إذا سمعت قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

إن أضعف الأمم إذا سمعت هذا التبشير كله، وقرأت ما أشار إليه من قصص

تطبيقيـة واقعية، لابد أن تخرج بعد ذلك أقـوى الأمم إيمانًا وأرواحًا، ولابد أن ترى فى هذا الأمل ما يدفعها إلى اقتحام المصاعب مهـما اشتدت، ومقارعة الحوادث مهما عظمت، حتى تظفر بما تصبو إليه من كمال.

ب - الإسلام والعزة القومية :

وتحتـاج الأمم الناهضة إلى الاعـتزاز بقومـيتهـا كأمـة فاضلة مجـيدة لهـا مزاياها وتاريخـها، حـتى تنطبع الصـورة فى نفوس الأبناء، فـيفـدون ذلك المجد والشـرف بدمائهم وأرواحهم، ويـعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسـعاده. هذا المعنى لن تراه واضحًـا فى نظام من النظم عادلاً فاضـلاً رحيمًـا كما هو فى الإسـلام الحنيف، فإن الأمة التى تعلم أن كرامتـها وشرفها قد قدسه الله فى سـابق علمه وسجله فى محكم كتابه، فقـال تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. لهى أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها.

ولقد عـملت الأمم الحديثـة على ترسيخ هذا المعنى فى نـفوس شـبابها ورجـالها وأبنائها جـميـعًا؛ ومن هنا سمـعنا: (ألمانيا فـوق الجميع)، (وإيطالـيا فوق الجـميع)، (وسودى يا بريطانيا واحـكمى) ولكن الفارق بين الشعور الذى يمليـه المبدأ الإسلامى وبين الشعور الذى أملته هذه الكلمات والمبادئ، أن شـعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله، على حين ينقطع شعـور غيره عند حد القول فقط من جهـة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام حدد الغاية من خلق الشعور وشدد فى التزامها، وبيّن أنها ليست العصبـية الجنسـية والفخـر الكاذب، بل قيـادة العالم إلى الخـير، ولهـذا قال تبارك وتـعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ومعنى ذلك مناصرة الفـضيلة ومقـارعة الرذيلة واحترام المثل الأعلى وملاحظتـه عند كل عمل، ولهذا أنتج الشعـور بهذه السيادة فى السلف المسلم منتـهى ما أثر عن الأمم من عدالة ورحمـة. أما مبـدأ السيـادة فى نفس الأمم الغربية فـلم يحدد غايتـه بغيـر العصبـية الخاطئة، ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة. فكان المبدأ الإسلامى أخذ خيـر ما فى هـذه الناحيـة، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤه، وجنبـهم ما فـيها مـن شر

وطغيان، ولقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامى، وأوصى بالعمل لخيره والتضحية فى سبيل حريته وعزته، فالوطن فى عرف الإسلام يشمل:

١ - القطر الخاص أولاً.

٢ - ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار.

٣ - ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التى شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجد؛ فكل هذه الأقاليم يُسأل المسلم بين يدى الله تبارك وتعالى لماذا لم يعمل على استعادتها.

٤ - ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعًا؛ ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وبذلك يكون الإسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

ج - الإسلام والقوة الجندية:

وتحتاج كذلك الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطبع الجندية، ولا سيما فى هذه العصور التى لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتى صار شعار أبنائها جميعاً: (القوة أضمن طريق لإحقاق الحق).

والإسلام لم يغفل هذه الناحية، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم فى شىء، وليس فى الدنيا كلها نظام عنى بهذه الناحية، لا فى القديم ولا فى الحديث، كما عنى بذلك الإسلام فى القرآن وفى حديث رسول الله ﷺ وسيرته، وإنك لترى ذلك ماثلاً فى قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وفى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهل رأيت منشوراً عسكريًا فى كتاب مقدس يتلى فى الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذى يبتدئ بالأمر المنجز فى قوله تعالى: ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ [النساء: ٧٤]. ثم يبين الجزاء بعد ذلك: ﴿ ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [النساء: ٧٤].

ثم يتلو ذلك باستثارة أنبل العواطف فى النفوس وهى استنقاذ الأهل والوطن فيقول: ﴿ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ [النساء: ٧٥].

ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غاية عدوهم، ليبين لهم أنهم يجودون بثمن غال هو الحياة على سلعة غالية تستحقه وتربو عليه وهى رضوان الله، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية، فهم أضعف نفوسًا وأخزى أفئدة، فذلك قوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ [النساء: ٧٦].

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا، وأن الإقدام لن يضرهم شيئًا بل سيكسبون به الجزاء الكبير، والإحجام لا يغنيهم شيئًا فالموت من ورائهم لا محالة، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (٧٧) أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾

[النساء: ٧٧، ٧٨].

يريك أى منشور عسكرى فى هذه القوة وفى هذا الوضوح يبعث فى نفس الجندى كل ما يريد القائد من همة وعزة وإيمان ؟

وإذا كان قوام الحياة العسكرية فى عرفهم أمرين، هما: النظام والطاعة، فقد

جمعهـما الله فى آيتين من كتابه فقـال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

كما قال تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١].

وإنك إذا قرأت ما جـاء به الإسلام فى إعداد العدة واستكمـال القوة وتعليم الرمى ورباط الخيل، وفضل الشهـادة وأجر الجهاد وثواب النفقة فيه ورعايـة أهله واستيعاب صنوفه، لرأيت من ذلك ما لايحصيـه الحصر، سواء فى الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة أو السيرة المطهرة أو الفقه الحنيف: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]

ولقد عُنِيَت بـذلك الأمم الحديثة فـبنت نفسهـا على هذه القواعـد، ورأينا أساس فاشستية مـوسولينى ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساسًـا عـسكريًا بحتًا، ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الإسـلام فرق عظيم، فإن الإسلام الذى قـدس القوة هذا التقديس، هو الذى آثر عليها السلم، فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وهو الذى حدد ثمن النصر ومظاهره فقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وهو الذى وضع أساس القانون الدولى الحـربى فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ولأمر ما كانت وصية الرسول ﷺ وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمـة والرفق: «ولا تغـدروا ولا تغُلّوا ولا تمثلوا ولا تقـتلوا امرأة ولا طـفلاً ولا شـيخًا كبيرًا، ولا تقطعوا شجرة مثمـرة ولا تجهزوا على جريح؛ وستمرون فى أقوام ترهبوا فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».

كذلك كـانت العسكرية فى الإسلام بوليـس العدالة وشرطة القـانون والنظام. أما عسكرية أوروبا الآن فقد علم الناس جميعًا عنها أنها جيش الظلم وجند المطامع. فأى الفريقين خير مقامًا وأحسن نديا؟

د- الإسلام والصحة العامة:

ولما كانت الأمم الناهضة فى حاجة إلى هذه الجندية الفاضلة. وكان قوام هذه الجندية صحة الأبدان وقوة الأجسام؛ فقد أشار القرآن إلى هذا المعنى فى بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال فى سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها، فاختار الله لها زعيمًا قوى الفكر وقوى الخلق، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بنى إسرائيل فى تزكية الزعيم طالوت قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ولقد شرح الرسول ﷺ هذا المعنى فى كثير من أحاديثه، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم، كما حثهم على قوة أرواحهم، فالحديث الصحيح يقول: «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف» ويقول: «إن لبدنك عليك حقًا» ولقد بين رسول الله ﷺ للأمة كثيرًا من قواعد الصحة العامة وبخاصة فى علم الوقاية، وهو أفضل شطرى الطب، فقوله ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»، وتحريه ﷺ فيما يشرب من ماء، فى الحديث: «كان ﷺ يستعذب الماء» ونهيه عن البول والتبرز فى المياه الراكدة، وإعلانه الحجر الصحى على البلد المطعون وأهله، فلا يتركونه ولايتزله غيرهم، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم، وأخيراً عنايته ﷺ بكثير من فروع رياضة البدن كالرمى والسباحة والفروسية والعدو، وحث أمته عليها وعلى العناية بها حتى جاء فى الحديث: «من علم الرمى ثم نسيه فليس منى» ونهيه ﷺ نهيًا مشددًا عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها تقربًا إلى الله تبارك وتعالى، وإرشاده الأمة إلى جانب الاعتدال فى ذلك كله، كل هذا ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده فى المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه من خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام.

هـ - الإسلام والعلم:

وكما تحتاج الأمة إلى القوة كذلك تحتاج إلى العلم الذى يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات، والإسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره، وحسبك أن أول آية نزلت من

كتاب الله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم﴾[العلق: ١-٤].

وأن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرى عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، عملاً على محو الأمية عن الأمة. ولم يسوِّ الله بين العلماء وبين الجاهلين، فقال تبارك وتعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[الزمر: ٩]. وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء، ولازم القرآن بين العلم والقوة في الآيتين الكريمتين: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢) يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[التوبة: ١٢٢، ١٢٣].

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعًا، وجمع علوم الكون في آية واحدة، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾[فاطر: ٢٧]. وفي ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض ثم قال تعالى: ﴿فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾[فاطر: ٢٧]. وفي ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾[فاطر: ٢٧] وفي ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾[فاطر: ٢٨]. وفيها الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئًا من علوم الكون؟ ثم يردف ذلك بقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[فاطر: ٢٨].

أفلست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته؟ اللهم فقه المسلمين في دينهم.

و - الإسلام والخلق :

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق. الخلق الفاضل القوى المتين والنفس الكبيرة العالية الطموح، إذ إنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة النابعة من الإيمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ. وإنما يصوغ هذه النفس الكاملة الإسلام وحده، فهو الذى جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح، فقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩].

وجعل تغيير شئون الأمم وقفاً على تغير أخلاقها وصلاح نفوسها فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

وإنك لتسمع الآيات البالغة فى مفردات الأخلاق الكريمة فتراها القوة التى لا تغالب فى إصلاح النفوس وإعدادها وتزكيتها وتصفيتها، مثل قوله تعالى فى الوفاء: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

وفى البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وليس كالإسلام عاملاً على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور وإقامة رقيب على النفس وذلك خير الرقباء، وبغيره لا ينتظم قانون ما إلى أعماق السرائر وخفيات الأمور.

ز - الإسلام والاقتصاد :

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شئونها الاقتصادية، وهى أهم الشئون فى هذه العصور، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها، وها أنت ذا تسمع قول الله تبارك وتعالى فى المحافظة على المال وبيان قيمته ووجوب الاهتمام به: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: ٥]

ويقول في موازنة إنفاق الدخل:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩].

ويقول رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد» وهوكما يصدق في الفرد يصدق في الأمة مع قوله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». وأي نظام اقتصادي فاضل يرحب به الإسلام ويدعو الأمة إلى تشجيعه ولا يقف أبداً في سبيله، والفقه الإسلامي مملوء بأحكام المعاملات المالية، وقد فصلها تفصيلاً لا يدع زيادة لمستزيد.

وبعد، فإن الأمة إذا توافرت لها هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم والقوة والصحة والاقتصاد فهي بلا شك أقوى الأمم والمستقبل لها، ولا سيما إذا أضيف إلى ذلك أنها قد طهرت من الأثرة والعدوان والأنانية والطغيان، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله، وأن الإسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض في النكول عنه والعدول عن طريقه.

ح - نظم الإسلام العامة:

هذه ناحية واحدة من نواحي الجمال في بعض النظم الإسلامية وهي النظم الخاصة بنهضة الأمم، على اعتبار أننا نستقبل عصر النهضة، أما كل نواحي الجمال في كل النظم الإسلامية فذلك ما يحتاج إلى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الأطراف، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الإجمال وهي: إن نظم الإسلام فيما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو الأمة حكومتها وشعبها، أو صلة الأمم بعضها ببعض، نظم الإسلام في ذلك كله قد جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها، إنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثًا أوقديمًا. هذا حكم يؤيده التاريخ ويثبته البحث الدقيق في كل مظاهر حياة الأمة.

ولقد كان هذا الحكم خاصًا فصار الآن عامًا يشهد به كل منصف، وكلما تغلغل الباحثون في بحوثهم كشفوا من نواحي الجمال في هذه النظم الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم وصدق الله القائل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [فصلت: ٥٣].

الإسلام يحمى الأقليات ويصون حقوق الأجانب

ياصاحب...

يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساسًا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة، وينافى الوحدة بين عناصر الأمة وهى دعامة قوية من دعائم النهوض فى هذا العصر. ولكن الحق غير ذلك تمامًا فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لايحتمل لبسًا ولا غموضًا فى حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] .

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم، وإن الإسلام الذى قدس الوحدة الإنسانية العامة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات١٣]. ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك. فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعًا فى قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾
[البقرة: ١٣٦-١٣٨]

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة فى غير صلف ولا عدوان، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الحجرات: ١٠]

هذا الإسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سببًا فى تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط .

وقد حدد الإسلام تحديدًا دقيقًا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم، فقال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الممتحنة: ٩]

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفسادًا كبيرًا بين أبنائها ونقضًا لنظام شئونها.

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعًا أدق علاج وأنجعه وأصفاه.

* * *

الإسلام لا يعكر صفو العلائق بيننا وبين الغرب

وقد يظن الناس كذلك أن نظم الإسلام في حياتنا تباعد بيننا وبين الدول الغربية، وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر، وهو أيضًا ظن عريق في الوهم، فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون فهي لاترضى عنا سواء تبعنا الإسلام أم غيره، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا فقد صرح خطباؤها وساستها بأن كل دولة حرة في النظام الذي تسلكه في داخل أرضها، ما دام لا يمس حقوق الآخرين فعلى ساسة هذه الدول جميعًا أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولي هو أقدس شرف عرفه التاريخ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام الدولي لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها.

فالإسلام هو الذي يقول في المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات: ﴿وَأَوْفُوا

بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [الإسراء: ٣٤]. ويقول: ﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾ [التوبة: ٤]. ويقول: ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ [التوبة: ٧]. ويقول فى إكرام اللاجئين وحسن جوار المستجيرين: ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ [التوبة: ٦].

وهذا فى المشركين فكيف بالكتابيين؟

فالإسلام الذى يضع هذه القواعد ويسلك بأتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانة أخرى، تضمن لهم. نقول إنه من خير أوربا نفسها أن تسودها هذه النظريات السديدة فى معاملات دولها بعضها لبعض، فذلك خير لهم وأبقى.

* * *

أصول النهضة فى الشرق غير أصولها فى الغرب

يا صاحب...

من الأسباب التى دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام واختيار تقليد الغرب دراسة قادتها للنهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا على تحطيم الدين وهدم الكنائس، والتخلص من سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية فى الأمة، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تامًا. وذلك إن صح فى الأمم الغربية فلا يصح أبدًا فى الأمم الإسلامية، لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أى دين آخر، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظم، مما جعل القواعد الأساسية فى الإسلام على مر القرون، تساير العصور وتدعو إلى الرقى وتعضد العلم وتحمى العلماء، فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا، وتلك بحوث واسعة وضعت فيها الكتب الكثيرة، ومهمتنا فى هذه الرسالة أن نلم بالموضوع إلمامة قصيرة من باب التذكرة والقضاء على الشبهات، ونحن على يقين من أن كل منصف معنا فى هذه القاعدة، وعلى ذلك فلا يجوز أبدًا أن يكون هذا الشعور رائدنا فى نهضتنا الجديدة، التى يجب أن ترتكز أول ما ترتكز على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة، وهو ما يأمر به الإسلام.

ومن المبررات التى اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية، وتجنيهم على الوطنيين وممالأتهم للغاصبين وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على مصلحة البلد والأمة، وذلك إن صح فهو ضعف من رجال الدين أنفسهم لا فى الدين ذاته، وهل يأمر الدين بهذا؟. وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون على الملوك والأمراء أبوابهم وسدودهم، فيقرعونهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم ويبينون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة بل ويحملون السلاح فى وجوه الجور والظلم. وما نسى التاريخ بعد كتيبة الفقهاء فى صف ابن الأشعث فى شرق الدولة الإسلامية، ولا ثورة القاضى ابن يحيى الليثى المالكى فى غربها.

هذه تعاليم الدين، وهذا ماضى رجاله من فقهاء المسلمين فهل فيه شىء من هذا الذى يزعمون؟ وهل من الإنصاف أن يتحمل الدين تبعة رجال انحرفوا عنه؟

وعلى أن هذه المزاعم إن صحت فى قوم فليست صحيحة فى الجميع، وإن وقعت لظرف خاص فليست تساير كل الظروف، وهذا تاريخ النهضات الحديثة فى الشرق حافل بمواقف رجال الدين المسلمين فى كل أمة من الأمم، وما موقف الأزهر فى مصر والمجلس الأعلى سوريا الجنوبية «فلسطين» وسوريا الشمالية «لبنان» ومولانا أبى الكلام وإخوانه من جلة العلماء فى الهند وزعماء المسلمين فى أندونيسيا بمنسى ولا بعيد، فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة، أوليس الأنفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلاً من أن تقف منهم موقف المبيد؟. على أن هذه التعبيرات التى سرت إلينا تقليداً ومنها (رجال الدين) لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا، فإنها إن كانت فى الغرب خاصة (بالأكليروس) فإنها فى العرف الإسلامى تشمل كل مسلم، فالمسلمون جميعًا من أصغرهم لأكبرهم (رجال دين).

يا صاحب...

بعد كل ما تقدم لا عذر لنا إن جانبنا طريق الحق: طريق الإسلام، واتبعنا طريق الشهوات والزخارف: طريق أوربا. وفي طريق أوربا زينة وبهرج، وفيه لذائذ وترف، وفيه تحلل وإباحية، وفيه ما تهوى الأنفس من متعة، وكل ذلك إلى النفس حبيب وقد قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران: ١٤].

ولكن طريق الإسلام عزة ومنعة، وحق وقوة، وبركة واستقامة، وثبات وفضيلة ونبل، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

وإنما أهلك الأمم الترف، وإنما زلزلت أوربا المتع والمطامع: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وإن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين إلى يوم القيامة، وبعث معه كتابه الحق نوراً وهدى إلى يوم القيامة، وإن زعامة الرسول ﷺ باقية بسنته، وإن سلطان القرآن قوي بحجته، وإن الإنسانية صائرة إليهما لا محالة بعز عزيز أو بذل ذليل من قريب أو من بعيد حتى يتحقق قول الله: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾

[الفتح: ٢٨]

فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله ﷺ بقارورة الدواء من طب القرآن لاستنقاذ العالم المعذب المريض.

إنها خطوة جريئة ولكنها موفقة إن شاء الله تعالى والله غالب على أمره: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

[الروم: ٤، ٥]

بعض خطوات الإصلاح العلمى

يا صاحب..

بعدما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة فى نهضتنا الجديدة من شعور روحى، نحب أن نعرض ختامًا لبعض المظاهر والآثار العملية التى يجب أن يمليها هذا الشعور، وسنذكر هنا رؤوس موضوعات فقط ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الإخصائيين وكفايتهم، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعًا؛ ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم فى عشية أو ضحاها، كما أننا نعلم أن كثيرًا منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضى العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت سبيل الخير فهى لابد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى، فلتتوجهوا والله معكم. أما رؤوس مناحى الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامى الصحيح فهى:

أولاً: فى الناحية السياسية والقضائية والإدارية:

١ - القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية فى وجهة واحدة وصف واحد.

٢ - إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامى فى كل فروعه.

٣ - تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الإسلامى.

٤ - تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعًا، وبخاصة العربية منها تمهيدًا للتفكير الجدى فى شأن الخلافة الضائعة.

٥ - بث الروح الإسلامى فى دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعًا بأنهم مطالبون بتعاليم الإسلام.

٦ - مراقبة سلوك الموظفين الشخصى وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية.

٧ـ تقديم مواعيد العمل فى الدواوين صيفًا وشتاءً حتى يعين ذلك على قضاء الفرائض ويقضى على السهر الكثير.

٨ ـ القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط.

٩ ـ أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية، فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات بحيث لاتصطدم بتعاليم الإسلام، وتكون الدوريات فى الأعمال على تقسيم لايتضارب مع أوقات الصلاة.

١٠ ـ استخدام الأزهريين فى الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم.

ثانيًا: فى الناحية الاجتماعية والعلمية:

١ - تعويد الشعب احترام الآداب العامة، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون فى ذلك الشأن، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية.

٢ - علاج قضية المرأة علاجًا يجمع بين الرقى بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام، حتى لا تترك هذه القضية التى هى أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفرّطين.

٣ - القضاء على البغاء بنوعيه السرى والعلنى. واعتبار الزنا مهما كانت ظروفه جريمة منكرة يجلد فاعلها.

٤ - القضاء على القمار بكل أنواعه من ألعاب ويانصيب ومسابقات وأندية.

٥ - محاربة الخمر كما تحارب المخدرات، وتحريمها وتخليص الأمة من شرورها.

٦ - مقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون، والتشديد فى ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن فى حكمهن.

٧ - إعادة النظر فى مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان فى كثير من مراحل التعليم.

٨ - منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أى رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤاخذان بها.

٩ - تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك، ووضع تشريع يحمى الأسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج .

١٠ - إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص وما إلى ذلك.

١١ - مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد فى اختيار الروايات والأشرطة.

١٢ - تهذيب الأغانى واختيارها ومراقبتها والتشديد فى ذلك.

١٣ - حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والأغانى والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة فى تربية وطنية خلقية فاضلة.

١٤ - مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التى تعمل على إشاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالاً فاحشًا.

١٥ - تنظيم المصايف تنظيمًا يقضى على الفوضى والإباحية التى تذهب بالغرض الأساسى من الاصطياف.

١٦ - تحديد مواعيد افتتاح وإغلاق المقاهى العامة، ومراقبة ما يشتغل به روادها، وإرشادهم إلى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله.

١٧ - استخدام هذه المقاهى فى تعليم الأميين القراءة والكتابة، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامى والطلبة.

١٨ - مقاومة العادات الضارة اقتصاديًا أو خلقيًا أو غير ذلك، وتحويل تيار الجماهير عنها إلى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيبًا يتفق مع المصلحة وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها، وتكون الحكومة قدوة صالحة فى ذلك.

١٩ - اعتبار دعوة الحسبة، ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شىء من تعاليم الإسلام أو الاعتداء عليه كالإفطار فى رمضان وترك الصلاة عمدًا أو سب الدين وأمثال هذه الشئون.

٢٠ - ضم المدارس الإلزامية فى القرى والمساجد، وشمولهما معًا بالإصلاح التام من حيث الموظفين والنظافة وتمام الرعاية، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم.

٢١- تقرير التعليم الدينى مادة أساسية فى كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفى الجامعة أيضًا.

٢٢- تشجيع تحفيظ القرآن فى المكاتب العامة الحرة، وجعل حفظه شرطًا فى نيل الإجازات العلمية التى تتصل بالناحية الدينية واللغوية، مع تقرير حفظ بعضه فى كل مدرسة.

٢٣- وضع سياسة ثابتة للتعليم، تنهض به وترفع مستواه، وتوحد أنواعه المتحدة الأغراض والمقاصد، وتقرب بين الثقافات المختلفة فى الأمة، وتجعل المرحلة الأولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطنى الفاضل والخلق القويم.

٢٤- العناية باللغة العربية فى كل مراحل التعليم، وإفرادها فى المراحل الأولى عن غيرها من اللغات الأجنبية.

٢٥- العناية بالتاريخ الإسلامى والتاريخ الوطنى والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الإسلام.

٢٦- التفكير فى الوسائل المناسبة لتوحيد الأزياء فى الأمة تدريجيًا.

٢٧- القضاء على الروح الأجنبية في البيوت من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والممرضات إلخ، وتصحيح ذلك كله وبخاصة في بيوت الطبقات الراقية.

٢٨- توجيه الصحافة توجيهًا صالحًا وتشجيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الإسلامية الشرقية.

٢٩- العناية بشئون الصحة العامة من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق والإكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة وتسهيل سبل العلاج.

٣٠- العنايه بشأن القرية من حيث نظامها ونظافتها وتنقية مياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها.

ثالثًا: فى الناحية الاقتصادية:

١- تنظيم الزكاة دخلاً ومنصرفًا بحسب تعاليم الشريعة السمحة، والاستعانة بها فى المشروعات الخيرية التى لابد منها كملاجئ العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش.

٢ - تحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيمًا يؤدى إلى هذه الغاية، وتكون الحكومة قدوة فى ذلك بإلغاء الفوائد فى مشروعاتها الخاصة بها كبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها.

٣ - تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها واستخلاص ما فى أيدى الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة.

٤ - حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل منفعة ممكنة للجمهور.

٥ - تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

٦ - حصر الوظائف وخصوصًا الكثيرة منها، والاقتصار على الضرورى، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعًا عادلاً والتدقيق فى ذلك.

٧ - تشجيع الإرشاد الزراعى والصناعى، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

٨ - العناية بشئون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم فى مختلف النواحى الحيوية.

٩ - استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها.

١٠ - تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات فى الإنشاء والتنفيذ.

وبعد، فهذه رسالة الإخوان المسلمين، نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقى والتقدم، نجيب النداء ونكون الفداء، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وحسبنا الله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

حسن البنا

إلى الشباب
وإلى الطلبة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾

[سبأ: ٤٦ – ٥٠]

○ **أيها الشباب:**

أحمد الله الذى لا إله إلا هو، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين وسيد المجاهدين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

○ **أيها الشباب:**

إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها، وتوفر الإخلاص فى سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب. لأن أساس الإيمان القلب الذكى، وأساس الإخلاص الفؤاد النقى، وأساس الحماسة الشعور القوى، وأساس العمل العزم الفتى، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب. ومن هنا كان الشباب قديمًا وحديثًا فى كل أمة عماد نهضتها، وفى كل نهضة سر قوتها، وفى كل فكرة حامل رايتها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]

ومن هنا كثرت واجباتكم، ومن هنا عظمت تبعاتكم، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، ومن هنا ثقلت الأمانة فى أعناقكم، ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً، وأن تعملوا كثيرًا، وأن تحددوا موقفكم، وأن تتقدموا للإنقاذ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب.

قد ينشأ الشباب فى أمة وادعة هادئة، قوى سلطانها واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه أكثر ما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير. وقد ينشأ فى أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشئونها خصمها فهى تجاهد ما استطاعت فى سبيل استرداد حقها المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة والأمجاد الرفيعة، والمثل العالية. وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه. وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل فى ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله، ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثانى فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد مستمرة الكفاح فى سبيل الحق والحرية. واستعدوا يا رجال فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين.

○ أيها الشباب:

لعل من أخطر النواحى فى الأمة الناهضة - وهى فى فجر نهضتها - اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة المتصدين للتزعم والقيادة. وكل ذلك تفريق فى الجهود وتوزيع للقوى ويتعذر معه الوصول إلى الغايات. ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسيًا لابد منه لمن يريد الإصلاح.

ومن هنا كان من واجبى أن أشرح لكم فى وضوح موجز دعوة الإسلام فى القرن الهجرى الرابع عشر.

* * *

دعوة الإخوان المسلمين
أو دعوة الإسلام
فى القرن الهجرى الرابع عشر

يا شباب:

لقد آمنا إيمانًا لا جدال فيه ولا شك معه، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسى وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هى التى تنقذ الدنيا المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة وتهدى الناس سواء السبيل، وهى لذلك تستحق أن يضحى فى سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال، هذه الفكرة هى الإسلام الحنيف الذى لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فكرتنا لهذا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز ومنه تستمد وله تجاهد وفى سبيل إعلاء كلمته تعمل، لا تعدل بالإسلام نظامًا، ولا ترضى سواه إمامًا، ولا تطيع لغيره أحكامًا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولقد أتى على الإسلام والمسلمين حين من الدهر توالت فيه الحوادث وتتابعت الكوارث، وعمل خصوم الإسلام على إطفاء روائه وإخفاء بهائه وتضليل أبنائه وتعطيل حدوده، وإضعاف جنوده، وتحريف تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها، وأخرى بالزيادة فيها، وثالثة بتأويلها على غير وجهها، وساعدهم على ذلك ضياع سلطة الإسلام السياسية وتمزيق إمبراطوريته العالمية وتسريح جيوشه المحمدية ووقوع أممه فى قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين.

فأول واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ولا لبس معها، وذلك هو الجزء النظرى من فكرتنا، وأن

نطالبهم بتحقيقها ونحملهم على إنقاذها ونأخذهم بالعمل بهـا، وذلك هو الجزء العملى فى هذه الفكرة .

وعمادنا فى ذلك كله كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة، لا تبغى من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب وهداية البشر وإرشاد الناس .

وسنجاهد فى سبيل تحقيق فكرتنا، وسنكافح لها ما حيينا وسندعو الناس جميعًا إليها، وسنبذل كل شىء فى سبيلها، فنحيا بها كرامًا أو نموت كرامًا، وسيكون شعارنا الدائم: الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا.

○ **أيها الشباب :**

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

[البقرة: ١٤٣]

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم، أن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكم الذل، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين.

فجددوا أيها الشباب إيمانكم، وحددوا غاياتكم وأهدافكم، وأول القوة الإيمان، ونتيجة هذا الإيمان الوحدة، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين، فآمنوا وتآخوا واعلموا وترقبوا بعد ذلك النصر . . وبشر المؤمنين .

إن العالم كله حائر يضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام، فتقدموا باسم الله لإنقاذه، فالجميع فى انتظار المنقذ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التى تحملون مشعلها وتبشرون بها .

○ أيها الشباب :

إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات، فنحن نعلم تمامًا ماذا نريد ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة .

١ - نريد أولا الرجل المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردى .

٢ - ونريد بعد ذلك البيت المسلم فى تفكيره وعقيدته وفى خلقه وعاطفته وفى عمله وتصرفه ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسرى .

٣ - ونريد بعد ذلك الشعب المسلم فى ذلك كله أيضًا، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا فى كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل فى القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، لا نألوا فى ذلك جهدًا ولا نترك وسيلة .

٤ - ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التى تقود الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر من قبل. ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية، ولا بهذه الأشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامى بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس من هذا النظام .

٥ - ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوربية. ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية، التى تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها. فمصر وسورية والعراق والحجاز، واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول:

لاإله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذى نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض.

ولئن كان الرايخ الألمانى يفرض نفسه حاميًا لكل من يجرى فى عروقه دم الألمان، فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوى أن يعتبر نفسه حاميًا لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن. فلا يجوز فى عرف الإسلام أن يكون العامل العنصرى أقوى فى الرابطة من العامل الإيمانى. والعقيدة هى كل شىء فى الإسلام، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟.

٦ - ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالإسلام حينًا من الدهر ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام. فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام. ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل. ولئن كان السنيور موسولينى يرى من حقه أن يعيد الامبراطورية الرومانية، وما تكونت هذه الإمبراطورية المزعومة قديمًا إلا على أساس المطامع والأهواء، فإن من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التى قامت على العدالة والإنصاف ونشر نور الهداية بين الناس.

٧ - نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم وأن نبلغ الناس جميعًا، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نُخضع لها كل جبار. حتى لاتكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها، وإنما نجمل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ليقل القاصرون الجبناء إن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس، وذلك هو الضعف الذى لا نعرفه ولايعرفه الإسلام. ذلك هو الوهن الذى قذف فى قلوب هذه الأمة فمكّن لأعدائها فيها، وذلك هو خراب القلب من الإيمان وهو علة سقوط المسلمين. وإنما نعلن فى وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا

المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له فى الإسلام، فليبحث عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها .

○ **يا شباب:**

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج فلا تهنوا ولا تضعفوا، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم، وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط، وإلى الهدف الذى وضعه الله لنا لا الذى وضعناه لأنفسنا، وسنصل بإذن الله وبمعونته، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد أعددنا لذلك إيمانًا لا يتزعزع، وعملاً لا يتوقف، وثقة بالله لا تضعف، وأرواحًا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة فى سبيله .

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخارجية، فإنما نستمد ذلك من الإسلام، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين و السياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف، ولا يعرفه المسلمون الصادقون فى دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به، وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين .

○ **أيها الشباب:**

يخطئ من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين (جماعة دراويش) قد حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح، فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطنًا وجنسية، وخلقًا ومادة، وثقافة وقانونًا، وسماحة وقوة. واعتقدوه نظامًا كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة، اعتقدوه نظامًا عمليًا وروحيًا معًا فهو عندهم دين ودولة،

ومصحف وسيف. وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون فى أداء فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذى أمر به وفى الحدود التى وضعها لهم، فى غير غلو ولا سرف، فلا تنطع ولا تعمق، وهم أعرف بقول رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذى لا يضر بآخرتهم، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣٢]. وإن الإخوان ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب رسول الله ﷺ: (رهبان فى الليل فرسان فى النهار)، وكذلك يحاولون أن يكونوا، والله المستعان.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصًا لأوطانهم وتفانيًا فى خدمة هذه الأوطان واحترامًا لكل من يعمل لها مخلصًا، وها قد علمت إلى أى حد يذهبون فى وطنيتهم وإلى أى عزة يبغون بأمتهم. ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية. فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون فى سبيله ويفنون فى هذا الجهاد لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه؛ كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامى، على حين يقف كل وطنى مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده، وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط فى أى شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال، فالإخوان يعلنون فى كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون إمامًا فى كل شىء، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق فى كل شىء، فى العلم وفى القوة وفى الصحة وفى المال. والتأخر فى أية ناحية من النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التى تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط وأن

يتصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئًا ولا يعنى من أمر أمته بشيء، والنبي ﷺ يقول «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» كما يقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بنى الإنسان فى مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات: ١٣]، كما أنه جاء لخير الناس جميعًا ورحمة من الله للعالمين. ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور، وبهذا جاء القرآن مثبتًا لهذه الوحدة مشيدًا بها فى مثل قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى فى حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨].

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ [الممتحنة: ٨]. كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. ولكننا إلى جانب هذا لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم فى سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنّا له خطأ ما ذهب إليه، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات أو يعتمدون على جماعة من الجماعات. فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم، وهى الإسلام وأبناؤه فى كل زمان ومكان، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة.

○ أيها الشباب:

على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعًا. فإن آمنتم بفكرتنا، واتبعتم خطواتنا، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم فى الدنيا والآخرة، وسيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم فى العصر الأول، وسيجد كل عامل صادق منكم فى ميدان الإسلام ما يرضى همته ويستغرق نشاطه إذا كان من الصادقين.

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

حسن البنا

الإخوان المسلمون
تحت راية القرآن

* إلى الشباب الظامئ للمجد التليد . . .
* إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق . . .
* إلى ورثة الدم القانى الذى سطر على هام الزمان آيات الفخار . . .
* إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة فى الدنيا والسعادة فى دار القرار، نقدم . . .

خطاب الإمام الشهيد حسن البنا

رسالة الماضى القوى الملتهب إلى الحاضر الفتى المضطرب . . .

وعُدَّة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر . . .

أيها الشباب . . أيها الهائم يبغى الحياة . .

أيها التائق لنصر دين الله . . .

أيها المقدِّم روحه بين يدى مولاه . . .

هنا الهداية والرشاد . . .

هنا الحكمة والسداد . . .

هنا نشوة البذل ولذة الجهاد . . .

فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء . . .

ولتعمل تحت راية سيِّد الأنبياء . . .

وليضمك معسكر « الإخوان المسلمين » . . . .

﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] .

الإخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أحييكم بتحية الإسلام[1] تحية من عند الله مباركة طيبة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

أيها الإخوان المسلمون.

أيها الناس أجمعون.

في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة، التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان، وفي هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التي تهتف بها أرجاء الكون، وتسري بها أمواج الأثير في أنحاء المعمورة، مجهزة بكل ما يغري ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر.

نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين..

هادئة، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة..

متواضعة، ولكنها أعز من الشم الرّواسي..

محدودة، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعًا.

خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب، ولكنها محفوفة بجلال الحق، وروعة الوحي، ورعاية الله.

مجرّدة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين في العمل لها السيادة في الدنيا والجنة في الآخرة.

○ على ضوء الدعوة الأولى

أيها الإخوان المسلمون..

أيها الناس أجمعون..

اسمعوها صريحة داوية، يجلجل بها صوت الداعي الأول من بعد، كما جلجل بها من

---

(1) نصُّ الخطاب الجامع الذي ألقاه الأستاذ الإمام في الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء 14 صفر سنة 1358هـ، الموافق 4 أبريل سنة 1939م بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة.

قبل: ﴿يا أيها المدثر ① قم فأنذر ② وربك فكبر﴾ [المدثر: ١ - ٣].

ويدوى معها سر قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر: ٩٤] ويهتف بها لسان الوحى مخاطبًا الناس أجمعين: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾

[الأعراف: ١٥٨]

○ أين نحن من تعاليم الإسلام ؟

أيها الإخوان المسلمون.

أيها الناس أجمعون.

إن الله بعث لكم إمامًا، ووضع لكم نظامًا، وفصل أحكامًا، وأنزل كتابًا، وأحل حلالاً، وحرم حرامًا، وأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم، وهداكم سواء السبيل؛ فهل اتبعتم إمامه، واحترمتم نظامه، وأنفذتم أحكامه، وقدستم كتابه، وأحللتم حلاله، وحرمتم حرامه؟

كونوا صرحاء فى الجواب؛ وسترون الحقيقة واضحة أمامكم، كل النظم التى تسيرون عليها فى شئونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالإسلام، ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه.

نظام الحكم الداخلى.

نظام العلاقات الدولية.

نظام القضاء.

نظام الدفاع والجندية.

نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد.

نظام الثقافة والتعليم.

بل نظام الأسرة والبيت.

بل نظام الفرد فى سلوكه الخاص .

الروح العام الذى يهيمن على الحاكمين والمحكومين، ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها، كل ذلك بعيد عن الإسلام وتعاليم الإسلام .

وماذا بقى بعد هذا ؟

هذه المساجد الشامخة القائمة التى يعمرها الفقراء والعاجزون، فيؤدون فيها ركعات خالية من معانى الروحانية والخشوع إلا من هدى الله ؟

هذه الأيام التى تصام فى العام فتكون موسمًا للتعطل والتبطل والطعام والشراب، وقلما تتجدد فيها نفس أوتزكو بها روح . .

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

هذه المظاهر الخادعة من المسابح والملابس، واللحى والمراسم، والطقوس والألفاظ والكلمات. . .

أهذا هو الإسلام الذى أراده الله أن يكون رحمته العظمى، ومنته الكبرى على العالمين؟.

أهذا هدى محمد ﷺ الذى أراد به أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؟.

أهذا هو تشريع القرآن الذى عالج أدواء الأمم ومشكلات الشعوب، ووضع للإصلاح أدق القواعد وأرسخ الأصول ؟

○ موجة التقليد الغربى

أيها الإخوان المسلمون

بل أيها الناس أجمعون

من الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة وتيارًا شديدًا دفاقًا قد طغى على العقول والأفكار فى غفلة من الزمن، وفى غرور من أمم الإسلام، وانغماس منهم فى الترف والنعيم . فقامت مبادئ ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات، وتأسست حضارات ومدنيات، ونافست هذه كلها فكرة الإسلام فى نفوس أبنائها، وغزت أممه فى عقر دارها، وأحاطت بهم من كل مكان، ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم، بل

واحتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم، وتهيأ لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهيأ لغيرها من قبل، واجتاحت أممًا إسلامية بأسرها، وانخدعت بها دول كانت في الصميم والذؤابة من دول الإسلام، وتأثر ما بقي تأثرًا بالغًا ونشأ في كل الأمم الإسلامية جيل مخضرم، إلى غير الإسلام أقرب، تَصدَّر في تصريف أمورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية. والتنفيذية منها، فدفع بالشعوب مغافلة إلى ما يريد، بل إلى ما ألف، وهي لا تدري ما يراد بها ولا ما تصير إليه. وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية: أن تخلصوا مما بقي من الإسلام وآثار الإسلام، وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها ومظاهرها، واطرحوا بقية الفكرة البالية من رؤوسكم ونفوسكم، ولا تكونوا مخادعين منافقين معاندين، تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدى الإسلام وأصوله وقواعده، والإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه، لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين.

حقًا لقد تقدم العلم، وتقدم الفن، وتقدم الفكر، وتزايد المال وتبرجت الدنيا، وأخذت الأرض زخرفها وازينت، وأترف الناس ونعموا؛ ولكن هل جلب شيء من هذا السعادة لهم ؟ وهل أمَّن لهم شيئًا من هذه الحياة، أوساق إلى نفوسهم الهدوء والطمأنينة؟.

هل اطمأنت الجنوب في المضاجع؟.

هل جفت الجفون عن المدامع؟.

هل حوربت الجريمة، واستراح المجتمع من شرور المجرمين؟

هل استغنى الفقراء وأشبعت الملايين التي تفوق الحصر بطون الجائعين؟

هل ساقت هذه الملاهي والمفاتن، التي ملأت الفضاء وسرت مسرى الهواء، العزاء إلى المحزونين؟.

هل تذوقت الشعوب طعم الراحة والهدوء، وأمنت عدوان المعتدين وظلم الظالمين؟ .

لا شيء من هذا أيها الناس، فما فضل هذه الحضارة إذن على غيرها من الحضارات؟ .

وهل هذا فحسب ؟

ألسنا نرى هذه النظم والتعاليم والفلسفات حتى فى العلوم وفى الأرقام يحطم بعضها بعضًا، ويقضى بعضها على بعض، ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة الفشل وخيبة الأمل وألم الحرمان ؟ .

مهمتنا

ما مهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين ؟

أما إجمالاً:

فهى أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات، التى جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبى ﷺ وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها فى أرضها، وسنغزوها فى عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبى ﷺ، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، وينشر ظل الإسلام الوارف على الأرض، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وأما تفصيلاً:

هذه مهمتنا نحن الإخوان المسلمين إجمالاً، فأما فى بعض تفاصيلها فهى أن يكون فى مصر أولاً، بحكم أنها فى المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، ثم فى غيرها كذلك:

- نظام داخلى للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].
- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ونظام عملى للقضاء يستمد من الآية الكريمة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

- ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ [التوبة : ٤١] .

- ونظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾ [النساء : ٥] .

- ونظام للثقافة والتعليم يقضى على الجهالة والظلام، ويطابق جلال الوحى فى أول آية من كتاب الله: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ [العلق : ١] .

- ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبى المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم، ويحقق قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم : ٦]

- ونظام للفرد فى سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] .

- وروح عام يهيمن على كل فرد فى الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ [القصص: ٧٧] .

نحن نريد:

الفرد المسلم . . .

والبيت المسلم . . .

والشعب المسلم . . .

والحكومة المسلمة . . .

والدولة التى تقود الدول الإسلامية، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم، وترد عليهم أرضهم المفقودة، وأوطانهم المسلوبة وبلادهم المغصوبة، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام .

عدتنا

هــذه غايتنا أيها الناس، وهذا منهاجنا

فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج ؟

عدتنا هى عدة سلفنا من قبل، والسلاح الذى غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله ﷺ وصحابته معه العالم، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد، وهو السلاح الذى سنحمله لنغزوَ به العالم من جديد. لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده، بالله ونصره وتأييده: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران: ١٦٠]

- وبالقائد وصدقه وإمامته: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١]

- وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾ [المائدة: ١٥ ؛ ١٦] .

- وبالإخاء وحقوقه وقدسيته. ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] .

- وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته. ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠].

وبأنفسهم فهم الجماعة التى وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين، وكتب لهم الفضل بذلك، فكانوا خير أمة أخرجت للناس .

لقد سمعوا المنادى ينادى للإيمان فآمنوا، ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا الإيمان، ويزينه فى قلوبنا كما حببه إليهم، وزينه من قبل فى قلوبهم .

فالإيمان أول عدتنا .

ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه، أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد، والتضحية والبذل وتقديم النفس والمال؛ فقدموا النفوس وبذلوا الأرواح، وجاهدوا فى الله حق

جهاده، وسمعوا هاتف الرحمن يهتف بهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

فأصاخوا للنذير، وخرجوا عن كل شيء، طيبة بذلك نفوسهم، راضية قلوبهم، مستبشرين ببيعهم الذى بايعوا الله به.

يعانق أحدهم الموت وهو يهتف: ركضًا إلى الله بغير زاد.

ويبذل أحدهم المال كله قائلاً أبقيت لعيالى الله ورسوله.

ويخطر أحدهم والسيف على عنقه:

ولست أبالى حين أُقتَلُ مسلمًا   على أىِّ جنب كان فى الله مصرعى

كذلك كانوا: صدق جهاد، وعظيم تضحية، وكبير بذل، وكذلك نحاول أن نكون!.

فالجهاد من عدتنا كذلك:

ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله، مطمئنون إلى تأييده: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

○ بين الخيال والحقيقة:

سيقول الذين يسمعون هذا إنه الخيال بعينه وإنه الوهم، وإنه الغرور، وأنى لهؤلاء الذين لا يملكون إلا الإيمان والجهاد أن يقاوموا هذه القوى المتالبة المجتمعة، والأسلحة المتنوعة المختلفة، وأن يصلوا إلى حقهم، وهم بين ذراعى وجبهة الأسد.

سيقول كثيرون هذا، ولعل لهم بعض العذر، فهم قد يئسوا من أنفسهم، ويئسوا من صلتهم بالقوى القادر. أما نحن فنقول إنها الحقيقة التى نؤمن بها ونعمل لها، ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وإن الذين فتحوا أقطار الدنيا، ومكّن الله لهم فى الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عددًا، ولا أعظم عُدة؛ ولكنهم مؤمنون مجاهدون، ونحن سنعتد اليوم بما اعتد به رسول الله ﷺ يوم قال: «بشر خُبيبًا بظهور هذا الأمر حتى يسير الراكب من عدن إلى عمان لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه» وكانوا إذ ذاك يستترون.

ويوم وعد سُراقة بن مالك سوارَىْ كسرى، وكان مهاجرًا بدينه ليس معه إلا ربه وصاحبه.

ويوم هتف مطلعاً على قصور الروم البيضاء، وقد حاصره المشركون فى مدينته بجنود من فوقهم ومن أسفل منهم: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]

ثم ماذا كان بعد ذلك؟

كان أن أصغى مسمع الدهر لدعوة رسول الله ﷺ، وترددت فى فم الزمان آيات قرآنية، وأشرقت شموس الهداية فى كل مكان من قلوب أصحابه وأتباعه، وعم الكون نوره، ورفرف على الدنيا السلام، وتذوقت الإنسانية حلاوة السعادة بعدالة الحكم، وأمن المحكوم فى ظل هذا الرعيل الأول من تلامذة محمد صلوات الله عليه وسلامه، وفتحت قصور الروم، ودانت مدائن الفرس، ومدت الأرض بأعناقها، وألقت بجرانها وزويت أكنافها، واستسلمت مختارة للهداية المنقذة، ترف عليها أنفاس النبوة، وتمازجها أنفاس الوحى المقدس، وتحف بها رحمة الله من كل جانب: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

سنعتد أيها الناس اليوم بهذه العدة، وسننتصر كما انتصر أسلافنا بالأمس القريب، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وسيتحقق لنا وعد الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ [الروم : ٦٠] .

○ لو كانت لنا حكومة:

لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الإسلام، صادقة الإيمان، مستقلة التفكير والتنفيذ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذى بين يديها، وجلال النظام الإسلامى الذى ورثته، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها، وهداية الناس جميعًا . . لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعم الدنيا باسم الإسلام، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه، وأن تسوقها سوقًا إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية، وبغير ذلك من وسائل الدعوة والإبلاغ، ولاكتسبت مركزًا روحيًا وسياسيًا وعمليًا بين غيرها من الحكومات. ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب، وتدفع به نحو المجد والنور، وتثير فى نفسه الحماسة والجد والعمل .

عجيب أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها، وتدعو إليها، وتنفق فى سبيلها، وتحمل الناس عليها. وأن تجد الفاشستية النازية أممًا تقدسها، وتجاهد لها، وتعتز باتباعها، وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها، وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصارًا أقوياء، يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم، ويحيون ويموتون لها

ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، الذى جمع محاسن هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمى فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية، مع أن الإسلام جعل الدعوة فريضة لازمة، وأوجبها على المسلمين شعوبًا وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم، وقبل أن يُعرف فيها نظام الدعايات: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ولكن أنى لحكامنا هذا، وهم جميعًا قد تربوا فى أحضان الأجانب، ودانوا بفكرتهم، على آثارهم يهرعون، وفى مرضاتهم يتنافسون ؟ ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الفكرة الاستقلالية فى تصريف الشئون والأعمال لم تخطر ببالهم، فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم.

لقد تقدمنا بهـذه الأمنية إلى كثير من الحاكـمين فى مصر، وكان طبيـعيًا ألا يكون لهذه الأمنية أثر عملى. فإن قومًا فقدوا الإسلام فى أنفسـهم وبيوتهم وشئونهم الخاصة والعامة لأعـجز من أن يفيضـوه على غيرهم، ويتقـدموا بدعوة سواهم إليـه، وفاقد الشىء لا يعطيه .

ليست هذه مهمتهم أيها الإخوان، فقد أثبتت التجارب عجزهم المطلق عن أدائها، ولكنهـا مهـمة هذا النشء الجـديد، فأحـسنوا دعـوته، وجدوا فى تكوينه، وعلمـوه استقلال النفس والقلب، واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل، واملأوا روحـه الوثابة بجلال الإسـلام وروعـة القرآن، وجندوه تحت لـواء محـمد ورايتـه، وسترون منه فى القريب الحاكم المسلم الذى يجاهد بنفسه ويسعد غيره .

○ طبيعة فكرتنا

أيها الإخوان المسلمون

بل أيها الناس أجمعون

لسنا حزبًا سياسيًا وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا . .

ولسنا جـمـيـعة خـيرية إصـلاحـية، وإن كـان عمل الخير والإصـلاح من أعظم مقاصدنا . .

ولسنا فرقًا رياضية، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا . .

لسنا شيئًا من هذه التشكيلات، فإنهـا جميعًا تبـررها غاية موضعيـة محدودة لمدة معدودة، وقد لا يوحى بتـأليفها إلا مجرد الرغبة فى تأليف هيئة، والتحلى بالألقاب الإدارية فيها .

ولكننا أيهـا الناس: فكرة وعقيـدة، ونظام ومنهاج، لا يحـدده موضع ولا يقـيده جنس، ولا يقف دونه حاجـز جغرافى، ولا ينتهى بأمـر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين .

نحن أيها الناس - ولا فخر - أصحابُ رسول الله ﷺ، وحملة رايته من بعده، ورافعـو لوائه كما رفـعوه، وناشرو لوائه كـما نشروه، وحـافظو قرآنه كمـا حفظوه،

والمبشرون بدعوته كما بشّروا، ورحمة الله للعالمين ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٨]

أيها الإخوان المسلمون:

هذه منزلتكم، فلا تصغروا فى أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا فى دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التى تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التى تبررها الضرورات، وتذهب بها الحوادث والأيام. لقد دعوتم وجاهدتم، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتًا تهتف بزعامة رسول الله ﷺ وهيمنة نظام القرآن، ووجوب النهوض للعمل، وتخليص الغاية لله، ودماءً تسيل من شباب طاهر كريم فى سبيل الله، ورغبة صادقة للشهادة فى سبيل الله . وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون، فواصلوا جهودكم، واعملوا والله معكم، ولن يَتِرَكُمْ أعمالكمْ .

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غدًا، وللسابق عليه الفضل. ومن رغب عن دعوتنا، زهادة، أو سخرية بها، أو استصغارًا لها، أو يأسًا من انتصارها، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق .

فإلينا إلينا أيها المؤمنون والعاملون، والمجاهدون المخلصون فهنا الطريق السوى، والصراط المستقيم، ولا توزعوا القوى والجهود: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

حسن البنا

دعوتنا
فى طور جديد

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من الواجب قبل أن نتطرق فى دراستنا إلى مختلف نواحى الفكرة الإسلامية . وقبل أن نتولى الرد على ما يحوم حولها من شبهات، وقبل أن نعرض على بساط النقد غيرها من الأفكار، أقول كان من الواجب أن نلم إلمامة سريعة بأهداف فكرتنا وخصائصها ووسائلها، حتى تكون جولاتنا المقبلة على أساس من فهم لفكرتنا .

ربانية عالمية

○ أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية :

(أ) أما أنها ربانية فلأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا جميعًا، أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها. ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا: «الله غايتنا» فأوّل أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التى تربطهم بالله تبارك وتعالى والتى نسوها فأنساهم الله أنفسهم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]. وهذا فى الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التى أوصدها الجمود والمادية فى وجوه البشر جميعًا فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح .

(ب) وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكننا ندعو إلى الأخوّة العادلة بين بنى الإنسان .

قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشرى إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين، وهو يعتبر قومه مبتكرين ويعتبر قومًا آخرين من الغربيين محافظين، ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين، هذا التقسيم ظالم جائر فضلاً عن أنه غير صحيح بأصله، فالجنس البشرى كله مرده إلى دم واحد وطينة واحدة وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات، وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقى من رتبته إلى أعلى منها بدرجة ما يصل إليه من تهذيب، وليس هناك جنس

من بنى آدم لا يمكن إصلاحه فى حدود ظروفه وبيئته الخاصة به من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الشرق الذى وضع فى صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات، وهو مفيض ذلك كله على الغرب، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر. ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هى نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات، وما دام فى الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقًا، ويستظلون بظله الوارف الأمين، ولن يجدوا طريقًا معبدة إلى ذلك كطريق الإسلام الذى يقول كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول نبيه ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية» رواه أحمد من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه.

ولهذا كانت دعوة الإخوان المسلمين ربانية إنسانية.

○ بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية

ولقد تذبذب العقل البشرى منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا - وأغلب الظن كذلك حتى تتداركه هداية من الله - بين أطوار ثلاثة، وإن شئت قلت بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصوير:

١ - طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول والقوى الخفية البعيدة عنه. فهو ينسب إليها كل شىء ويفسر بها كل شىء. ولا يرى لنفسه معها عملاً ولا فكرًا، وكثيرًا ما استبد هذا الطور بالإنسان فى أدوار حياته الأولى يوم عاش على هذه الأرض يجهلها وتجهله، ولعل أقوامًا من بنى الإنسان لا يزالون يعيشون على هذا النحو إلى الآن.

٢ - وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول، والخروج على هذه القوى البعيدة عن حس الإنسان والتمرد على كل ما يتصل إليها بسبب، ومحاولة تفسير

مظاهر الكون جميعًا محاولة مادية صرفة وفق قوانين تجريبية اهتدى إليها الإنسان بطول تجاربه ودوام بحثه وتفكيره. وكثيراً ما طغى هذا التفكير على العقل الإنسانى فى هذه العصور الحديثة، التى وصل فيها الإنسان إلى الكشف عن كثير من مجهولات الطبيعة، وعرف فيها الكثير من خواص الكائنات، فظن أنه وصل لا محالة بهذا الأسلوب إلى معرفة ما هناك، وإن كان الذى يعرفه بالنسبة إلى ما يجهله كالذَرّة من الرمال فى الفلاة الواسعة الفسيحة.

وفى هذا الدور أنكر الإنسان المادى الألوهية وما يتصل بها والنبوات وما يمتّ إليها والآخرة والجزاء والعالم الروحى بكلّ ما فيه، ولم ير شيئًا إلا هذا العالم الأدنى المحدود يفسر ظواهره بحسب قوانينه المادية الصرفة.

كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلوٌ فاحش وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، ولقد جاء الإسلام الحنيف بفصل القضية فصلاً حقًا، فيقرر حق العالم الروحى ويوضح صلة الإنسان بالله رب الكائنات جميعًا وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الدنيا، ويجعل الإيمان بالله أساس صلاح النفس التى هى من عالم الروح فعلاً والتى لاسبيل إلى صلاحها إلا بهذا الإيمان، ويصف ذلك العالم الغيبى المجهول وصفًا يقربه إلى الأذهان ولا يتنافى مع بدهيات العقول، وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادى وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به فى حدود الخير، ويدعو إلى النظر السليم فى ملكوت السموات والأرض، ويعتبر هذا النظر أقرب إلى معرفة الله العلى الكبير. هذا الموقف من الإسلام الحنيف ألزم العقل البشرى لونًا من ألوان التفكير، هو أكملها وأتمها وأكثرها انطباقًا على واقع ومنطق الكون، وأعظمها نفعًا لبنى الإنسان: ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل. فنحن نعيش فى عالمين فعلاً لا فى عالم واحد، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً، عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التى تحيط بنا. ونحن فى إدراكها ننتقل من مجهول إلى مجهول حتى ينتهى بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله، ونحن نشعر من أعماق قلوبنا بعاطفة الإيمان قوية مشبوبة، لأن الإيمان من فطرة نفوسنا وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء. ونحن بعد ذلك نلمس أن هذا المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس

مراقبة الله والتعزى بمعرفته، ومن هنا كان لزامًا على الناس أن يعودوا إلى الإيمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة الآخرة، وبالجزاء فيها على الأعمال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. كل هذا فى الوقت الذى يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء وتنتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية تدعو الناس. لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادى النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت فى نفوس أبنائه عواطف الرحمة الإنسانية، وخبت أنواع الروحانية الربانية. وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وأمواله، وصبغ الفكر البشرى فى كل مكان بصبغته هذه. والآن والدنيا كلها تكتوى بهذه النيران تنبثق الدعوة من جانب جديد لتهيب بالناس فى الشرق والغرب معاً أن يمزجوا المادة بالروح، وأن يؤمنوا بالغيب والشهادة، وأن يتعرفوا من جديد إلى الله ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

○ مكان القومية والعروبة والشرقية والعالمية من هذه الدعوة

وكما أن دعوتنا هذه ربانية تدعو إلى هجر المادية ومقاومتها والوقوف فى وجه طغيانها والحد من سلطانها والفرار إلى الله والإيمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته فى كل عمل، فهى كذلك إنسانية تدعو إلى الأخوة بين بنى الإنسان وترمى إلى إسعادهم جميعًا لأنها إسلامية، والإسلام للناس كافة ليس لجنس دون جنس ولا لأمة دون أخرى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

ومن هذا العموم فى بعثة النبى ﷺ ومدى رسالته استمدت دعوتنا العموم فى هدفها ومرماها، فهى دعوة توجه الناس جميعًا وتؤاخى بينهم جميعًا وتسعى لخيرهم جميعًا ولا تعترف بفوارق الأجناس والألوان ولا تتغير بتغير الشعوب والأوطان.

وتتردد فى أفواه الدعاة والناس ألفاظ كثيرة يعنون بها آراء ومذاهب فأين مكان هذه الألفاظ فى دعوتنا؟ إن لكل لفظ من هذه الألفاظ ولكل رأى من هذه الآراء مكانًا فى دعوتنا لا لأننا نعمل لإرضاء الجميع ونجامل فى الفكرة وعلى حسابها ولكن لأن طبيعة دعوتنا هكذا عموم وشمول:

[أ] فالمصرية أو القومية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها فى الكفاح والنضال.

إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة من الأرض التى نبتنا فيها ونشأنا عليها. ومصر بلد مؤمن تلقى الإسلام تلقيًا كريمًا وذاد عنه ورد عنه العدوان فى كثير من أدوار التاريخ وأخلص فى اعتناقه وطوى عليه أعطف المشاعر وأنبل العواطف، وهو لا يصلح إلا بالإسلام ولا يداوى إلا بعقاقيره ولا يطب له إلا بعلاجه. وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الإسلامية والقيام عليها فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع، وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادى بالإسلام ويهتف بالإسلام! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون فى سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربى العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام.

وليس يضيرنا فى هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم، وبما سبق إليه قدماء المصريين الناسَ من المعارف والعلوم. فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه علم ومعرفة. ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملى يراد صبغ مصر به ودعوتها إليه بعد أن هداها الله بتعاليم الإسلام وشرح له صدرها وأنار به بصيرتها وزادها به شرفًا ومجداً فوق مجدها، وخلصها بذلك مما لاحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية .

[ب] والعروبة: أو الجامعة العربية، لها فى دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخيّر، وبحق ما قاله ﷺ: «إذا ذل العرب ذل الإسلام»ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية

ونهضتها، وإن كل شبر أرض فى وطن عربى نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا.

فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق فى أنفسنا أبدًا معنى الوحدة العربية الإسلامية التى جمعت القلوب على أمل واحد وهدف واحد وجعلت من هذه الأقطار جميعًا أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون.

ومن أروع المعانى فى هذا السبيل ما حدد به الرسول ﷺ معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام.

فقد روى الحافظ بن عساكر بسنده عن مالك قول النبى ﷺ: «يأيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى».

وبذلك نعلم أن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسى كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة فى رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة لا يحول بين أجزائها حائل، ولا يفرق بين حدودها فارق، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله.

[ج] والشرقية لها فى دعوتنا مكانها وإن كان المعنى الذى يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتيًا طارئًا، إنما ولّده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتغاليه بمدنيته، وانعزاله عن هذه الأمم التى سماها الأمم الشرقية وتقسيمه العالم إلى شرقى وغربى، ونداؤه بهذا التقسيم حتى فى قول أحد شعرائه المأثور: الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يجتمعا.

هذا المعنى الطارئ هو الذى جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفًا يقابل الصف الغربى، أما حين يعود الغرب إلى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والإجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل محلها الفكرة الناشئة، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها.

[د] أما العالمية أو الإنسانية فهى هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الإصلاح. والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة فهذا التجمع فى الأمم، والتكتل فى الأجناس والشعوب، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل

قوة، وانضمام المفترقين ليجدوا في هذا الانضمام أنس الوحدة، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التي آمن بها الناس من قبل، وكان لابد أن يؤمنوا لتتجمع الخلايا الأصلية، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة. وهي خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون، وحسبنا أن نتخذ منها هدفًا، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم في هذا البناء الإنساني لبنته وليس علينا أن يتم البناء، فلكل أجل كتاب.

وإذا كان في الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التي تستهوي قلوب الشعوب وتحرك عواطف الأمم، فإن هذه الدروس القاسية التي يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفيء الناس إلى الرشد ويعودوا إلى التعاون والإخاء.

ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً، ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك، وظهر هذا المعنى الساحر النبيل في كل فروعه العملية.

فرب الناس واحد، ومصدر الدين واحد، والأنبياء جميعًا مقدسون معظمون، والكتب السماوية كلها من عند الله، والغاية المنشودة اجتماع القلوب: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣].

والقرآن عربي وهو أساس هذا الدين، وركن الصلاة أفضل القربات إلى الله، وتلك هي الوسيلة العملية إلى وحدة اللسان بعد وحدة الإيمان.

وهذه الصلاة وتلك الزكاة، والحج والصوم، إنما هي كلها تشريعات اجتماعية يراد بها توثيق الوحدة وجمع الكلمة وإزالة الفوارق وكشف الحجب والموانع بين بني الإنسان.

ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل نرجو أن تتحقق تباعًا، وأن نقطعها جميعًا وأن نصل بعدها إلى الغاية.

نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الإسلام، وتجمع كلمة العرب وتعمل لخيرهم وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان، وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته.. حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

○ يقظة الروح : الإيمان والعزة والأمل

وينظر الناس فى الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية، ويهملون كثيراً النظر إلى الدوافع النفسية والإلهامات الروحية التى هى فى الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤها وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها. وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا البعيد عن دراسة الدعوات وتعرف أسرارها، إن من وراء المظاهر جميعًا فى كل دعوة روحًا دافعة، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية فى النفوس والأرواح والمشاعر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

ولهذا أستطيع أن أقول إن أول ما نهتم له فى دعوتنا، وأهم ما نعول عليه فى نمائها وظهورها وانتشارها، هذه اليقظة الروحية المرتجلة. فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح فى النواحى العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز فى النفوس هذه الفكرة .

نحن نريد نفوسًا حية قوية فتية، قلوبًا جديدة خفاقة، مشاعر غيورة ملتهبة متأججة، أرواحًا طموحة متطلعة متوثبة، تتخيل مُثلاً عليا، وأهدافًا سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها، ولابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل، ولابد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر، ولابد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً ولا تحتمل شكًا ولا ريبًا. وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه فى البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه، فما حدود الأهداف وما منتهاها؟!

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى ونحاول أن تكون هذه الدعوة الحديثة صدى حقيقيًا لتلك الدعوة السابقة التى هتف بها رسول الله ﷺ فى بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة، الزهى بجلال الوحى، لنقف بين يدى الأستاذ الأول وهو سيد المربين وفخر المرسلين الهادين، لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد، وندرس خطوات الدعوة من جديد .

أى نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبى الكريم فى قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور؟ وأى ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهير وأورقت بالوجدانيات والمشاعر، وترعرعت فيها العواطف والضمائر ؟!

إنّ النبى ﷺ قذف فى قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها :

(أ) قذف فى قلوبهم أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التى تتحقق بها سعادة الناس أجمعين، وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتًا فى النفس وتمسكًا فى القلب: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤] ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨] ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. فآمنوا بهذا واعتقدوه وصدروا عنه .

(ب) وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط فى الظلام، وما دام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه: يحنو عليه ويرشده ويقوّمه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل .

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحًا، وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحى السماء: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]. فآمنوا بهذا أيضا واعتقدوه وصدروا عنه .

(ج) وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا كذلك مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير، وهو معهم أينما كانوا. وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزّل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرأون هذه المعانى واضحة فى كتاب الله: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٥]

قرأوا هذا وفقهوه جيدًا فآمنوا به واعتقدوه وصدّروا عنه .

وبهذه المشاعر الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها، أحياها الراعى الأول ﷺ فى قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله، وحدد لهم أهدافهم فى هذه الحياة فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة فى صدورهم أو مصاحفهم، بادية فى أخلاقهم وأعمالهم معتدين بتكريم الله إياهم واثقين بنصره وتأييده، فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنيّة المبادئ الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة، وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

إلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولاً.

أيها الناس: قبل أن نتحدث إليكم فى هذه الدعوة عن الصلاة والصوم وعن القضاء والحكم وعن العادات والعبادات وعن النظم والمعاملات، نتحدث إليكم عن القلب الحى والروح الحى والنفس الشاعرة والوجدان اليقظ والإيمان العميق بهذه الأركان الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها، فهل أنتم مؤمنون؟

وهذا الشعور القوى الذى يجب أن تفيض به النفوس، وهذه اليقظة الروحية التى ندعو الناس إليها لابد أن يكون لها أثرها العملى فى حياتهم! ولابد أن تسبقها ولاشك نهضة عملية تتناول الأفراد والأسر والمجتمعات .

(أ) ستعمل هذه اليقظة عملها فى الفرد فإذا به نموذج قائم لما يريده الإسلام فى الأفراد.. إن الإسلام يريد فى الفرد وجدانًا شاعرًا يتذوق الجمال والقبح، وإدراكًا صحيحًا يتصور الصواب والخطأ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق، وجسمًا سليمًا يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير.

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التى توصل إلى هذه النتائج كلها، ففى العبادات الإسلامية أفضل ما يصل القلب بالله، ويربى الوجدان الشاعر والإحساس الدقيق، وفى النظر الإسلامى ما يرقى بالعقول والألباب ويدفعها إلى كشف ستائر الكون ومعرفة دقائق الوجود .

وفى الخُلق الإسلامى ما يربى الإرادة الحازمة والعزيمة الماضية الصارمة، وفى النظام الإسلامى فى الطعام والشراب والمنام وتوابع ذلك من شئون الحياة ما لو اتبعه الفرد لحفظ جسمه من مهلكات لا دواء لها، ولظل فى وقاية من فواتك الأمراض .

ولهذا نوجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه، وأن يتعلم ما وسعه العلم ليتسع إدراكه، وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته، وأن يلتزم نظام الإسلام فى الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والسقام. والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء ولكن الصنفين فى هذه الناحية الفردية فى الإسلام سواء؛ فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم فى دقة وجدانها وسمو إدراكها ومكانة خلقها وسلامة بدنها .

(ب) وسيكون لهذا الإصلاح الفردى أثره فى الأسرة، ذلك أن الأسرة مجموعة أفراد، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة - وهما عماد الأسرة - استطاعا أن يكونا بيتًا نموذجيًا وفق القواعد التى وضعها الإسلام، وقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم

وضعها، فأرشد إلى حسن الاختيار، وبين أفضل الطرائق للارتباط وحدد الحقوق والواجبات، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج فى غير عبث ولا إهمال، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج، واختط فى كل نظراته طريقًا وسطًا لا تفريط فيه ولا إفراط .

(ج) وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة وإنما الأمة مجموعة هذه الأسر وإنما الأسرة أمة مصغرة والأمة أسرة مكبّرة، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية السعيدة، فعقد بين بنيها آصرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه الوشائج، وحدد الحقوق والواجبات والصلات، فللأبوة حقها وعليها واجبها، وللبنوّة مثال ذلك، ولذوى القربى حقوقهم وعليهم واجباتهم، وفصل مهمة الحاكم والمحكوم أدق تفصيل، وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان، ولم يجعل لأحد على أحد فضلاً إلا بالتقوى فلا سيد ولا مسود ولا أمراء ولا عبيد، ولكن الناس فى ذات الله سواسية كأسنان المشط، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات، وكذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وقد عالج الإسلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات. فالوقاية مما يؤدى إليها أولاً، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانيًا. فلكل مشكلة اجتماعية عنده دواء، والدواء الأول فى كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعى بين بنى الإنسان.

والإسلام يحيط بكل ذلك لا يسلك سبيل العنت، ولا يحمل الناس على ما يؤدى إلى الحرج ولكن يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر، ويضع القواعد الكلية ويدع الفرعيات الجزئية ويرسم طرائق التطبيق، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها. وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان، وهو لذلك يفرض نشر الدعوة حتى تشمل الناس أجمعين ويتحقق قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وإذا قوى الشعور الذى أشرنا إليه آنفًا، وأدى إلى نتيجته التى وضعناها الآن، فطبق نظام الإسلام على الفرد والبيت والأمة، ووصلت الرسالة إلى القلب والآذان، فقد نجحت فكرتنا واستجيبت دعوتنا ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

بين الصبغة الاستقلالية والصبغة التقليدية

نحن نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم، ولكننا نريد قبل ذلك أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر فى كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الإسلام، وبدون ذلك لن نصل إلى شيء، نريد أن نفكر تفكيرًا استقلاليًا يعتمد على أساس الإسلام الحنيف لا على أساس الفكرة التقليدية التى جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته فى كل شيء، نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد.

لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية، تغلغلت فى الضمائر والمشاعر ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب، واندمجت مصر بكليتها فى الإسلام بكليته: عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين وجاهدت فى سبيله ما وسعها الجهاد بمالها ودم أبنائها، وأنقذته من براثن التتار وأنياب الصليبيين، وردت الجميع على أعقابهم خاسرين، واستقرت فيها علوم الإسلام ومعارفه، واحتوت الأزهر أقدم جامعة تقوم على حياطته ورعايته وحراسته، وانتهت إليها زعامة شعوبه الأدبية والاجتماعية، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم.

هذا الإسلام، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته، ميراث عزيز غال على مصر ليس تفريطها فيه بالشيء الهين ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع مهما بذلت فى سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة. ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة فى كثير من جوانب الحياة المصرية: فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام. كل ذلك حق، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزوًا قويًا عنيفًا بالعلم والمال، وبالسياسة والترف، والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التى لم نكن نعرفها من قبل. فأعجبنا بها، وركنا إليها، وأثر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية

فى كثير من شئونهـا الهامة ، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ مـعظمها بالصبغة الأوربية، وحصـرنا سلطان الإسلام فى حياتنا على القلوب والمحـاريب، وفصلنا عنه شئون الحياة العملية، وباعدنا بينه وبينها مبـاعدة شديدة وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة .

الإسلام بما فـيه من روعـة وجلال، وبسلطانه الساحـر العذب الجـذاب، وأصوله الثابتة المدعمة القـويمة، وحجته البالغة يجذب إليـه القلوب والمشاعر، ويجعلنا نحن المؤمنين به فى حنين دائم إليه. وهذه الحيـاة الغربية بما تحتويه من مبـاهج ومفاتن وبما لهـا من مظاهر القوة المادية تحـاول أن تسـيطر وتهيـمن على مـا بقى لنا من شئـوننا الحيوية. هذا وضع مـشاهد ملموس يراه ويعلمه كل من يعنيـه أمر هذه الأمة، ولابد أن ينتهى هذا التذبذب إلى اسـتقرار ولابد أن يتغلب أحد الجـانبين على الآخر فلكل شىء نهاية! .. فنحن الإخوان المسلمين نشـفق كل الإشفاق من أن تكون هذه النهاية هى التـحلل مما بقى من مظاهر الإسـلام والانغمـاس الكلى فى الحيـاة الغربيـة بكل مظاهرها، ولقد ارتفـعت بذلك صيحات وقامت على قـواعده دعوات، وسبـقتنا إليه شعوب وحكومات، وإن كان ذلك كله قد خفت وطأته الآن أمام ما يقاسى العالم كله من محن وويلات .

نحن نشـفق من هذا المصـير، ونـدعو إلى أن تعـود مـصر إلى تـعاليم الإسـلام وقواعده، تعتمد عليها وتستمد منهـا وتبنى على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية فى المستقبل إن شاء الله .

وإذا كـان الإسلام يدعـو إلى أن نأخذ من كل شـىء أحسنه، وينادى بأن الحكمـة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمنع فى أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أى مكان، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل مـا هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا .

أما أثر هذا التذبذب فى مظاهر حياتنا العملية فكبير واضح، ولعله مصدر كثير من المشكلات فى التعليم والقضـاء، وفى حياة الأسرة وفى منابع الثقافة العـامة وفى غير ذلك من الشئون العامـة، هل هناك أمة غير مصر يسير التـعليم فيها من أول خطواته

على هذين اللونين من ألوان التربية، فهناك التعليم الدينى يتصل بنصف الأمة وينتهى إلى الأزهر ومعاهده وكلياته، وهناك التعليم المدنى يتصل بالنصف الثانى ويتميز كل منهما بخواصه ومميزاته ؟ وهل لذلك من سبب سوى أن السلسلة الأولى هى أثر الإسلام الباقى فى نفوس هذه الأمة وأن السلسلة الثانية هى نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه، فما الذى يمنع من توحيد التعليم فى مراحله الأولى على أساس التربية القومية الإسلامية ثم يكون بعد ذلك التخصص؟ وهل هناك أمة غير مصر ينقسم فيها القضاء الى شرعى وغير شرعى كما ينقسم القضاء المصرى، وهل لذلك من سبب سوى أن القضاء الأول أثر الإسلام فى الحياة المصرية والثانى وليد النقل عن الغرب والأخذ عنه، وما الذى يمنع من أن تتوحد المحكمة على أساس اعتبار الشريعة الإسلامية هى شريعة البلاد ومصدر التقنين ؟

وهذه البيوت المصرية، ألسنا نلمح فيها أثر هذه الحياة المذبذبة المتناقضة، فكثير من الأسر المصريةُ لاتزال شديدة المحافظة على ما ورث من تعاليم الإسلام وآدابه فى الوقت الذى انسلخ فيه الكثير عن هذه التعاليم وخرج على هذه الآداب وغلبت عليه نزعة التقليد فى كل شىء بل جاوز بعضنا الحد حتى صار غربيًا أكثر من الغربيين .

ولابد من وضع حد لهذ التفاوت الغريب حتى نظفر بالأمة الواحدة، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة ولا تحيا أمة حياة الكمال .

لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذى تعتمد عليه نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية فى الأمة على أساس الإسلام وقواعده وبذلك تبنى مصر نفسها، وتقدم للعالم كله أكمل نماذج الحياة الإنسانية الصحيحة .

○ وسليتنا العامة .. بين جماعة وفكرة

الكلام عن الوسيلة العامة للإخوان المسلمين يقف بنا أمام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التى تقوم بالخدمات العامة، ثم يقف بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب التى ترسم لها منهاجًا جديدًا تؤمن به وتسير عليه .

(أ) لاشك أن جماعات الإخوان المسلمين جماعات تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد وعمارتها، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها، ومن إنشاء الأندية

والفرق وتوجيهها ورعايتها، ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها وعظمتها، ومن الإصلاح بين الناس فى القرى والبلدان إصلاحًا يوفر عليهم كثيرًا من الجهود والأموال، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع فى المواسم والأعياد، لاشك أن الإخوان يقومون بهذا كله ولهم فيه والحمد لله أثر يذكر، وقد تضاعف نشاطهم فى هذه النواحى مضاعفة ملموسة فى هذا الدور من أدوار الدعوة بطبيعة التفات الناس إليها وإقبالهم عليها، ووسيلة الإخوان فى هذه الميادين التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأى والخبرة، وتدبير ما تحتاج إليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين أخرى إلى ما يدفع لمثل هذه المشروعات، ولسنا نقول إن الإخوان قد اكتملت جهودهم فى هذه الناحية ولكننا نقول إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال، والله الموفق والمستعان. هؤلاء هم الإخوان وتلك هى دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة.

(ب) ولكن الإخوان كما علمت ليسوا كذلك فحسب، ولكن لب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها فى نفوس الناس ليتربى عليها الرأى العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح: تلك هى العمل للإسلام والعمل به فى كل نواحى الحياة.

أما الوسيلة إلى تحقيق ذلك فليست المال، والتاريخ منذ عرف إلى الآن يحدثنا أن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال ولا تنهض به بحال، فهى تحتاج إلى مال فى بعض مراحل طريقها ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها، فرجال الدعوات وأنصارها هم دائمًا المقلون من هذا المال وسل التاريخ ينبئك، وليست الوسيلة القوة كذلك فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولاً وتناجى القلوب وتطرق مغاليق النفوس، ومحال أن تثبت بالعصا أو أن تصل إليها على شبا الأسنة والسهام، ولكن الوسيلة فى تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات، وخلاصة ذلك جملتان: إيمان وعمل ومحبة وإخاء. ماذا فعل رسول الله ﷺ فى تركيز دعوته فى نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة وصارت

جماعتهم هى الجماعة النموذجية التى لابد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعًا، وماذا فعل الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هذا ؟ ينادون بالفكرة ويوضحونها ويدعون الناس إليها فيؤمنون بها ويعملون لتحقيقها ويجتمعون عليها ويزدادون عددًا فتزداد الفكرة بهم ظهورًا حتى تبلغ مداها وتبتلع ما سواها، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وليست دعوة الإخوان بدعاً فى الدعوات فهى صدى من الدعوة الأولى يدوى فى قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم، ويحاولون أن يقذفوا به إيمانًا فى قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملاً فى تصرفاتها ولتجتمع قلوبها عليه، فإذا فعلوا ذلك أيدهم الله ونصرهم وهداهم سواء السبيل . فإلى الإيمان والعمل وإلى الحب والإخاء أيها الإخوان والله معكم، وتلك هى وسيلتكم، والله غالب على أمره .

***

بين الأمس واليوم

تقديم

أصدر الإخوان المسلمون رسائل تشرح دعوتهم، وتبين فكرتهم، وترسم منهاجهم، وقد جمعت تلك الرسائل أصول الدعوة ومراحلها، وبينت حقيقتها وأهدافها.

وبين يدى القارئ الرسالة الأولى: «بين الأمس واليوم» عن تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها، وقد وضعت فى فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العظمى الثانية، وتداولها الإخوان منذ ذلك الحين، وفيها عرض طيب لمبادئ الإسلام ووسائل الإصلاح التى رسمها ودعا إلى الأخذ بها، ونبذة عن الدولة الإسلامية فى مطلع نهضتها يوم اتخذت القرآن دستوراً والرسول ﷺ قدوةً وزعيماً، كما أن فيها تحليلاً دقيقًا للعوامل التى أفسدت على المسلمين نهضتهم وبدلت حالهم. ويرى القارئ فى ختام الرسالة كلمات توجيهية سديدة، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن يفتح قلوب المسلمين وعقولهم للعمل بهدى الدين الحنيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

١ - رسالة النبى الأمين

منذ ألف وثلاثمائة سنة وسبعين عامًا نادى محمد بن عبد الله النبى الأمى فى بطن مكة وعلى رأس الصفا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فكانت تلك الدعوة الجامعة حدًا فاصلاً فى الكون كله، بين ماض مظلم، ومستقبل باهر مشرق، وحاضر زاخر سعيد، وإعلانًا واضحًا مبينًا لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وليس من وضع الناس، ولكنه صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]

٢ - منهاج القرآن الكريم فى الإصلاح الاجتماعى

والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعى الشامل، وقد أخذ يتنزل على النبى ﷺ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣]. حتى اكتمل به الوحى وحفظ فى الصدور والسطور فى مدى اثنتين وعشرين سنة ونيفًا، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شىء. وأصول الإصلاح الاجتماعى الكامل الذى جاء به تكاد تنحصر فى هذه الأصول:

(أ) الربانية .

(ب) التسامى بالنفس الإنسانية .

(ج) تقرير عقيدة الجزاء .

(د) إعلان الأخوة بين الناس .

(هـ) النهوض بالرجل والمرأة جميعًا، وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديدًا دقيقًا.

(و) تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب.

(ز) ضبط الغريزتين: غريزة حفظ النفس، وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

(ح) الشدة فى محاربة الجرائم الأصلية .

(ط) تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

(ى) إلزام الأمة الجهاد فى سبيل مبادئ الحق التى جاء بها هذا النظام .

(ك) اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص، وإبلاغها إلى الناس جميعًا.

٣ - الشعائر العملية لهذا النظام

وقد خالف هذا النظام القرآنى غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات فى النفوس، ولا آراء فى الكتب، ولا كلمات على الأفواه والشفاه، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية، وألزم الأمة التى تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل فى تضييعها هوادة، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامى وتطوح به إلى مكان سحيق. وأهم هذه الفرائض التى جعلها هذا النظام سياجًا لتركيز مبادئه هى:

(أ) الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار . . . . الخ.

(ب) الصيام والعفة والتحذير من الترف .

(ج) الزكاة والصدقة والإنفاق فى سبيل الخير .

(د) الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر فى ملكوت الله .

(هـ) الكسب والعمل وتحريم السؤال .

(و) الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم .

(ز) الأمر بالمعروف وبذل النصيحة .

(ح) النهى عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه .

(ط) التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة فى فنون الحياة المختلفة كل فيما يليق به .

(ى) حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة .

(ك) الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس .

(ل) التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معًا .

فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآنى، وعليه ألا يقصر فى شىء منها، وقد ورد ذكرها جميعًا فى القرآن الكريم، وبينتها بيانًا شافيًا أعمال النبى ﷺ وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان فى بساطة ووضوح، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوى وتركز مبدأ أو عدة مبادئ من النظريات السابقة التى جاء هذا النظام لتحقيقها وإفادة الناس بنتائجها وآثارها .

٤ - الدولة الإسلامية الأولى

على قواعد هذا النظام الاجتماعى القرآنى الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيمانًا عميقًا وتطبقه تطبيقًا دقيقًا وتنشره فى العالمين، حتى كان الخليفة الأول رضى الله عنه يقول: (لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله) وحتى إنه ليقاتل مانعى الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول: (والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدى).

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة. فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن، والوحدة السياسية شاملة فى ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة فى العاصمة، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية فى الجيوش، وفى بيوت المال، وفى تصرفات الولاة، إذ أن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد .

ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها فى نطاق ضيق وقضت على سلطانها الدينى والسياسى قضاءً تامًا، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها فى قارتى آسيا وأفريقيا وانحازت إلى أوربا فى ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية، وتركز بذلك السلطان الروحى والسياسى بالدولة الإسلامية فى القارتين العظيمتين، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا، وتقيم فى غرب أوربا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية فى هذا الجزء المحدود من قلب أوربا، وتمخر الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار فى الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية .

وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعًا، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعًا من غير أن يؤثر ذلك فى وحدتها الاجتماعية أو السياسية .

٥ – عوامل التحلل فى كيان الدولة الإسلامية

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى

كيان هذه الأمة القرآنية، وتعظم وتنتشر وتقوى شيئًا فشيئًا حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية في القرن السادس الهجري بأيدي التتار وفي القرن الرابع عشر الهجري مرة ثانية، وتركت وراءها في كلتا المرتين أممًا مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض.

وكان أهم هذه العوامل:

(أ) الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه، مع التحذير الشديد الذى جاء به الإسلام فى ذلك والتزهيد فى الإمارة ولفت النظر إلى هذه الناحية التى هى سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ومع الوصية البالغة بالإخلاص لله وحده فى القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة.

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهى، حتى قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل».

(ج) الانغماس فى ألوان الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات، حتى أثر عن حكام المسلمين فى كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم، مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

(د) انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه، مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

(هـ) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود فى فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة، مع أن الإسلام يحثهم على النظر فى الكون واكتناه أسرار الخلق والسير فى الأرض، ويأمرهم أن يتفكروا فى ملكوت الله: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١].

(و) غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر فى التطور الاجتماعى للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم فى الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع فى تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، مع النهى الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. وقال فى آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٩].

٦ – صراع سياسى

(أ) محاولات القضاء على الأمة الإسلامية:

أخذت هذه العوامل تعمل فى كيان الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عملها، وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضى على هذه الدولة الإسلامية التى فتحت بلادها من قبل، وغيرت معالم أوضاعها فى كل شؤون الحياة فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الإسلامية وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءاً جزءاً حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووطئوها بنعالهم فى شخص

الخليفة المستعصم، وبذلك تبدد شمل الدولة وانتثر عقد الخلافة لأول مرة وتفرقت الأمم إلى دويلات صغيرة، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر. وتنبهت المسيحية فى أوربا وجمعت جموعها وقذفت الشرق المسلم فى آسيا وأفريقيا بكتائبها فى تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد. وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية فى بيت المقدس وتهديد أمم الإسلام فى الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك.

(ب) انتصارات متتالية:

ولكن الله تبارك وتعالى لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق، فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات وتقذف بهم فى نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين، فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة فى حطين[1]، ثم تقف فى وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين فى عين جالوت[2]، ثم تعيد رسم الخلافة من جديد. ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للإسلام دولة وارفة الظلال قوية البأس شديدة المراس، تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه، ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية فى عقر دارها، فتفتح القسطنطينية ويمتد سلطانها فى قلب أوربا حتى يصل إلى فينيا، تلك هى دولة الأتراك العثمانية.

(ج) بواكير النهضة فى أوربا:

اطمأنت الدولة الإسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه وغفلت عن كل ما يدور حولها. ولكن أوربا التى اتصلت بأضواء الإسلام غربًا بالأندلس وشرقاً بالحملات الصليبية، لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس. فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة فى بلاد الغال، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الإسلامى الغربى، وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمى الأندلس، وأن تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيراً إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الأفريقية. فقامت مقامهم الدولة الإسبانيولية الفتية، وما زالت أوربا تتقوى وتتجمع

---

(١) وقعت عام ٥٨٣هـ.

(٢) وقعت عام ٦٥٨ هـ.

وتفكر وتتعلم، وتجوب البلاد وتكشف الأقطار، حتى كان كشف أمريكا عملاً من أعمال أسبانيا وكشف طريق الهند عملاً من أعمال البرتغال، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين وأقبلت على العلم الكونى والمعرفة المنتجة المثمرة. وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعًا أن تمزق هذه الدولة الإسلامية التى قاسمتها أوربا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا. وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافًا رقت بها إلى درجة القداسة فى كثير من الأحيان .

(د) هجوم جديد :

وامتدت الأيدى الأوربية، بحكم الكشف والضرب فى الأرض والرحلة إلى أقصى آفاقها البعيدة، إلى كثير من بلدان الإسلام النائية كالهند وبعض الولايات الإسلامية المجاورة لها. وأخذت تعمل فى جد للوصول إلى تمزيق دولة الإسلام القوية الواسعة وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحيانًا بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية، وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنقص بعض أطرافها أو تهد جانبًا من كيانها واستمرت هذه المهاجمة أمدًا طويلاً انسلخ فيه عن الدولة العثمانية كثير من الأقطار الإسلامية، وقعت تحت السلطان الأوربى كالمغرب الأقصى وشمال أوربا واستقل فيه كثير من البلاد غير الإسلامية التى كانت تحت سلطان العثمانيين كاليونان ودول البلقان. وكان الدور الختامى فى هذا الصراع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ – ١٩١٨م الذى انتهى بهزيمة تركيا وحلفائها وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوربا (انجلترا وفرنسا) وإلى جوارهما (إيطاليا) فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الإسلام وشعوبه، وبسطت سلطانها عليها بأسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب وتقاسمته على هذا النحو :

١ - أفريقيا الشمالية (مراكش والجزائر وتونس) مستعمرات فرنسية، تتخللها منطقة نفوذ دولية فى طنجة، ومستعمرة أسبانية فى الريف .

٢ - طرابلس وبرقة مستعمرة إيطالية لم تشأ إيطاليا أن تبقى على شىء من آثار

الإسلام فيها، ففرضت عليها التجنس بالجنسية الإيطالية وأسمتها إيطاليا الجنوبية، وقذفتها بآلاف من جياع الأسر وذئاب البشر .

٣ - مصر والسودان تحت الحماية الإنجليزية لا تملك إحداهما لنفسها من أمرها شيئا .

٤ - فلسطين مستعمرة إنجليزية أباحت انجلترا لنفسها أن تبيعها لليهود لِيُنشئوا فيها الوطن القومى الصهيونى .

٥ - سوريا مستعمرة فرنسية .

٦ - العراق مستعمرة إنجليزية .

٧ - الحجاز حكومة ضعيفة متداعية تنتظر الصدقات وتتشبث بالعهود الزائفة والمواثيق الباطلة .

٨ - اليمن حكومة منزوية وشعب فقير مهدد بالغزو فى كل مكان فى أى وقت من الأوقات .

٩ - بقية أقسام الجزيرة العربية إمارات صغيرة يعيش أمراؤها فى كنف القناصل الإنجليزية ويقتاتون بفتات موائدهم وتشتعل صدورهم بنيران التحاقد والتباغض، هذا مع الوعود المؤكدة والمواثيق الغليظة التى قطعها الحلفاء لعاهل الجزيرة الملك حسين أن يساعدوه على استقلال العرب وتدعيم سلطان الخلافة العربية .

١٠ - إيران والأفغان حكومات مضطربة تتوزعها الأطماع من كل مكان فهى تحت كنف هذه الأمة تارة وإلى جانب تلك تارة أخرى .

١١ - الهند مستعمرة إنجليزية .

١٢ - تركستان وما جاورها مستعمرات روسية يذيقها البلاشفة مر العذاب . وفيما عدا ذلك فهناك الأقليات الإسلامية المنثورة فى كثير من البلدان لا تعرف دولة تلجأ إلى حمايتها، أو حكومة مسلحة تحتمى بجنسيتها كالمسلمين فى الحبشة والصين والبلقان وبلاد أفريقية الوسطى والجنوبية الشرقية والغربية . وبهذا الوضع انتصرت أوربا فى هذا الصراع السياسى وتم لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية

الإسلامية والذهاب بدولة الإسلام وحذفها سياسيًا من قائمة الدول الحية العظيمة.

(هـ) إلى القوة من جديد:

ولكن هذا العدوان الصارخ والاستهتار بالعهود والمواثيق أحرج الصدور وأثار النفوس، فهبت هذه الأمم تطالب باستقلالها وتجاهد لاسترداد حريتها ومجدها، واشتعلت فيها الثورات لهذا المعنى، فثارت تركيا، وثارت مصر، وثارت العراق وسوريا، وتكررت الثورات في فلسطين والريف في بلاد المغرب، وعمت اليقظة النفوس في كل مكان، ووصلت شعوب الإسلام بذلك إلى بعض الحقوق، فاستقلت تركيا في حدودها الجديدة، واعتبرت مصر والعراق دولتين مستقلتين، وقامت في الحجاز ونجد دولة السعوديين، وحافظت اليمن وإيران وأفغانستان على وضعياتها المستقلة، وقاربت سورية أن تسلب الاعتراف باستقلالها[1]، ولفتت فلسطين أنظار العالم إليها بكفاحها، وخطا المسلمون ولاشك خطوات طيبة وإن كانت قليلة وبطيئة نحو الأهداف الكريمة التي قصدوها من استعادة حريتهم واسترداد مجدهم وبناء دولتهم. ولئن اتجهت هذه الخطوات إلى المعنى القومي الخاص وطالبت كل أمة بحقها في الحرية كأمة مستقلة، وتعمّد كثير من العاملين لهذه النهضة أن يغفل فكرة الوحدة فإن مصير هذه الخطوات سيكون، ولاشك، التجمع وعودة الأمّة الإسلامية كدولة متحدة تضم شتات شعوب العالم الإسلامي وترفع راية الإسلام وتحمل دعوته، فليس في الدنيا أمة يجمعها ما يجمع المسلمين من وحدة اللغة والاشتراك في المصالح المادية والروحية والتشابه في الآلام والآمال.

(و) حرب جديدة:

ولقد خرجت الدول الأوربية من الحرب العالمية وبذور الحقد والبغضاء متأصلة في صدور الكثير منها، وجاء مؤتمر الصلح ومعاهداته لطمات قاسية لبعضها وخيبة أمل مؤلمة لكثير منها، أدى هذا إلى ظهور كثير من الفكر الجديدة، والمبادئ المتعصبة الشديدة التعصب؛ ولابد أن تنتهي هذه الحال بهذه الأمم إلى خلاف جديد وحرب

---

(١) نالت سوريا بعد ذلك حريتها، واعترفت الدول باستقلالها وجلاء الفرنسيين عن ديارها، وكذلك استقلت سائر الدول العربية.

طاحنة ضروس تبدد شملهم وتمزق وحدتهم وتعيدهم إلى رشدهم وتردهم عن ظلمهم، وتهب لأمم الإسلام فرصة أخرى تسوى فيها صفوفها وتجمع شملها وتستكمل حريتها واستقلالها وتسترد دولتها ووحدتها تحت لواء أمير المؤمنين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]

٧ - صراع اجتماعي

حضارة جديدة: إن الأمم الأوربية التي اتصلت بالإسلام وشعوبه في الشرق بالحروب الصليبية، وفي الغرب بمجاورة عرب الأندلس وخالطتهم، ولم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوي أو التجمع والتوحد السياسي، ولكنها أفادت إلى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علومًا ومعارف جمة، وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الغريبة بكل ما أوتيت من قوة، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب، وتعتدى عليهم محاكم التفتيش وتثير ضدهم الدول والشعوب، ولكن ذلك لم يجدها نفعًا ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه؛ وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار وتنبهت الدولة بذلك، فصارعت الكنيسة هي الأخرى حتى صرعتها. وتخلص بذلك المجتمع الأوربي تخلصًا تامًا من سلطانها وطارد رجالها إلى المعابد والأديرة وألزم البابا الإقامة في الفاتيكان، وحصر عمل رجال الدين في نطاق ضيق من شئون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون إلى سواه، ولم تبق أوربا على المسيحية إلا كتراث تاريخي، وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار من دهماء الشعوب، ووسيلة من وسائل التغلب والاستعمار وقضاء المآرب السياسية.

وامتد أمام الأوربيين رواق العلم وانفسح مجال الاختراع والكشف، وضاعفت الماكينة الإنتاج ووجهت الحياة وجهة صناعية، وسار ذلك جنبًا إلى جنب مع نشأة الدولة القوية وامتداد سلطانها إلى كثير من البلاد والأقطار، فأقبلت الدنيا على هذه الأمم الأوربية وجبيت إليها ثمرات كل شيء، وتدفقت عليها الأموال من كل مكان، فكان طبيعيًا بعد ذلك أن تقوم الحياة الأوربية والحضارة الأوربية على قاعدة إقصاء

الدين عن مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة والمحكمة والمدرسة، وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس فى كل شىء .. وتبعًا لذلك صارت مظاهر هذه الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية، وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التى قررها الإسلام الحنيف وجعلها أساسًا لحضارته التى جمعت بين الروحانية والمادية جميعًا، ومن أهم الظواهر التى لازمت المدنية الأوربية :

١ - الإلحاد والشك فى الله وإنكار الروح ونسيان الجزاء الأخروى والوقوف عند حدود الكون المادى المحسوس: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]

٢ - الإباحية والتهافت على اللذة والتفنن فى الاستمتاع وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها، وإشباع شهوتى البطن والفرج، وتجهيز المرأة بكل صنوف المفاتن والمغريات، والإغراق فى الموبقات إغراقًا يحطم الجسوم والعقول ويقضى على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٢] .

٣ - الأثرة فى الأفراد، فكل إنسان لا يريد إلا خير نفسه. وفى الطبقات، فكل طبقة تتعالى عمن سواها وتود أن تحظى بالمغانم دونها. وفى الشعوب، فكل أمة تتعصب لجنسها وتنتقص غيرها وتحاول أن تلتهم من هى أضعف منها .

٤ - الربا والاعتراف بشرعيته واعتباره قاعدة التعامل، والتفنن فى صوره وضروبه وتعميمه بين الدول والأفراد .

وقد أنتجت هذه المظاهر المادية البحتة فى المجتمع الأوربى فساد النفوس وضعف الأخلاق والتراخى فى محاربة الجرائم، فكثرت المشكلات وظهرت المبادئ الهدامة واشتعلت الثورات المخربة المدمرة، واضطربت النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم تستقر على حال، وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد. وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنسانى وإقرار الطمأنينة والسلام فيه وفشلت فى إسعاد الناس رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء وما مكنت لدولها فى الأرض من قوة وسلطان ولما يمض عليها قرن كامل من الزمان .

وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التى امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة. وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى إحكامًا شديدًا واستعانوا بدهائهم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما أرادوا. أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا عليهم ذلك وهونوه عليهم، واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادى وأن يغرقوا البلاد برؤوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم، وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادى كما يريدون وأن يستأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة فى أقوى بلاد الإسلام.

وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالاتهم وعبثهم ومجونهم، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه فى ديارهم.

وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة، التى تعج بالإثم وتطفح بالفجور، فى أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوى الرأى فيهم وأهل المكانة والسلطان. ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية فى عقر ديار الإسلام تقذف فى نفوس أبنائه الشك والإلحاد وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربى ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوربيين وحده هو المثل الأعلى فى هذه الحياة. واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفًا عليها، وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الأمور فى هذه الأمم والشعوب.

ومن لم يتم نضجه فى هـذه المعاهد الموضعية فـإن فى البعثات المتلاحـقة ما يكفل لهم التـمام. ونجح هذا الغـزو الاجتمـاعى المنظم العنيف أعظم النجـاح، فهـو غزو محـبب إلى النفـوس لاصق بالقلوب طويل العمـر قوى الأثر، وهو لهـذا أخطر من الغزو السياسى والعسكرى بأضعاف الأضعاف.

وتغالت بعض الأمم الإسلامية فى الإعجاب بهذه الحضارة الأوربية والتبرم بصبغتها الإسلامية، حتى أعلنت تركيا أنها دولة غير إسلامية وتبعت الأوربيين بعنف قاس فى كل ما يـصنعون. وحاول ذلـك أمان الله خان ملك الأفـغان فطاحت تلـك المحاولة بعرشه، وازدادت فى مصر مظاهر هذا التقليد واستفحلت حتى استطاع رجل من ذوى الرأى فيها أن يجهر بأنه لا سبيل إلى الترقى إلا بأن نأخذ بهذه الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد وما يعاب.

وأخذت تنتقل فى سرعة وقوة من مصر إلى ما جاورها من البلاد حتى وصلت إلى أقصى المغـرب وطوفت بالمشاعر المقدسـة فى ربوع الحجاز. ونستطيع أن نقـسم البلاد الإسلامية بحسب تأثرها بهذه الحضارة المادية وطغيان مادتها عليها إلى ثلاثة أقسام:

١ - بلاد بلغ هذا التأثر مبلغـا عظيمًا يصل إلى القلوب والمشاعر، كمـا غير الأوضاع والمظاهر، ومن هذه البلاد تركيا ومصر، فقد انحسر ظل الفكرة الإسلامية فى هذه البلاد عن كل الأوضاع الاجتـماعية وطوردت الفكرة الاسلامية لتـقبع فى المساجد والزوايا والربط والتكايا.

٢ - بلاد تأثرت بهذه الحـضارة فى أوضاعهـا ومظاهرها الرسمية، ولكنهـا لم تتغلب فيها على المشاعر القلبية كإيران وبلاد المغرب وشمال أفريقيا.

٣ - بلاد لم تتأثر بهذه الحضارة فيها إلا طبقـة خاصة من المثقفين والحكام دون العامة والدهماء كسـوريا والعراق والحجاز وكثـير من أجزاء الجزيرة العربيـة وبقية ممالك الإسلام.

ومع هذا فالموجـة تمتد بسرعة البـرق لتصل إلى ما لم تصل إليه بعـد من النفوس والطبقات والأوضاع. ولقـد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعـوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستـارًا كثيفًا أمام أعين الغُـيرُ منهم، بتصوير الإسلام نفسـه تصويرًا قاصرًا فى

ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق إلى جـانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجـوفاء، وأعانهـم على هذه الخديعـة جهل المسلمين بحقـيقة دينهـم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا إليـه ورضوا به، وطال عليهم فى ذلك الأمد حتى صار من العـسير أن نفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجـتماعى كامل يتناول كل شئون الحياة.

ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة الغربـية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبـادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا فى أرض الإسلام نفـسه، وفى حـرب ضروس مـيدانها نـفوس المسلمـين وأرواحهم وعقائدهم وعقـولهم، كما انتصرت فى الميدان السيـاسى والعسكرى، ولا عجب فى هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقـوة قوة فيها جميعًا، والضعف ضعف فيـها جميعًا كذلك: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ [آل عـمـران: ١٤٠] وإن كانت مـبـادئ الإسلام وتعاليـمه ظلت قوية فى ذاتها فياضـة بالخصب والحياة جذابة أخاذة بـروعتها وجمالهـا، وستظل كذلك لأنها الحق ولن تقوم الحـياة الإنسانية كاملة فـاضلة بغيرها ولأنها من صنع الله وفى حـياطته: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة: ٣٢].

يقظة: وكما كان لذلك العـدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومـية، كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتـعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهـم أحكامه وتطبيق نظامه. ولابد أن يأتى قريبًا ذلك اليوم الذى تندك فيه صـروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (٥٧) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

٩ - دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ

(أ) تركة مثقلة: وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن

يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ [الحج: ٤٠]

(ب) أهدافنا العامة: ماذا نريد أيها الإخوان؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل؟ أم سعة الجاه وهو عرض حائل؟ أم نريد الجبروت فى الأرض: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ [الأعراف: ١٢٨]. ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ [القصص:٨٣]. شهد الله أننا لا نريد شيئًا من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا، ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين:

١ - أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى وذلك حق طبيعى لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر.

٢ - أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعًا آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها. ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام.

نريد تحقيق هذين الهدفين فى وادى النيل وفى بلاد العروبة وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين.

(ج) أهدافنا الخاصة: ولنا بعد هذين الهدفين أهداف خاصة لا يصير المجتمع إسلاميًا كاملاً إلا بتحقيقها. فاذكروا أيها الإخوان أن أكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس، وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية التى لا يعلم نتيجتها إلا الله، وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة فى جميع أنحاء البلاد، وأن دولاب التجارة

والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها فى أيدى الأجانب المرابين، وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدى الوطنيين إلى أيدى هؤلاء، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضًا وأوبئة وعاهات، وأن أكثر من ٩٠٪ من الشعب المصرى مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والأمراض، وأن مصر لا زالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس بما فى ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الإلزام، وأن الجرائم تتضاعف فى مصر وتتكاثر بدرجة هائلة حتى أن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس، وأن مصر لم تستطع إلى الآن أن تجهز فرقة واحدة فى الجيش كاملة المعدات، وأن هذه المعانى والصور تتراءى فى كل بلد من بلدان العالم الإسلامى، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة وتكوين مجتمع نموذجى يستحق أن ينتسب إلى شريعة الإسلام.

(د) وسائلنا العامة: كيف نصل إلى هذه الأهداف؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدى نفعًا ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعين إلى هدف من الأهداف، ولكن للدعوات وسائل لابد من الأخذ بها والعمل لها. والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة:

١- الإيمان العميق.

٢- التكوين الدقيق.

٣- العمل المتواصل. وتلك هى وسائلكم العامة أيها الإخوان، فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها.

(هـ) وسائل إضافية: وقد تكون إلى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية لابد من الأخذ بها وسلوك سبيلها، منها السلبى ومنها الإيجابى، ومنها ما يتفق مع عرف الناس ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة، ولابد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والإعداد لهذا كله حتى تضمن النجاح. قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن

نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها، وليست الدعوة فى حقيقة أمرها إلا خروجًا على المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع، فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الإخوان؟

(و) تثبيط : وسيقول كثير من الناس: وماذا تعنى هذه الوسائل؟ وما عساها أن تنفع فى بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا؟ وكيف تصنعون فى قضية المرأة؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة؟ فاعلموا أيها الإخوان أن وساوس الشيطان يلقيها فى أمنية كل مصلح فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم. واذكروا لهؤلاء جميعًا أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة. والأمة التى تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت .

(ز) العقبات فى طريقنا : أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لازالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيرا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات. أما الآن فلازلتم مجهولين ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد. سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم.

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان. وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس فى أبشع صورة،

معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدّين بأموالهم ونفوذهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وستدخلون بذلك ولاشك فى دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون، وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]. ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ .... فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٤] فلم أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله؟

(ج) عوامل النجاح: ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعاً أننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات، وننادى بفكرة الإسلام وهى أقوى الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] وأن العالم كله فى حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهد لها ويهيئ سبيلها، وأننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته، وأننا نترقب تأييد الله ونصرته ومن نصره الله فلا غالب له: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]. فقوة دعوتنا وحاجة الناس إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هى عوامل النجاح التى لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف فى طريقها عائق: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

١٠ - وصية

أيها الإخوان المسلمون، اسمعوا:

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بينى وبينكم إلى حين؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم،

فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا استطعتم. وأن تجتمعوا عليها، وإن تحت كل كلمة لمعانٍ جمة.

أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبًا سياسيًا ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد. ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داو يعلو مرددًا دعوة الرسول ﷺ ومن الحق الذى لا غلوّ فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس.

إذا قيل لكم إلام تدعون؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه، فإن قيل لكم هذه سياسة! فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام.

وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به، فإن ثرتم علينا ووقفتم فى طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين. وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا: ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ [غافر: ٨٤] فإن لجّوا فى عدوانهم فقولوا: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥].

***

واجبات

أيها الإخوان :

آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه .

وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات. وكونوا أقوياء بأخلاقكم أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين .

وأقبلوا على القرآن تتدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين؛ فإذا هدى الله قومًا ألهمهم العمل؛ وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.

وتحابوا فيما بينكم، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهى سر قوتكم وعماد نجاحكم، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين.

واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم فى العسر واليسر والمنشط والمكره، فهى رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم.

وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده. والفرصة آتية لا ريب فيها ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين وأحيانا حياة الأعزاء السعداء وأماتنا موت المجاهدين والشهداء إنه نعم المولى ونعم النصير.

* * *

رسالة المؤتمر الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

فى عشر سنوات

١٣٤٧ - ١٣٥٧ الهجرية

خلاصة الخطاب الجامع الذى ألقاه فضيلة الأستاذ المرشد العام فى المؤتمر الدورى الخامس

* غاية الإخوان وخصائص دعوتهم.
* وسائل الإخوان وخطوات منهاجهم.
* موقف الإخوان من الهيئات المختلفة.

غاية الإخوان وخصائص دعوتهم

أيها الإخوان :

كنت أود أن نظل دائمًا نعمل ولا نتكلم، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الإخوان وخطوات الإخوان، وكنت أحب أن تتصل خطوتكم اللاحقة بخطوتكم السابقة في هدوء وسكون ومن غير هذا الفاصل الذى نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية .

ولكنكم أردتم هذا، وأحببتم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكرًا لكم، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض برنامجنا، ونراجع فهرس أعمالنا، ونستوثق من مراحل طريقنا ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة، وتصحح النظرة الخاطئة، وتعلم الخطوة المجهولة، وتتم الحلقة المفقودة، ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا غموض .

لا بأس بهذا، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته؛ فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

أيها الإخوان :

أجدنى في غنى عن تحيتكم وشكركم، وعن وصف ما يغمرنى من السعادة بموقفى هذا بينكم، ومن السرور والفرح بلقائكم ومن الأمل العظيم بمؤازرتكم وتوفيق الله إياكم .

أجدنى في غنى عن بيان هذا كله بهذا الفيض من العواطف النبيلة الذى يغمر جو هذا الاجتماع، فكان كل ما فيه ينطق بالحب العميق والارتباط الوثيق والأخوة الصادقة والتعاون المكين، وفقكم الله لخير ما يحب ويرضى .

○ الإخوان فكرة فى نفوس أربعة

أيها الإخوان الكرام:

طالعت كثيراً وجربت كثيراً وخالطت أوساطًا كثيرة وشهدت حوادث عدة، فخرجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويلة المراحل بعقيدة ثابتة لا تتزلزل هى: إن السعادة التى ينشدها الناس جميعًا إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم، ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبداً، وأن الشقاء الذى يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب كذلك، وإن القرآن يؤيد هذا المعنى ويوضحه ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]. وما رأيت كلامًا أعمق فى فلسفة الاجتماع من قول ذلك الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

اعتقدت هذا واعتقدت إلى جانبه أنه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية، وتهدى الناس إلى الطرق العملية الواضحة لهذه السعادة، كتعاليم الإسلام الحنيف الفطرية الواضحة العملية. وليس هنا مجال تفصيل هذه التعاليم، ولا مجال التدليل على أنها تضمن هذه النتيجة، وتكفل سعادة البشرية جميعًا فلذلك مجال آخر، فضلاً عن أننا كلنا فيما أعتقد شركاه فى التسليم بصحة هذه النظرية، على أن كثيراً من غير المسلمين يقر بها ويعترف بما فى الإسلام من جمال وكمال.

لهذا وقفت نفسى منذ نشأت على غاية واحدة هى إرشاد الناس إلى الإسلام حقيقة وعملاً. ولهذا كانت فكرة الإخوان المسلمين إسلامية بحتة فى غايتها وفى وسائلها، لا تتصل بغير الإسلام فى شيء.

ظلت هذه الخواطر حديثًا نفسانيًا ومناجاة روحية أتحدث بها فى نفسى لنفسى، وقد أفضى بها إلى كثير ممن حولى، وقد تظهر فى شكل دعوة فردية أو خطابة وعظية أو درس فى المساجد إذا سنحت فرصة التدريس، أو حث لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة ومضاعفة المجهود فى إنقاذ الناس وإرشادهم إلى ما فى الإسلام من خير.

ثم كانت فى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامى حوادث عدة ألهبت نفسى وأهاجت كوامن الشجن فى قلبى، ولفتت نظرى إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس، ولا أطيل عليكم بتفصيل حوادث انتهى أمرها وعفت آثارها، وفاء إلى الرشد أو بعض الرشد أصحابها .

ولقد أخذت أفاتح كثيراً من كبار القوم فى وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجد والتكوين، فكنت أجد التثبيط أحيانًا والتشجيع أحيانًا، والتريث أحيانًا، ولكنى لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية. ومن الوفاء أن أذكر فى هذا المقام المرحوم أحمد باشا تيمور، أفسح الله له فى جنته، فما رأيته مرة إلا مثالاً للهمة المتوثبة، والغيرة المتوقدة، وما تحدثت إليه فى شأن من شئون الأمة العامة إلا وجدت العقل الكامل والاستعداد التام والإلمام الشامل وترقب ساعة العمل، فرحمه الله وأجزل مثوبته.

ولَّيتُ وجهى شطر الأصدقاء والإخوان ممن جمعنى وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب، فوجدت استعداداً حسنًا. وكان أسرعهم مبادرة إلى مشاركتى عبء التفكير وأكثرهم اقتناعًا بوجوب العمل فى إسراع وهمة، الإخوان الفضلاء: الأستاذ أحمد أفندى السكرى، والأخ المفضال المرحوم الشيخ حامد عسكرية أسكنه الله فسيح جنته، والأخ الشيخ أحمد عبد الحميد وكثير غيرهم.

وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية، حتى يتحول العرف العام فى الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة.

ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالى كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه فى مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء ونفكر فى العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء. وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا فى مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة ,الخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهى ويترددون على أندية الفساد والإتلاف. فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك: أقتل الوقت، وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة.

كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء، ثم يقول بعضنا لبعض: أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها، ألا تفكر فى مرضها وألا تعمل لعلاج نفسها .

ولهذا وأمثاله نعمل ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه .

وعمل الزمن عمله فتفرقنا نحن الأربعة فكان أحمد أفندى السكرى بالمحمودية . وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق، وكان الشيخ أحمد عبد الحميد بكفر الدوار، وكنت بالإسماعيلية أذكر قول القائل :

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيرانى

وفى الإسماعيلية أيها الإخوان وضعت أول نواة تكوينية للفكرة، وظهرت أول هيئة متواضعة نعمل ونحمل لواءها ونعاهد الله على الجندية التامة فى سبيلها تحت اسم [الإخوان المسلمون] وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٣٤٧ هـ.

إسلام الإخوان المسلمين

واسمحوا لى أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير، ولست أعنى به أن للإخوان المسلمين إسلامًا جديدًا غير الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه، وإنما أعنى أن كثيرًا من المسلمين فى كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتًا وأوصافًا وحدودًا ورسومًا من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخدامًا ضارًا - مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية - فاختلفوا فى معنى الإسلام اختلافًا عظيمًا، وانطبعت للإسلام فى نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذى مثله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل .

فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئًا غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضى به وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين، ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة، والغذاء الفلسفى الشهى للعقل والروح، والبعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة. ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعانى الحيوية

العملية فى الإسلام فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا يعجبه التفكير فى سواها، ومنهم من يرى الإسلام نوعًا من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التى لا غناء فيها ولا تقدم معها، فهو متبرم بالإسلام وبكل ما يتصل بالإسلام، وتجد هذا المعنى واضحًا فى نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئًا أصلاً، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين.

وتحت هذه الأقسام جميعًا تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلاً أو كثيرًا، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعانى جميعًا.

هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد فى نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافًا بيِّنًا فى فهم الإخوان المسلمين وتصور فكرتهم، فمن الناس من يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تقدم للناس العظات فتزهدهم فى الدنيا وتذكرهم الآخرة، ومنهم من يتصور الإخوان المسلمين طريقة صوفية تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة، ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها وتحمل الناس عليها وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها، وقليل من الناس خالطوا الإخوان المسلمين وامتزجوا بهم ولم يقفوا عند حدود السماع ولم يخلعوا على الإخوان المسلمين إسلامًا يتصورونه هم، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شىء عن دعوتهم علمًا وعملاً. ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم فى إيجاز عن معنى الإسلام وصورته الماثلة فى نفوس الإخوان المسلمين، حتى يكون الأساس الذى ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحًا جليًا:

(١) نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شئون الناس فى الدنيا وفى الآخرة، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى مخطئون فى هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصى بالإحسان فيه جميعه، وإلى

هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وإنك تقرأ فى القرآن وفى الصلاة إن شئت قول الله تبارك وتعالى فى العقيدة والعبادة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وتقرأ قوله تعالى فى الحكم والقضاء والسياسة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وتقرأ قوله تعالى فى الدّين وفى التجارة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وتقرأ قوله تعالى فى الجهاد والقتال والغزو: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة فى هذه الأغراض نفسها وفى غيرها من الآداب العامة وشئون الاجتماع.

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلى الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شئون الحياة وأن تصطبغ جميعًا به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت

الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلامًا صحيحًا، أما إذا أسلمت فى عبادتها وقلدت غير المسلمين فى بقية شئونها، فهى أمة ناقصة الإسلام تضاهئ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[البقرة: ٨٥]

(٢) إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبدًا، وأن كثيرًا من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها. ولهذا يجب أن تستقى النظم الإسلامية التى تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جميعًا.

(٣) وإلى جانب هذا أيضًا يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شئون الحياة فى كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصًا فى الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية فى كل شأن من هذه الشئون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير فى حدودها.

ولضمان الحق والصواب فى هذا التطبيق أو تحريهما على الأقل، عنى الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية وهى مصدر النظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ويغسلها من أدران الغرض والغاية ويهديها إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان؛ وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحًا جميلاً. يقولون إن العدل ليس فى نص القانون ولكنه فى نفس القاضى، وقد تأتى بالقانون الكامل العادل إلى القاضى ذى الهوى والغاية فيطبقه تطبيقًا جائرًا لا عدل معه، وقد تأتى بالقانون الناقص والجائر إلى القاضى الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات

فيطبقه تطبيقًا فاضلاً عادلاً فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف. ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى فى كتاب الله، وكانت النفوس الأولى التى صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنسانى، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضًا كان الإسلام لا يأبى أبدًا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة .

لا أحب أيها السادة أن أسترسل فى هذا البيان فذلك باب واسع وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقى ضوءًا على هذا المعنى العام للفكرة الإسلامية فى نفوس الإخوان المسلمين .

فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعانى الإصلاحية

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح فى الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبى الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك، إن الإخوان المسلمين:

(١) دعوة سلفية: لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٢) وطريقة سنية: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شىء، وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

(٣) وحقيقة صوفية: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب فى الله، والارتباط على الخير.

(٤) وهيئة سياسية: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

(٥) وجماعة رياضية: لأنهم يعنون بجسومهم، ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف، وأن النبى ﷺ يقول: «إن لبدنك عليك حقًا» وإن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى، فالصلاة

والصوم والحج والزكاة لابد لها من جسم يتحمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق، ولأنهم تبعًا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيرًا من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

(٦) ورابطة علمية ثقافية: لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولأن أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

(٧) وشركة اقتصادية: لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذي يقول عنه نبيه ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». ويقول ﷺ: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له»، «إن الله يحب المؤمن المحترف» .

(٨) وفكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي، وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعًا ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعًا .

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضًا وما هو بمتناقض .

فقد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعًا متبتلاً يبكي ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظًا مدرسًا يقرع الآذان بزواجر الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضيًا أنيقًا يرمي بالكرة أو يُدرب على العدو أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص. فهذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعًا يجمعها الإسلام ويأمر بها الإسلام ويحض عليها الإسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المآخذ ومواطن النقد والتقصير .

كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو (الإخوان المسلمون) .

بعض خصائص دعوة الإخوان

لعل من صنع الله لدعوة الإخوان أن تنبت فى الإسماعيلية، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهى بين الأهلين وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التى أذكى نار الفرقة فيها ذوو المطامع والأغراض، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوى العنيف بين الأجنبى المتعصب والوطنى المجاهد، فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التى عاصرتها .

○ ومن هذه الخصائص :

(١) البعد عن مواطن الخلاف .

(٢) والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء .

(٣) والبعد عن الأحزاب والهيئات .

(٤) والعناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات .

(٥) وإيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات .

(٦) وشدة الإقبال من الشباب .

(٧) وسرعة الانتشار فى القرى والبلاد .

١ - البعد عن مواطن الخلاف :

فأما البعد عن مواطن الخلاف الفقهى فلأن الإخوان يعتقدون أن الخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى، لابد منه، إذ أن أصول الإسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف فى فهمها وتصورها العقول والأفهام. لهذا كان الخلاف واقعًا بين الصحابة أنفسهم، وما زال كذلك وسيظل إلى يوم القيامة، وما أحكم الإمام مالك رضى الله عنه، حين قال لأبى جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ: (إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى الأمصار، وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة)، وليس العيب فى الخلاف ولكن العيب فى التعصب للرأى والحجر على عقول الناس وآرائهم .

هذه النظرة إلى الأمور الخلافية جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة، وحَسْبُ الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلمًا كما قال زيد رضى الله عنه، وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة تريد أن تنشر فكرة فى بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها .

٢ - البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان :

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة، التى تستتبع المغانم وتجر المنافع ولو فى ظن الناس لا فى حقيقة الحال. ولأننا معشر القائمين بدعوة الإخوان تعمدنا هذا، لأول عهد الدعوة بالظهور، وحتى لا يطمس لونها الصافى لون آخر من ألوان الدعوات التى يروج لها هؤلاء الكبراء، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها فى غير الغاية التى تقصد إليها، وذلك إلى أن كثيراً من العظماء ينقصه الكمال الإسلامى الذى يجب أن يتصف به المسلم العادى فضلاً عن المسلم العظيم الذى يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيداً عن الإخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء، يفهم فكرتهم ويعطف على غايتهم ويشارك فى أعمالهم ويتمنى لهم التوفيق والنجاح .

٣ - البعد عن الهيئات والأحزاب :

وأما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات فلما كان ولايزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذى لا يتفق مع أخوة الإسلام، ودعوة الإسلام عامة تجمع ولا تفرق ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل ألوانه وصار لله خالصًا. وقد كان هذا المعنى من قبل عسيراً على النفوس الطامحة، التى تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها إلى ما تريد من جاه ومال. لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء، ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان .

ونحن الآن - وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه وأن تؤثر ولا تتأثر، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا

إلينا، وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التى لا غناء فيها، ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويستظلوا براية النبى الكريم ومنهاج الإسلام القويم.

فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة، وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهود، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ويسقط فى أيديهم ويضطرون إلى العمل للدعوة أذنابًا وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٤ - التدرج فى الخطوات:

وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات فى طريق الإخوان المسلمين، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث: مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج. وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنبًا إلى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعًا، فالداعى يدعو، وهو فى الوقت نفسه يتخير ويربى، وهو فى الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك.

ولكن لاشك فى أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين.

فى حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ولا تزال تسير، فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة فى دروس متتالية وفى رحلات متلاحقة وفى مطبوعات كثيرة وفى حفلات عامة وخاصة، وفى جريدة الإخوان المسلمين الأولى ثم فى مجلة النذير الأسبوعية، ولا زلنا ندعو وسنظل كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الإخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح. ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وأظن أننا وصلنا فى هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها وعلى اطراد السير فيها، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطو الخطوة الثانية، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة.

خطونا الخطوة الثانية فى صور ثلاث :

١ - الكتائب: ويراد بها تقوية الصف بالتعارف، وتمازج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات، والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى واستمداد النصر منه، وهذا هو معهد التربية الروحية للإخوان المسلمين .

٢ - الفرق للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية: ويراد بها تقوية الصف بتنمية جسوم الإخوان وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة وإعدادهم للجندية الصحيحة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم، وهذا هو معهد التربية الجسمية للإخوان المسلمين .

٣ - درس التعاليم فى الكتائب أو فى أندية الإخوان المسلمين: ويراد بها تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم معرفته لدينه ودنياه وهذا هو معهد التربية العلمية والفكرية للإخوان المسلمين .

ذلك، إلى مختلف نواحى النشاط الأخرى التى يدرب بها الإخوان على الواجب الذى ينتظرهم كجماعة تعد نفسها لقيادة أمة بل لهداية العالمين .

بعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة نخطو إن شاء الله الخطوة الثالثة، وهى الخطوة العملية التى تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان المسلمين .

○ مصارحة :

أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم: اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم هذا الجامع: إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده. ولست مخالفًا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات. ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره فى ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.

أيها الإخوان المسلمون:

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة. ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد.

أيها الإخوان المسلمون:

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين. ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين. على أن التجارب فى الماضى والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا فى طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم. واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

متى تكون خطواتنا التنفيذية؟

أيها الإخوان المسلمون:

نحن هنا فى مؤتمر أعتبره مؤتمراً عائلياً يضم أسرة الإخوان المسلمين، وأريد أن أكون معكم صريحاً للغاية فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة:

إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ.

يسهل على كثيرين أن يتخيلوا، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل، وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل، ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل المضنى.

وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله، وفى قصة طالوت بيان لما أقول: فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختيار الدقيق وامتحنوها بالعمل، العمل القوى البغيض لديها الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها .

وفى الوقت الذى يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لُجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإنى فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: «ولن يُغلب اثنا عشر ألفًا من قلة». إنى أقدر لذلك وقتًا ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته، وقد تستطيعون أنتم معشر نواب الإخوان ومندوبيهم أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتم همتكم وضاعفتم جهودكم، وقد تهملون فيخطئ هذا الحساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفسكم العبء، وألفوا الكتائب وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب وانشروا دعوتكم فى الجهات التى لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل .

وقد يظن من يسمع هذا أن الإخوان المسلمين قليل عددهم أو ضعيف مجهودهم، ولست إلى هذا أقصد وليس هذا هو مفهوم كلامى، فالإخوان المسلمون والحمد لله كثيرون، وإن جماعة يمثلها فى هذا الاجتماع آلاف من أعضائها كل منهم ينوب عن شعبة كاملة لأكثر من أن يستقل عددها أو ينسى مجهودها أو يغمط حقها، ولكن أقصد إلى ما ذكرت أولاً من أن رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد، ورجل الجهاد غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذى يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات .

٥ - إيثار الناحية العملية :

وأما إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات، فقد أثارها فى نفس الإخوان ودعا إليها فى مناهجهم أمور :

- منها ما جاء فى الإسلام خاصًا بهذه الناحية بالذات، ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها التلف والفساد. والموازنة بين هذه النظرة وبين ما

ورد فى إذاعة الخير، والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفسه، أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق .

- ومنها نفور الإخوان الطبيعى من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج الذى ليس من ورائه عمل، وما أنتجه هذا فى الأمة من أثر سيئ وتضليل كبير وفساد ملموس .

- ومنها ما كان يخشاه الإخوان من معالجة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة ينتج عن كليهما تعويق فى السير أو تعطيل عن الغاية .

كل هذه أمور وضعها الإخوان فى ميزانهم وآثروا أن يسيروا فى دعوتهم بجد وإسراع وإن لم يشعر بهم إلا من حولهم، وإن لم يؤثر ذلك إلا فى محيطهم .

قليل من الناس من يعرف أن الداعية من دعاة الإخوان قد يخرج من عمله المصلحى فى عصر الخميس، فإذا هو فى العشاء بالمنيا يحاضر الناس، وإذا هو فى صلاة الجمعة يخطب بمنفلوط، فإذا هو فى العصر يحاضر بأسيوط، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج، ثم يعود أدراجه فإذا هو فى الصباح الباكر فى مركز عمله بالقاهرة قبل إخوانه من الموظفين. أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الإخوان فى أطراف القطر فى ثلاثين ساعة، ثم يعود أدراجه هادئ النفس مطمئن القلب يحمد الله على ما وفقه إليه ولا يشعر به إلا الذين استمعوه .

هذا مجهود لو قام به غير الإخوان لملأ الدنيا صياحًا ودعاية، لكن الإخوان - لما قدمت - يؤثرون ألا يراهم الناس إلا عاملين، فمن أقنعه العمل فيها، ومن لم يؤثر فيه العمل فلن يرشده القول .

قد يقضى الأخ شهرًا أو شهرين بعيدًا عن أهله وبيته وزوجه وولده يدعو إلى الله. هو فى الليل محاضر وفى النهار مسافر، يومًا بحزوى ويومًا بالعقيق، فيلقى أكثر من ستين محاضرة من شرق القطر إلى غربه، وقد تضم الحفلات التى يحاضر فيها الآلاف من مختلف الطبقات، ثم هو بعد ذلك يوصى ألا يكون ذلك محل دعاية أو إعلان .

يعقد الإخوان معسكرًا نموذجيًا بالإسكندرية قرابة شهر فيكون معسكرًا نموذجيًا

بحق، يجمع رياضة الفكر والروح إلى رياضة البدن والجسم، وتتمثل فيه بجلاء ووضوح المعانى السرياضية والعسكرية الكاملة، ويدوم ذلك طول هذه الفترة، ويضم تحت خيامه المباركة مائة من الشباب التقى المؤمن. فلا يكون لذلك صداه فى غير من حضروه من الإخوان المسلمين.

يعقد مؤتمر كمؤتمركم هذا وهو فى الواقع أصدق برلمان لمصر إذ مثلت فيه مديرياتها ومراكزها وقراها وحواضرها من كل الطبقات أصدق تمثيل، وقد حضرتم جميعًا لا يحملكم إلى ذلك إلا الرغبة الأكيدة فى العمل المنتج، فنوجه إليكم الدعوة ويضمكم معشر الإخوان المسلمين هذا المكان المبارك.

يقوم الإخوان بهذا وبغيره من ضروب الإصلاح التى تنتج أحسن الآثار ثم هم بذلك لا يتشدقون ولا يباهون، ولا يذكرون حتى الحقيقة فضلاً عن المبالغة والإغراق. ولو كان بعض هذا النشاط وبعض هذه الأعمال مما يوفق إليه غير الإخوان من الهيئات لملأوا الدنيا صراخًا، ولأسمعوا من فى المشرق والمغرب، ولا عجب فنحن فى عصر الدعايات.

أيها الإخوان:

ذلك المعنى الذى تقصدون إليه معنى جميل حقًا وخطة محمودة عند الله وعند الناس، فادرجوا عليها ولا بأس عليكم، ولكن لاحظوا أنكم الآن وقد أرغمتكم الدعوة على أن تتخطوا الحواجز الخاصة إلى الميادين الواسعة، وقد أظهرت الدعوة نفسها فأخذ الناس يتساءلون عنها وعنكم، وأخذ بعض الفضوليين يتطوع بتصويركم لغيركم وهو لا يدرى قليلاً ولا كثيرًا من شئونكم، فقد وجب عليكم أن تبينوا للناس غايتكم ووسيلتكم وحدود فكرتكم ومنهاج أعمالكم، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس، لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد إلى ما فيها من نفع للأمة وخير لأبنائها فاكتبوا إلى النذير وهى لسانكم، واكتبوا إلى الصحف اليومية وأظنها لا تقف فى سبيلكم، واحرصوا على أن تكونوا صادقين لا تتجاوزون الحقيقة، وأن تكون دعايتكم فى حدود الأدب الكامل والخلق الفاضل والحرص التام على جمع القلوب وتأليف الأرواح، واستشعروا كلما ظهرت دعوتكم أن الفضل فى ذلك كله لله: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

٦ - إقبال الشباب على الدعوة :

وأما إقبال الشباب على الدعوة، وغوها فى كثير من الأوساط التى هى أخصب المنابت للدعوات من الطبقات العاملة والوسطى، فتوفيق كبير نحمد الله عليه، فقد أقبل الشباب فى كل مكان على دعوة الإخوان يؤمن بها ويؤيدها ويناصرها، ويعاهد الله على النهوض بحقها والعمل فى سبيلها .

تقدم ستة من شباب الجامعة منذ سنوات يهبون الله نفوسهم وجهودهم، وعلم الله منهم ذلك فأيدهم وآزرهم، فإذا بالجامعة كلها من أنصار الإخوان المسلمين تحبهم وتحترمهم وتتمنى لهم النجاح، وإذا من الشباب الجامعى فئة كريمة مؤمنة تتفانى فى الدعوة وتبشر بها فى كل مكان .

قل مثل ذلك في الأزهر الشريف، والأزهر بطبعه معقل الدعوة الإسلامية وموئل الإسلام، فليس غريبًا عليه أن يعتبر دعوة الإخوان دعوته وأن يعد غايتها غايته، وأن تمتلئ الصفوف الإخوانية والأندية الإخوانية بشبابه الناهض وعلمائه الفضلاء ومدرسيه ووعاظه، وان يكون لهم جميعًا أكبر الأثر فى نشر الدعوة وتأييدها والمناداة بها فى كل مكان. ولم يقتصر إقبال الشباب على طوائف الطلبة الفضلاء ومن إليهم، بل إن كثيراً من طبقات الشعب المؤمنة أقبل على الدعوة وكان خير معوان فى مناصرتها، وإن كثيراً من الشباب كان ضالاً فهداه الله وكان حائراً فأرشده الله، وكانت المعصية له عادة فوفقه الله إلى الطاعة، وكان لا يعرف له غاية من الحياة فوضحت أمامه الغاية ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ [النور: ٣٥]، وإنا لنعتبر ذلك من علامات التوفيق ونلمس كل يوم تقدمًا جديداً فى هذا الباب يدعونا إلى الأمل القوى والمثابرة ومضاعفة الجهود، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

٧ - سرعة الانتشار فى القرى والمدن :

وأما سرعة انتشار الدعوة فى القرى والمدن فقد قدمت لكم أن الدعوة نشأت فى الإسماعيلية، وترعرعت فى جوها الصافى ودرجت على رمالها الممتدة الجميلة، يغذيها وينميها ما ترى كل صباح ومساء من مظاهر الاحتلال الأجنبى والاستئثار الأوربى بخير هذا البلد. فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء، وفى الغرب المعسكر الإنجليزى بأدواته ومعداته، وفى الشرق المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه

ورياسته وعظمته ومرتباته، والمصرى غريب بين كل هذه الأجواء فى بلده محروم وغيره ينعم بخير وطنه، ذليل والأجنبى يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه .

كان هذا الشعور غذاءً جميلاً ومددًا طيبًا لدعوة الإخوان فبسطت رواقها فى منطقة القناة، ثم تخطتها إلى البحر الصغير ثم مديرية الدقهلية، تحتل قلوب المؤمنين بها بذرة صغيرة متواضعة، ثم لا تلبث أن تستولى على هذه القلوب وتستغرق شعورها وتفكيرها، وتصبح للرجل أمل الآمال وغاية الغايات فيدعو ويضحى ويبذل .

وخطت الدعوة إلى القاهرة باندماج جمعية الحضارة الإسلامية بدعاتها وأدواتها إلى الإخوان، إيمانًا بفكرتهم وإيثاراً للعمل مع الجماعة، وزهادة فى الألقاب والأسماء، واحتقاراً لهذه الأنانية الفردية التى أفسدت علينا كل عمل. ثم تبع ذلك تكوُّن مكتب الإرشاد العام بالقاهرة وإشرافه على شُعب الجماعة الناشئة فى الأقاليم والبلدان، وعمله الدائب على نشر الفكرة وإيصالها إلى البلدان التى لم تتصل بها بعد.

ودأب المكتب على ذلك يقتطع أعضاؤه من قوتهم وأوقاتهم وجهودهم ما يستعينون به على خدمة عقيدتهم فى عفة الأسد، وفى طهارة ماء الغمام، لا يمنون لأحد يدًا ولا يسألون كبيراً ولا هيئة شيئًا، ولا يأخذون من مال حكومة ولا يطلبون معونة أحد إلا الله، حتى انتشرت شُعب الإخوان بسرعة فائقة فى جميع نواحى القطر المصرى من أسوان إلى الإسكندرية إلى رشيد إلى بورسعيد إلى السويس إلى طنطا، إلى الفيوم إلى بنى سويف، إلى المنيا، إلى أسيوط، إلى جرجا، إلى قنا، وفيما بين ذلك من المراكز والقرى.

ولم تقف عند هذه الحدود المصرية بل تجاوزتها إلى القسم الجنوبى من الوطن الغالى، إلى السودان المفدى، ثم إلى بقية أجزاء الوطن الإسلامى العزيز: سوريا بأقسامها شرقًا، والمغرب بأقسامه غربًا، ثم إلى غير ذلك من بقية بلادنا الإسلامية المباركة .

كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها من قبل، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا إلى البلاد والقرى وتضطرنا إلى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان فى ذلك من عنت ومن إرهاق. والمهم أن الصلة بين هذه الهيئات كلها ليس مجرد التشابه فى الاسم أوالوحدة فى المقصد العام، كلا بل إنها أقوى الصلات جميعًا، إنها صلة

الحب العميق والتعاون الوثيق، والارتباط القدسى المتين، والالتفاف التام حول محور الدعوة ومركزها، والوحدة الشاملة فى الألم والأمل والجهاد والعمل، والوسائل والغايات والمناهج والخطوات. وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد.

وليست هذه الهيئات فى البلدان والقرى مقتصرة فى عملها على تنفيذ تعليمات المكتب الرئيسى لها بالقاهرة، بل إنها تجد وتعمل فى مناحى الخدمة العامة فتبنى أنديتها، وكثير منها قد بنى داره وأصبحت ملكًا خالصًا له خاصًا به، وكثير منها كذلك قام بكثير من المشروعات الخيرية والاقتصادية والاجتماعية. وجميعها دائمة النشاط جمة الإنتاج، كما أن صلة المكتب بفروعه وهيئاته المختلفة ليست صلة الرئيس بالمرؤوس، وليست صلة الإدارة البحتة والإشراف العلمى فقط، ولكنها صلة فوق ذلك كله: صلة الروح أولاً، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض، التزاور فى الله، فدعاة الإخوان يزورون إخوانهم ويختلطون بهم ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشئونهم الخاصة والعامة، ولم يتوفر ذلك لهيئة من الهيئات القائمة فيما أعلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أيها الإخوان:

لا أكتمكم أنى مزهو بهذه الوحدة الإخوانية الصادقة، فخور بهذا الارتباط الربانى القوى المتين، عظيم الأمل فى المستقبل، مادمتم كذلك إخوة فى الله متحابين متعاونين، فاحرصوا على هذه الوحدة فإنها سلاحكم وعدتكم.

وإن كثيرًا من الناس ليتساءل: ومن أين يقوم الإخوان المسلمون بنفقات هذه الدعوة، وهى نفقات كثيرة تعجز الأغنياء فضلاً عن الفقراء؟

ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الإخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يومًا من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم، فضلاً عن كمالياتهم والفائض من نفقاتهم، وأنهم يوم أن حملوا هذا العبء عرفوا جيدًا أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال، فخرجوا عن ذلك كله لله وفقهوا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس، معتقدين أن الفضل كله لله، فاستغنوا بما فى أيديهم عما فى أيدى الناس، ومنحهم الله البركة فى القليل فأنتج الكثير. إلى

الآن أيها الإخوان لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أيًا كانت، وهو يباهى ويفاخر ويتحدى الناس جميعًا أن يقول أحدهم إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه، ولسنا نريد إلا هذا، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب، ولن نعتمد على الحكومات فى شىء، ولا تجعلوا ترتيبكم ولا منهاجكم ذلك ولا تنظروا إليه ولا تعملوا له، واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليمًا.

تلك أيها الإخوان بعض خصائص دعوتكم، انتهزت هذه الفرصة لأتحدث إليكم عنها، وأنتقل بعد ذلك إلى ناحية هامة من نواحى الدعوة قد يلتبس الأمر فى موقف الإخوان منها على كثير من الناس، وربما خفى على بعض الإخوان أنفسهم حتى نحدد معًا ونكشف معًا ما عسى أن يكون من إبهام.

* * *

من منهاج الإخوان المسلمين

○ الغاية والوسيلة :

أظنكم أيها الأخوة الفضلاء قد عرفتم من هذا الحديث الطويل غاية الإخوان ووسيلتهم ومهمتهم تمامًا.

إن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:١٣٨] وإن وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم فى التمسك بها والحرص عليها والنزول إلى حكمها؛ وإنهم ساروا إلى غايتهم فى حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها، وأظننى لست فى حاجة إلى مزيد شرح أو بيان فى هذه الناحية .

○ الإخوان والقوة والثورة :

ويتساءل كثير من الناس: هل فى عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة فى تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم ؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون فى إعداد ثورة عامة على النظام السياسى أو النظام الاجتماعى فى مصر؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتساءلين فى حيرة، بل إنى أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا فى وضوح وفى جلاء، فليسمع من يشاء .

أما القوة فشعار الإسلام فى كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادى فى وضوح وجلاء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. والنبى ﷺ يقول: «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف» ، بل إن القوة شعار الإسلام حتى فى الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة، واسمع ما كان يدعو به النبى ﷺ فى خاصة نفسه ويُعلّمه أصحابه ويناجى به ربه: «اللهم إنى أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبْن

والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال» ألا ترى فى هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف: ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدَّين والقهر؟ فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قويًا فى كل شىء شعاره القوة فى كل شىء؟ فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا فى قوة.

ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكرًا وأبعد نظرًا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعانى جميعًا، وإنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام - والقوة شعاره - باستخدام القوة فى كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدودًا واشترط شروطًا ووجه القوة توجيهًا محدودًا؟

ونظرة ثالثة - هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكىّ؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟

هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمون إليها أدق وأعمق، وبخاصة فى وطن كمصر جرَّب حظه فى الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون.

وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء

وسينذرون أولاً، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون فى كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.

وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر فى إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل، فسيؤدى ذلك حتمًا إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح. وليست هذه المشاكل التى تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضى الأيام إلا نذيرًا من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال.

○ الإخوان المسلمون والحكم:

ويتساءل فريق آخر من الناس: هل فى منهاج الإخوان المسلمين أن يكوّنوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضًا فى حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب.

فالإخوان المسلمون يسيرون فى جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الإسلام الحنيف كما فهموه، وكما أبانوا عن فهمهم هذا فى أول هذه الكلمة. وهذا الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: (إنَّ الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر. والمصلح الإسلامى إن رضى لنفسه أن يكون فقيهًا مرشدًا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرّعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى واد ونفخة فى رماد كما يقولون.

فقد يكون مفهومًا أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا

من أهل التنفيذ إصغاءً لأوامر الله وتنفيذًا لأحكامه، وإيصالاً لآياته وأحاديث نبيه ﷺ، أما والحال كما نرى: التشريع الإسلامى فى واد والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف. وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله.

وعلى هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وكلمة لابد أن نقولها فى هذا الموقف هى أن الإخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات التى عاصروها - لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية - من ينهض بهذا العبء، أو من يبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون.

وكلمة ثانية: إنه ليس أعمق فى الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا فى أى عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات، أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان.

○ الإخوان المسلمون والدستور المصرى:

ويتساءل كذلك فريق من الناس ما موقف الإخوان المسلمين من الدستور المصرى؟ ولاسيما بعد أن كتب الأخ صالح أفندى عشماوى رئيس تحرير مجلة النذير فى هذا الموضوع، وتناولت كتابته صحيفة (مصر الفتاة) بالنقد والموازنة.

وهذه فرصة طيبة أتحدث إلى حضراتكم فيها عن رأى الإخوان المسلمين، وموقفهم من الدستور المصرى. وأحب قبل هذا أن نفرق دائمًا بين [الدستور] وهو نظام الحكم العام الذى ينظم حدود السلطات وواجبات الحاكمين ومدى صلتهم بالمحكومين، وبين [القانون] وهو الذى ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض، ويحمى حقوقهم الأدبية والمادية ويحاسبهم على ما يأتون من أعمال. وأستطيع بعد هذا البيان أن أجلى لكم موقفنا من نظام الحكم الدستورى عامة، ومن الدستور المصرى خاصة :

الواقع أيها الإخوان، أن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستورى التى تتلخص فى المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من السلطات، هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده فى شكل الحكم .

ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة فى العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظامًا آخر.

بقى بعد ذلك أمران : أولهما النصوص التى تصاغ فى قالبها هذه المبادئ، ثانيهما طريقة التطبيق التى تفسر بها عمليًا هذه النصوص. إن المبدأ السليم القويم قد يوضع فى نص مبهم غامض فيدع مجالاً للعبث بسلامة المبدأ فى ذاته. وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوحيها الشهوات، فيذهب هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة .

وإذا تقرر هذا فإن من نصوص الدستور المصرى ما يراه الإخوان المسلمون مبهمًا غامضًا يدع مجالاً واسعًا للتأويل والتفسير الذى تمليه الغايات والأهواء، فهى فى حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان. هذه واحدة، والثانية هى أن طريقة التنفيذ التى يطبق بها الدستور، ويتوصل بها إلى جنى ثمرات الحكم الدستورى فى مصر، طريقة أثبتت التجارب فشلها وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع، فهى فى حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفى بالغاية . .

وحسبنا أن نشير هنا إلى قانون الانتخاب، وهو وسيلة اختيار النواب الذين يمثلون الأمة ويقومون بتنفيذ دستورها وحمايته، وما جره هذا القانون على الأمة من خصومات وحزازات، وما أنتجه من أضرار يشهد بها الواقع الملموس .

ولابد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الأخطاء والعمل على تعديلها. لهذا يعمل الإخوان المسلمون جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة فى الدستور المصرى، وتعدل الطريقة التى ينفذ بها هذا الدستور فى البلاد. وأظن أن موقف الإخوان قد وضح بهذا البيان، وردت الأمور إلى نصابها الصحيح.

إن الأخ صالح أفندى قد أراد أن يعبر فى مقاله الأول عن وجهة النقد التى يراها الإخوان فاحتد واشتد. ولما نبهناه إلى أن هذا ليس موقفنا فى الواقع، فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستورى باعتبارها متفقة بل مستمدة من نظام الإسلام، وإنما ننقد الإبهام وطرائق الإنفاذ، أراد أن يعبر عن ذلك ويقر الأمر فى وضعه الطبيعى بالنسبة للإخوان فتساهل ولان، وهو فى كلا الموقفين مأجور فالخير أراد ونية المرء خير من عمله. ونحن نشكر الذين أخذوا على الأخ صالح أفندى هذا الموقف، ولا يضره فيما أعتقد أن يستفيد من هذا التنبيه فيؤثر الاعتدال فى كل حال، وأعتقد أنه لا مجال لقول بعد هذا البيان. أما الأمثلة التفصيلية والأدلة الوافية ووصف طرائق العلاج والإصلاح ففى رسالة خاصة إن شاء الله.

الإخوان المسلمون والقانون

قدمت أن الدستور شىء والقانون شئ آخر، وقد أبنت موقف الإخوان من الدستور، وأبين لحضراتكم الآن، موقفهم من القانون.

إن الإسلام لم يجئ خلواً من القوانين بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مادية أم جنائية، تجارية أم دولية. والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعانى، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحى، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة وأقرها مؤتمر لاهاى الدولى أمام ممثلى الأمم من رجال القانون فى العالم كله.

فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون فى أمة إسلامية متناقضًا مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها، مصطدمًا كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله، وقد حذر الله نبيه ﷺ ذلك من قبل، فقال تبارك وتعالى ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

وذلك بعد قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] و﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ - و﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

فكيف يكون موقف المسلم الذى يؤمن بالله وكلماته إذا سمع هذه الآيات البينات وغيرها من الأحاديث والأحكام، ثم رأى نفسه محكومًا بقانون يصطدم معها؟ فإذا طالب بالتعديل قيل له إن الأجانب لا يرضون بهذا ولا يوافقون عليه، ثم يقال بعد هذا الحجر والتضييق إن المصريين مستقلون وهم لم يملكوا بعد أن يتمتعوا بحرية الدين، وهى أقدس الحريات .

على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه تصطدم بالدستور الوضعى نفسه الذى يقرر أن دين الدولة هو الإسلام، فكيف نوفق بين هذين يا أولى الألباب؟

وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا وحظر الربا ومنع الخمور وحارب الميسر، وجاء القانون يحمى الزانية والزانى ويلزم بالربا ويبيح الخمر وينظم القمار، فكيف يكون موقف المسلم بينهما ؟ أيطيع الله ورسوله ويعصى الحكومة وقانونها والله خير وأبقى؟ أم يعصى الله ورسوله ويطيع الحكومة فيشقى فى الآخرة والأولى؟ نريد الجواب على هذا من رفعة رئيس الحكومة ومعالى وزير العدل ومن علمائنا الفضلاء الأجلاء.

أما الإخوان المسلمون فهم لا يوافقون على هذا القانون أبدًا ولا يرضونه بحال، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريع الإسلامى العادل الفاضل فى نواحى القانون. ولسنا هنا فى مقام الرد على ما قيل فى هذه الناحية من شبهات أو ما يعترض سبيلها من توهم العقبات، ولكنا فى مقام بيان موقفنا الذى عملنا وسنعمل عليه، متخطين فى سبيله كل عقبة، موضحين كل شبهة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولقد تقدم الإخوان المسلمون إلى معالى وزير العدل بمذكرة ضافية فى هذا الموضوع، ولقد حذروا الحكومة فى نهايتها من إحراج الناس هذا الإحراج، فالعقيدة أثمن ما فى الوجود، وسوف يعاودون الكرة، وسوف لا يكون ذلك آخر مجهودهم ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

موقف الإخوان المسلمين من الوحدة القومية والعربية والإسلامية

كثيرًا ما تتوزع أفكار الناس فى هذه النواحى الثلاث: الوحدة القومية، والوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، وقد يضيفون إلى ذلك الوحدة الشرقية. ثم تنطلق الألسنة والأفكار بالموازنة بينها، وإمكان تحققها أو صعوبة ذلك الإمكان، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها، والتشيع لبعضها دون البعض الآخر.

فما موقف الإخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفكار والمناحى؟ ولاسيما وكثير من الناس يغمزون الإخوان المسلمين فى وطنيتهم، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الإسلامية مانعًا إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية.

والجواب على هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التى وضعناها أساسًا لفكرتنا، وهى السير على هدى الإسلام وضوء تعاليمه السامية.

فما موقف الإسلام نفسه من هذه النواحى؟

إن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمل كل إنسان لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته، وأن يقدم أكثر ما يستطيع من الخير للأمة التى يعيش فيها، وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحمًا وجوارًا حتى أنه لم يُجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر - إلا لضرورة - إيثارًا للأقربين بالمعروف. فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التى هو عليها وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعًا لمواطنيه، لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وكان الإخوان المسلمون بالتالى أشد الناس حرصًا على خير وطنهم، وتفانيًا فى خدمة قومهم، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقى، وكل فلاح ونجاح، وقد انتهت إليها رياسة الأمم الإسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم. وإن حب المدينة لم يمنع رسول الله ﷺ أن يحن إلى مكة وأن يقول لأصيل، وقد أخذ يصفها: «يا أصيلُ دَعِ القلوبَ تقِرْ» وأن يجعل بلالاً يهتف من قرارة نفسه:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بوادٍ وحولى إذْخِرٌ وجليل
وهل أرِدَنْ يومًا مياه مجنّةٍ وهل يبدُوَنْ لى شامة وطفيل؟

فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أى إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى فى سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار. هذا من وجهة القومية الخاصة.

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيًا ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين. وقد جاء فى الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسى وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه.

وأحب هنا أن ننبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبى ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: «ألا إن العربية اللسان ألا إن العربية اللسان».

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرًا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

بقى علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية. والحق أن الإسلام كما هو عقيدة وأنه قضى على الفوارق النَّسَبية بين الناس، فالله تبارك وتعالى يقول ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] والنبى ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم»، «والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم».

فالإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطنًا واحدًا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده. وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام. وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما

أروع ما قال فى هذا المعنى شاعر من شعراء الإخوان :

ولست أدرى سوى الإسلام لى وطنًا ... الشام فيه ووادى النيل سيان

وكلما ذكر اسم الله فى بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطانى

يقول بعض الناس: إن ذلك يناقض تيار الفكرة السائدة فى العالم فكرة التعصب للأجناس والألوان، والعالم الآن تجرفه موجة القوميات الجنسية، فكيف تقفون أمام هذا التيار وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس؟

وجواب ذلك أن الناس يخطئون وأن نتائج خطئهم فى ذلك ظاهرة ملموسة فى إقلاق راحة الأمم وتعذيب ضمائر الشعوب مما لا يحتاج إلى برهان. وليست مهمة الطبيب أن يجارى المرضى ولكن أن يعالجهم وأن يهديهم سواء السبيل، وتلك مهمة الإسلام ومن وصل دعوته بالإسلام.

ويقول آخرون: إن ذلك غير ممكن والعمل له عبث لا طائل تحته ومجهود لا فائدة منه، وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم.

والجواب على هذا أن هذه لغة الضعف والاستكانة. فقد كانت هذه الأمم متفرقة من قبل متخالفة فى كل شىء: فى الدين واللغة، والمشاعر والآمال والآلام، فوحدها الإسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء. وما زال الإسلام كما هو بحدوده وبرسومه، فإذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة إليه وتجديده فى نفوس المسلمين، فإنه يجمع هذه الأمم جميعًا من جديد كما جمعها من قديم، والإعادة أهون من الابتداء، والتجربة أصدق دليل على الإمكان.

يهتف بعض الناس بعد هذا بالوحدة الشرقية، وأظن أنه لم يثر هذه النعرة فى نفوس الهاتفين بها إلا تعصبُ الغربيين لغربهم وسوء عقيدتهم فى الشرق وأبنائه، وهم فى ذلك مخطئون، وإذا استمر الغربيون على عقيدتهم هذه فستجر عليهم الوبال والنكال، والإخوان المسلمون لا ينظرون إلى الوحدة الشرقية إلا من خلال هذه العاطفة فقط، والشرق والغرب عندهم سيان إذا استوى موقفهما من الإسلام، وهم لا يزنون الناس إلا بهذا الميزان.

وضح إذن أن الإخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود، ولا يرون بأسًا بأن يعمل كل إنسان لوطنه، وأن يقدمه فى الوطن على سواه. ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض، ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامى العام.

ولى أن أقول بعد هذا: إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأنا فى غنى بعد هذا البيان عن أن أقول إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، وبأن كلاً منها يشد أزر الأخرى ويحقق الغاية منها، فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحًا يميت الشعور بما عداها، فالإخوان المسلمون ليسوا معهم ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس.

○ الإخوان المسلمون والخلافة :

ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من الخلافة وما يتصل بها، وبيان ذلك أن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى ﷺ ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها.

والأحاديث التى وردت فى وجوب نصب الإمام، وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم منذ حوِّرت عن منهاجها ثم ألغيت بتاتًا إلى الآن:

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم، وهم مع ذلك يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابدَّ منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات:

- لابد من تعاون تام ثقافى واجتماعى واقتصادى بين الشعوب الإسلامية كلها، يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد وإنَّ المؤتمر البرلمانى الإسلامى لقضية فلسطين ودعوة وفود الممالك الإسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق العرب فى الأرض المباركة لظاهرتان طيبتان وخطوتان واسعتان فى هذا السبيل.

- ثم يلى ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على [الإمام] الذى هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل، ومهوى الأفئدة وظل الله فى الأرض.

موقف الإخوان من الهيئات المختلفة

○ الإخوان المسلمون والهيئات الإسلامية :

الآن وقد أفصحت عن رأى الإخوان وموقفهم فى كثير من المسائل العامة التى تشغل الأمة فى هذه الأوقات، أحب كذلك أن أفصح لحضراتكم عن موقف الإخوان المسلمين من الهيئات الإسلامية فى مصر. ذلك أن كثيراً من محبى الخير يتمنون أن تجتمع هذه الهيئات وتتوحد فى جمعية إسلامية ترمى عن قوس واحدة، ذلك أمل كبير وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح فى هذا البلد.

والإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الإسلام، وهم يتمنون لها جميعًا النجاح، ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاجهم التقرب منها والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة. وقد تقرر هذا فى المؤتمر الدورى الرابع للإخوان بالمنصورة وأسيوط فى العام الفائت، وأبشركم بأن مكتب الارشاد حين أخذ يعمل على تنفيذ هذا القرار، وجد روحًا طيبة من كل الهيئات التى اتصل بها وتحدث إليها، مما يبشر بنجاح السعى مع الزمن إن شاء الله.

○ الإخوان والشبان :

كثيراً ما يرد على أذهان الناس هذا السؤال: ما الفرق بين جماعة الإخوان وجماعة الشبان؟ ولماذا لا تكونان هيئة واحدة تعملان على منهاج واحد؟

وأحب قبل الجواب على هذا السؤال أن أؤكد للذين يسرهم وحدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان، وبخاصة هنا فى القاهرة، لا يشعرون بأنهم فى ميدان مناقشة ولكن فى ميدان تعاون قوى وثيق، وأن كثيراً من القضايا الإسلامية العامة يظهر فيها الإخوان والشبان شيئًا واحداً وجماعة واحدة، إذ إن الغاية العامة مشتركة وهى العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين. وإنما تقع فروق يسيرة فى أسلوب الدعوة وفى خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم فى كلتا الجماعتين، وإن الوقت الذى ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موحدة غير بعيد على ما أعتقد، والزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله.

○ الإخوان المسلمون والأحزاب :

والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعًا قد وجدت فى ظروف خاصة، ولدواع أكثرها شخصى لا مصلحى وشرح ذلك تعلمونه حضراتكم جميعًا.

ويعتقدون كذلك أن هذه الأحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها إلى الآن، فكل منها سيدعى أنه يعمل لمصلحة الأمة فى كل نواحى الإصلاح، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال، وما وسائل تحقيقها؟ وما الذى أعد من هذه الوسائل، وما العقبات التى ينتظر أن تقف فى سبيل التنفيذ، وما أعد لتذليلها ؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب، فهم قد اتفقوا فى هذا الفراغ، كما اتفقوا فى أمر آخر هو التهالك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية وكل وسيلة شريفة وغير شريفة فى سبيل الوصول إليه، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه .

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر.

ويعتقدون كذلك أن النظام النيابى، بل حتى البرلمانى، فى غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة فى مصر. وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية فى البلاد الديمقراطية، فالحجة القائلة بأن النظام البرلمانى لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك فى الإمكان.

كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقًا بين حرية الرأى والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة - وهو ما يوجبه الإسلام - وبين التعصب للرأى والخروج على الجماعة، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام فى الأمة وزعزعة سلطان الحكام، وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم، والإسلام فى كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون .

هذا مجمل نظرات الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب فى مصر. وهم لهذا قد طلبوا إلى رؤساء الأحزاب منذ عام تقريبًا أن يطرحوا هذه الخصومة جانبًا وينضم بعضهم إلى بعض، كما اقترحوا التوسط فى هذه القضية على صاحب السمو الأمير محمد على وصاحب السمو الأمير عمر طوسون. كما طلبوا من جلالة الملك حل

هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعًا فى هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام .

وإذا كانت الظروف لم تساعد فى الماضى على تحقيق هذه الفكرة، فإننا نعتقد أن هذا العام كان دليلاً على صدق نظرة الإخوان، وكان مقنعًا لمن كان فى شك بأنه لا خير فى بقاء هذه الأحزاب، وسيواصل الإخوان جهودهم فى هذا السبيل، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة، وبتوالى فشل رجال الأحزاب فى ميادينها وسيتحقق قطعًا ناموس الله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] .

يظن رجال بعض الأحزاب أننا إنما نقصد بهذه التعاليم هدم حزبهم خدمة لغيره من الأحزاب وجريًا وراء منفعة خاصة، وليس أدل على خطأ هذه النظرة من أن هذا الوهم قد سرى إلى نفوس الأحزاب جميعًا، فكثير من رجال الوفد يتهم الإخوان المسلمين بأنهم يعملون لمحاربته وبأنه هو وحده المقصود بهذه النعوت والأوصاف، وبأن الإخوان المسلمين إنما يحملون الناس على محاربته والانفضاض عنه، وبأنهم إنما يقصدون بذلك خدمة الحكومة وتقوية الأحزاب الممثلة فيها، فى الوقت الذى نسمع فيه هذه التهمة بعينها من أحزاب الحكومة أيضًا! فهل هناك دليل أصدق من هذا على أن الإخوان يقفون من الجميع موقفًا واحدًا، ويصدرون فيه عن عقيدتهم، ويعملون فيه بوحى من ضمائرهم وإيمانهم؟

أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها: إن اليوم الذى يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجئ بعد ولن يجيء أبدًا. وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أيًا كان خصومة خاصة به، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم.

وبهذه المناسبة أقول: إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكِّن لا علاج، وسرعان ما ينقضُ المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت قبل الائتلاف. والعلاج الحاسم

الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التى أوجدتها، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون .

○ الإخوان ومصر الفتاة :

بهذه المناسبة لابد لى أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من جماعة (مصر الفتاة). لقد تكونت جماعة الإخوان منذ عشر سنين وتكونت جماعة مصر الفتاة منذ خمس سنين، فجمعية الإخوان تكبر جمعية مصر الفتاة بضعف عمرها تمامًا، ومع هذا أيضًا شاع فى كثير من الأوساط أن جماعة الإخوان من شُعب مصر الفتاة وسبب ذلك أن (مصر الفتاة) اعتمدت على الدعاية والإعلان فى الوقت الذى آثر فيه الإخوان العمل والإنتاج، وما علينا من ذلك كله فسواء أكان الإخوان هم الذين رسموا لمصر الفتاة طريق الجهاد والعمل للإسلام أم أن (مصر الفتاة) هى التى أظهرت الإخوان وأبرزتهم للناس، وهم قد ولدوا قبلها وسبقوها إلى الجهاد والميدان بخمس سنوات أى بمثل عمرها، وذلك أمر نظرى لا يقيم له الإخوان وزنًا، ولكن الذى أريد أن أنبه إليه فى هذه الكلمة أن الإخوان المسلمين لم يكونوا يومًا من الأيام فى صفوف (مصر الفتاة) ولا عاملين لها، ولا أقصد بذلك أن أنال منها أو من القائمين بدعوتها ولكن أقول تقريراً للواقع؛ أقصد أن جريدة مصر الفتاة هاجمت الإخوان واتهمتهم تهمًا غير صحيحة وزعمت أنهم يعتدون عليها ويتهمونها وذلك غير صحيح أيضًا، ونحن معشر الإخوان لم نعلق على ما كتب أهمية، ولا نحب أن نؤاخذ بشىء منه، وأرجو أن يكون ذلك هو شعور الإخوان جميعًا.

وإن كثيراً من الناس يود أن لو اتحدت جماعة (مصر الفتاة) مع الإخوان المسلمين، وهذا شعور ما من شك فى أنه جميل نبيل فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير، ولكن من الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده. فى مصر الفتاة من لا يرى الإخوان إلا جماعة وعظية وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم، وفى الإخوان من يعتقد أن جماعة (مصر الفتاة) لم ينضج فى نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الإسلامى الصحيح نضجًا يؤهلهم للمناداة بالدعوة الإسلامية خالصة سليمة، فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه وهو خير كفيل بالصقل والتمييز.

وليس معنى هذا أن الإخوان سيحاربون (مصر الفتاة) بل إنه ليسرنا أن يوفق كل

عامل للخير وإلى الخير، ولا يحب الإخوان أن يخلطوا البناء بهدم، وفي ميدان الجهاد متسع للجميع.

ذلك موقفنا من (مصر الفتاة) ما دامت قد أعلنت أنها ليست حزبًا سياسيًا، وأنها تعمل وستظل تعمل للفكرة الإسلامية ولمبادئ الإسلام، وفي ذلك الواقع انتصار جديد لمبادئ الإخوان المسلمين.

بقي أمر أخير، ذلك هو موقف الإخوان من (مصر الفتاة) في قضية تحطيم الحانات، ومعلوم أنه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة، وقد ألقى الإخوان تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه، لأنها هي التي أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفساني، والاتجاه الجديد القوي الذي طرأ عليه من تقديس الإسلام والاعتزاز بتعاليمه. وقديمًا قيل (قبل أن تأمر الباكي بالكفّ عن البكاء تأمر الضارب أن يرفع العصا). ونحن نعتقد أن هذا التحدي لم يحن وقته بعد، ولابد من تخير الظرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه، وإنفاذه بصورة أخف ضررًا وأبلغ في الدلالة على المقصد، كلفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامي. وبالرغم من أن المقبوض عليهم لم يعترفوا، فقد وجه الإخوان خطابًا إلى معالي وزير العدل، يلفتون نظر معاليه فيه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها، وأن يسرع بإصدار تشريع يحمي البلاد من هذه المهالك الخلقية.

موقف الإخوان من الدول الأوربية:

بعد هذا البيان عن موقف الإخوان المسلمين، الذي يمليه عليهم الإسلام، في أهم القضايا الداخلية يحسن أن أتحدث إلى حضراتكم عن موقفهم من الدول الأوربية:

الإسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة ويشارك بعضها بعضًا في الآلام والآمال. وأن أي عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعًا.

أضحكني وأبكاني حكم فقهي رأيته عرضًا في كتاب (الشرح الصغير على أقرب المسالك) قال مؤلفه: مسألة امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين. ورأيت مثله قبل ذلك في كتاب (البحر في مذهب الأحناف) رأيت هذا فضحكت وبكيت، وقلت لنفسي:

أين عيون هؤلاء الكاتبين لتنظر المسلمين جميعًا فى أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان؟!

أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الإسلامى واحد لا يتجزأ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله هذه واحدة، والثانية أن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة فى ديارهم، سادة فى أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل إن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول فى دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التى اهتدوا بها من قبل.

ومن هنا يعتقد الإخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدى على أوطان الإسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عدوانها، ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين على التخلص من نيرها .

إن انجلترا لا تزال تضايق مصر رغم محالفتها إياها، ولا فائدة فى أن نقول إن المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغى تعديلها أو يجب إنفاذها، فهذا كلام لا طائل تحته .

والمعاهدة غل فى عنق مصر وقيد فى يدها ما فى ذلك شك، وهل تستطيع أن تتخلص من هذا القيد إلا بالعمل وحسن الاستعداد ؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان، فلتعمل على ذلك ولتكتسب الوقت إذا أرادت الحرية والاستقلال .

وإن انجلترا لا تزال تسىء إلى فلسطين وتحاول أن تنقص من حقوق أهلها، وفلسطين وطن لكل مسلم باعتبارها أرض الإسلام وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله. ففلسطين دَيْن على انجلترا للمسلمين لا تهدأ ثائرتهم حتى توفيهم فيه حقهم؛ وانجلترا تعلم ذلك العلم، ذلك ما حداها إلى دعوة ممثلى البلاد الإسلامية إلى مؤتمر لندن. وإنا ننتهز هذه الفرص فَنُذَكِّرُها بأن حقوق العرب لا يمكن أن تنقص؛ وبأن هذه الأعمال القاسية التى يدأب ممثلوها على ارتكابها فى فلسطين ليست مما يساعد على حسن ظن المسلمين بها، وخير لها أن تكف هذه الحملات العدوانية عن الأبرياء الأحرار. وإنا لنبعث لسماحة المفتى الأكبر من فوق هذا المنبر أخلص تحيات الإخوان المسلمين وأطيب تمنياتهم، ولن يضر سماحته ولن يضير آل الحسينى أن تفتش دورهم ويسجن أحرارهم، فذلك مما يزيدهم شرفًا إلى شرفهم وفخاراً إلى فخارهم، ونذكر الوفود الإسلامية بمكر انجلترا وخداعها وبوجوب القيام على حقوق العرب كاملة غير منقوصة.

وبهذه المناسبة أذكر الإخوان بأنه قد تألفت لجنة عامة بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الإسلامية جميعًا، للتعاون على إصدار قرش موحد يوزع من أول السنة الهجرية إغاثة لفلسطين المجاهدة، وسيحل هذا الطابع محل كل الطوابع المختلفة لكل الهيئات. فالوصيَّة للإخوان أن يبذلوا جهدهم فى تشجيع هذه اللجنة بتوزيع طوابعها حين صدورها، وبتصفية ما قد يكون موجوداً لديهم من حساب الطوابع القديمة وإعادتها إلى المكتب لإعدامها.

ولنا حساب بعد ذلك مع انجلترا فى الأقاليم الإسلامية التى تحتلها بغير حق، والتى يفرض الإسلام على أهلها وعلينا معهم أن تعمل لإنقاذها وخلاصها.

أما فرنسا التى ادعت صداقة الإسلام حينًا من الدهر فلها مع المسلمين حساب طويل، ولا ننسى لها هذا الموقف المخجل مع سورية الشقيقة، ولا ننسى لها موقفها فى قضية المغرب الأقصى والظهير البربرى، ولا ننسى أن كثيراً من إخواننا الأعزاء، شباب المغرب الأقصى الوطنى الحر المجاهد، فى أعماق السجون وأطراف المنافى، وسيأتى اليوم الذى يصفى فيه هذا الحساب وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وليس حسابنا مع إيطاليا بأقل من حسابنا مع فرنسا، فطرابلس، طرابلس العربية المسلمة الجارة القريبة العزيزة، يعمل الدوتشى ورجاله فى إفنائها وإبادة أهلها واستئصالها ومحو كل أثر للعروبة والإسلام منها؛ وكيف يكون فيها أثر للعروبة والإسلام وقد اعتبرت جزءاً من إيطاليا؟ ولا يجد الدوتشى بعد ذلك مانعًا يمنعه من أن يدعى أنه حامى الإسلام وأن يطلب بهذا العنوان صداقة المسلمين!!

أيها الإخوان المسلمون:

هذا الكلام يدمى القلوب ويفتت الأكباد! وحسبى هذه الفواجع فى هذا البيان، فتلك سلسلة لا آخر لها، وأنتم تعرفون هذا. ولكن عليكم أن تبينوه للناس، وأن تُعَلِّمُوهم أن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال.

فالموت خير من هذه الحياة، حياة العبودية والرق والاستذلال! وأنتم إن فعلتم ذلك وصدقتم الله العزيمة فلابد من النصر إن شاء الله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

خاتمة

أيها الإخوان المسلمون :

تقدمت إليكم فى هذا البيان بخلاصة وافية موجزة عن فكرتكم فى مظهرها الخاص، واليوم كنت أحب أن أستعرض معكم بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية القائمة فى المجتمع المصرى - وإن شىءتم فقولوا الإسلامى فإن الداء يكون واحدًا فى الجميع - لولا ضيق الوقت، ولولا أن ينحصر فى واحدة هى : ضعف الأخلاق وفقدان المثل العليا، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والجبن عن مواجهة الحقائق، والهروب من تبعات العلاج، والفرقة قاتلها الله، هذا هو الداء، والدواء كلمة واحدة أيضًا هى ضد هذه الأخلاق، هى علاج النفوس أيها الإخوان وتقويم أخلاق الشعب : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

أيها الإخوان المسلمون:

لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الإيمان بالله، والزهادة فى متعة الحياة الفانية وإيثار دار الخلود، والتضحية بالدم والروح والمال فى سبيل مناصرة الحق، وحب الموت فى سبيل الله والسير فى ذلك كله على هدى القرآن الكريم .

فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم وأصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

أيها الإخوان المسلمون :

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. ولازال فى الوقت متسع، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة فى نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد. والضعيف لا يظل ضعيفًا طول حياته، والقوى لا تدوم قوته أبد الأبدين: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥]

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة، وإن العالم ينظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام. وإن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وترجون من الله ما لا يرجون، فاستعدوا واعملوا اليوم، فقد تعجزون عن العمل غداً.

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان، وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وإلى الأمام دائماً.

والله أكبر ولله الحمد

حسن البنا



مشكلاتنا
فى ضوء النظام الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

- إلى رئيس الحكومة، باعتباره المسئول الأول ..

- وإلى أعضاء الهيئات النيابية - على اختلافها - باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام ..

- وإلى رؤساء الهيئات الشعبية والسياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهي الجماهير

- وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بني الإنسان ..

أوجه هذه الكلمات ، أداءً للأمانة ، وقيامًا بحق الدعوة ..

ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد ...

نظرات ثلاث

فأما (النظرة الأولى): فإلى ما وصلت إليه الحال فى وطننا العزيز، وادى النيل، من فساد تغلغل فى كل المرافق، وشمل كل مظاهر الحياة:

... مطالبنا الوطنية لم نصل فيها إلى شيء ...

وروح الشعب المعنوية محطمة أشد تحطيم بسبب هذا الركود. والشقاق والخلاف يملك نفوس القادة والزعماء، حاكمين ومحكومين على السواء...

والجهاز الإدارى أفسدته المطامع الشخصية، والغايات الحزبية، وسوء التصرفات وضعف الأخلاق، والمركزية القاتلة والإجراءات المعقدة، والهرب من تحمل التبعات.

والقانون قد ضعف سلطانه على النفوس والأوضاع لكثرة ما اقتحم عليه من تحايل واستثناءات.

... وشدة الغلاء، وكثرة المتعطلين لقلة الأعمال، وانخفاض مستوى المعيشة - إلى حد لا يكاد يتصوره إنسان - بين الأغلبية العظمى من السكان، مع نضوب معين الرحمة من القلوب واستيلاء القسوة وروح الجبروت والظلم على النفوس، كل ذلك أخذ يتحول إلى حال من السخط تتمثل فى كثرة الإضرابات، وتتجلى فى كثير من المظاهر والعبارات...

والأخلاق قد انتهى أمرها - أو كاد - وعصف بها الجهل والفقر والحاجة والفاقة، وانتشرت الرذائل ومظاهر الانحلال الخلقى فى كل مكان...

والأفكار مبلبلة، والنفوس قلقة لا تكاد تستقر فى شيء على حال.

وكل هذه المعانى تزداد بمرور الأيام، وتتضاعف ساعة بعد ساعة، وتنذر ببلاء محيط وشر مستطير، إن لم يتداركها العقلاء قبل فوات الأوان...

* * *

وأما (النظرة الثانية): فإلى ما وصلت إليه الحال فى أوطاننا الغالية العزيزة من بلاد العروبة وأمم الإسلام:

فلسطين: مهددة بهذا الاجتياح الذى انتهت إليه هذه المؤامرة الدولية من الأميركان والروس والإنجليز على السواء، بفعل الصهيونية العالمية التى سخرت الحكومات والشعوب الغربية بالمال، مع استعدادتها السابق، بكل تعصب ذميم على العرب والمسلمين أينما كانوا...

والباكستان الناشئة: تقاسى الأمرين من هذا العدوان الوثنى المسلح، المؤيد بدسائس الاستعمار وأسلحة الاستعمار على اختلاف دوله، حتى روسيا - التى تتظاهر باحترام إرادات الأمم والشعوب - تتآمر هى الأخرى على الدولة الناشيءة إن صح ما وافتنا به اليوم البرقيات والأخبار...

واندونيسيا: التى تبلغ سبعين مليونًا أكثرهم من المسلمين، تضغط عليها هولندا التى لم تكسر قيد الاحتلال الألمانى إلا بيد غيرها من جنود الحلفاء، وتريد أن تحول بين الشعب المسلم الباسل وبين ما هو حق طبيعى له من حرية واستقلال...

وطرابلس الغرب وبرقة: تجهز لها حبائل الاستفتاء ولا يدرى عواقب هذه اللعنة السياسية إلا الله، وإن غدًا لناظره قريب...

وشمال أفريقيا بأقسامه: تونس، والجزائر، ومراكش، يستغيث ولا مغيث، ويجاهد ما استطاع ليكسر القيود والأغلال التى ضربتها من حوله فرنسا، وحرمته بها حقه فى العيش الحر الكريم، ومن الاستقلال التام...

وقل مثل ذلك فى كل شعب عربى إسلامى، فإنك لن تجد واحدًا منها قد سلم من مناورات الغصب، ودسائس الاستعمار... هذا فى أوضاعه السياسية، وكلها من حيث الأوضاع الاجتماعية ليست أحسن حالاً مما تقدم ذكره فى وادى النيل... وكلنا فى الهمّ شرق.

* * *

وأما (النظرة الثالثة): فإلى ما انحدر إليه التفكير بين زعماء العالم وساسة الشعوب، والذين أتاحت لهم المقادير أن يكونوا قادة الدنيا فى هذه الأيام بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد اختفت المثل العليا تمام الاختفاء، وغابت عن الأنظار والقلوب تلك الأهداف الجميلة التى نادى بها هؤلاء الناس ساعة العسرة، وجندوا باسمها قوى الأمم ضد

الظلم والطغيان... فالعدالة الاجتماعية، والحريات الأربع، ومبادئ ميثاق الأمم.. الخ. هذه القائمة الطويلة العريضة من المبادئ السامية والأهداف المغرية، أصبحت فى خبر كان، ولم تعد لهؤلاء الساسة والزعماء (فلسفة راقية) يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية، والمطامع الاستعمارية، ومناطق النفوذ، والاستيلاء على المواد الخام ! وكل ذلك على صورة من الجشع والنهم لم تر الدنيا لها مثيلاً ولا بعد الحرب العالمية الأولى. وأصبحت هذه المعانى وحدها هى محور التنافس بين الدول المنتصرة، روسيا من جانب، وأمريكا وانجلترا من جانب آخر. وإن حاولت كل منها أن تستر جشعها ومناورتها بستار من دعوى المبادئ الاجتماعية الصالحة، والنظم الإنسانية الفاضلة، باسم الشيوعية أو الديمقراطية. وليس من وراء هاتين اللفظتين إلا المطامع الاستعمارية والمصالح المادية فى كل مكان.

ونتيجة هذا الانحراف - الذى هو فى حقيقة أمره مسخ لإنسانية بنى الإنسان - ليست إلا (الحرب الثالثة) المسلحة بالقنابل الذرية، والغازات الخانقة، والأسلحة المهلكة، وما سمعنا وما لم نسمع عنه بعد من معدات الهلاك والدمار التى تمثل ما جاءت به الكتب السماوية من وصف القارعة وهول القيامة ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٤، ٥].

هذه هى صورة الحال فى وطننا الخاص، وفى وطننا العربى والإسلامى، وفى وطننا الإنسانى العام، وإذا لم تقم فى الدنيا أمة (الدعوة الجديدة) تحمل رسالة الحق والسلام فعلى الدنيا العفاء، وعلى الإنسانية السلام..

وإن من واجبنا وفى يدنا شعلة النور وقارورة الدواء، أن نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا، فإن نجحنا فذاك، وإلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة، وأدينا الأمانة، وأردنا الخير للناس. ولا يصح أبدًا أن نحتقر أنفسنا، فحسب الذين يحملون الرسالات ويقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مؤمنين، ولها مخلصين، وفى سبيلها مجاهدين، وأن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها.. فهل من مجيب؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

أى لون نختار؟

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨]

تسود مجتمعنا اليوم حيرة .. وإذا دامت هذه الحيرة فليس وراءها إلا الثورة، والثورة الهوجاء التى لا غاية لها، ولا ضابط ولا نظام ولا حدود، ولا تعقيب إلا الهلاك والدمار والخسارة البالغة، وبخاصة فى هذا العصر الذى لا يرحم، والذى تتجارى بأهله الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، وفى وطن كمصر تتطلع إليه الأنظار وتتقاذفه المطامع فى الداخل والخارج .

هذا الكلام متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر هذا الوطن، وإنك لتسمعه من الزعماء والمفكرين، كما تسمعه من العامة فى مجالسهم والمجتمعين فى أنديتهم، وذوى الأعمال فى أماكن عملهم، ومن سائق العربة إذا ركبت معه، ومن بائع الخضر إذا تحدثت إليه .. وإذا أنكرنا ذلك، أو تغافلنا عن أثره، أو استصغرنا نتائجه كنا كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد .

* * *

ومن هذه الثغرة، وتطبيقًا لهذا القانون الاجتماعى الذى لا يتخلف، تأمل المبادئ الجديدة والدعوات الجديدة أن تنفذ إلى مصر، وتكافح فى سبيل استيلائها على النفوس المصرية والقلوب المصرية أشد الكفاح، وتسلك إلى ذلك كل سبيل مستطاعة وغير مستطاعة، ومن هنا سمعنا كثيراً من هذه الأصوات يتردد فى الصحف السيارة وفى المجالس والمنتديات، فالشيوعية جادة فى فرض تعاليمها على أبناء هذا المجتمع، والديمقراطية الاستعمارية الهزيلة تحاول من جانبها أن تقاوم هذا التيار، ويتوسطهم قوم داعون للاشتراكية، ويقف بين هؤلاء جميعًا وبين أمتنا الإسلام العتيد المستقر فى هذه القلوب أربعة عشر قرنًا، المستولى عليها، المؤثر فيها بجماله وجلاله وسموه وروعته، يأبى على الجميع أن ينزل عن مرتبته أو يتخلى عن هذه القلوب التى آمنت به وجاهدت أكرم الجهاد فى سبيل إعلائه وبقائه ورفعته، وردت عنه بهذا الجهاد

غارات الصليبيين، وهجمات التتار، ومكايد الصهيونية ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ولكن إلى متى هذا التطاحن بين هذه الآراء والأوضاع، وهو إن كان اليوم صغيراً فهو لن يظل كذلك ؟!

وإلى متى ينظر أهل الرأى فى مصر إلى هذا الصراع فى غفلة وبَلَه وانصراف كأن الأمر لا يعنيهم، وكأنه يتناول بلداً غير بلدهم وأشخاصًا غير أشخاصهم؟!. لا مناص لنا من أن نختار.

وإذا لم نختر اليوم ونحن راضون، فستقبل غداً - بل الغد القريب جداً - ونحن مرغمون، وإنى لأرى الوميض خلال الرماد يوشك أن يكون له ضرام.

* * *

لابد من أن نختار لون الحياة الجديدة التى نحياها. ولم تعد أوضاع الحياة الاجتماعية بكل نواحيها فى مصر صالحة أمام التطور الجديد فى الأخلاق والأفكار وحاجات الناس، والعاقل من تدبر الأمر قبل وقوعه وأعد له عدته.

وأمامنا الشيوعية والاشتراكية، وهما معتبرتان فى منطق التحالف الدولى اليوم من معانى الديمقراطية، ولا يستطيع الديمقراطيون أن يقدموا غير هذا. وأمامنا كذلك (نظام الإسلام) وتوجيه الإسلام، وتعاليم الإسلام، وأحكام الإسلام.

ونحن فى الحقيقة لسنا مخيرين ولسنا أحراراً فى الاختيار، فإننا جميعًا آمنا بهذا الإسلام الحنيف ديناً ودولة، واعتبرنا مصر دولة إسلامية، بل هى زعيمة دول الإسلام. وقال دستورنا صراحة فى مادته التاسعة والأربعين بعد المائة: (دين الدولة الرسمى الإسلام ولغتها اللغة العربية).

وهذا الشعب - شعب وادى النيل كله فى الشمال وفى الجنوب - يدين بهذا الدين الحنيف، والأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة فى كل تعاليمه وأحكامه، هذا الذى يقول كتابه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. والكلام فى هذا المعنى مفروغ منه؛

وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعًا - مسلمين وغير مسلمين - يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف، فإن من الجميل حقًا أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعانى فى كل المناسبات، ويعتبرون الإسلام معنى من معانى قوميتهم، وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم .

وإذن فلا مناص للحكومة المصرية، والهيئات المصرية، والأحزاب المصرية، من أن تفى بعهدها الشرعى لله ولرسوله، يوم نطقت بالشهادتين، فالتزمت الإسلام، وبعهدها المدنى الوطنى لهذا الشعب يوم أصدرت الدستور، ونصت فيه على أن الدين الرسمى هو الإسلام . وبغير ذلك تكون قد غدرت بعهدها وخانت أمانة الله والناس عندها، وعليها أن تصارح الشعب ليحدد موقفه منها وموقفها منه، ولا محل اليوم للمداورة والخداع .

وهذا الوفاء سيحمى الوطن مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة، ويعيد الطمأنينة والسكينة إلى النفوس والقلوب، لكنه يستلزم حالاً تغيير الاتجاهات والأوضاع كلها والمجاهرة بأن وادى النيل هو حامل رسالة الإسلام ومنفذها ومبلغها فى غير مواربة ولا وهن، ولا يغنى عن العمل الكلام .

فهل تصيخ الآذان المغلقة إلى هذا النذير، فتعود إلى حجر الإسلام قولاً وعملاً وتطبيقًا؟؟ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] .

يا دولة رئيس الحكومة .

ويا رجال الأزهر الشريف .

ويا رؤساء الهيئات والجماعات والأحزاب .

ويا أيها الغيُر على مصلحة هذا الوطن العزيز

ويا أبناء هذا الوطن جميعًا ..

إليكم أوجه النداء، فإلى تعاليم الإسلام ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

ألا قد بلغت . . . . اللهم فاشهد

اعتراضات

﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ [المائدة: ٥٢].

دعوت قومى إلى أن يختاروا، أو بعبارة أصح وأوضح، إلى أن يبروا بعهدهم مع الله ومع أنفسهم، فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية فى كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التى شملت كل شيء، والتى وقفت بنا عن كل تقدم، والتى حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوى إلى علاج آية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة فى الداخل والخارج. وقلت إنه لاسبيل إلى النجاة إلا هذا الاتجاه عقيدة وعملاً بكل ما نستطيع من حزم وسرعة.

وقد يقال: كيف ذلك والحياة العصرية فى العالم كله لا تقوم على أساس الدين فى أية ناحية من نواحيها، وقد اصطلحت أمم العالم، التى بيدها اليوم مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب، على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية، وإقصاء الدين عن كل مرافق الحياة وحصره بين الضمير والمعبد، وهى وحدها نافذة المؤمن التى يتصل منها بالله .

والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا «الإسلام»، ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه، ولم يفقهوه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم. . من أنه دين ومجتمع، ومسجد ودولة، ودنيا وآخرة، وأنه تعرض لشيءون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية؛ وإن كان قد أقام الشطرين معًا على دعامة من سلامة القلب، وحياة الوجدان، ومراقبة الله، وطهر النفس. فالدين على هذا جزء من نظام الإسلام، والإسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تمامًا. ونحن كمسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الإسلامية: ﴿ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن هنا فرق الفقهاء فى النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد وأحكام المعاملات وشىءون الحياة الاجتماعية، فأفسح للنظر والاجتهاد فى الثانية ما ليس فى الأولى، حتى لا يكون على الناس فى ذلك حرج ولا مشقة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور.

وقد يقال: إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظمًا جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر جيلاً، فى أرض غير أرضنا، وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟! وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء؟

ونقول لهؤلاء كذلك إنكم أيضًا لم تفهموا طبيعة الإسلام الحنيف، الذى جاء للناس فكرة سامية تحدد الأهداف العليا، وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط فى الجزئيات، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعًا ولا تصطدم بشىء منها .

وهذا تاريخ التشريع الإسلامى يحدثنا أن ابن عمر رضى الله عنه كان يفتى فى الموسم فى القضية من القضايا برأى، ثم تعرض عليه فى الموسم التالى من العام القابل فيفتى برأى آخر. فيقال له فى ذلك، فيقول : ذاك على ما علمنا، وهذا على ما نعلم أو كلام هذا نحوه.

كما يحدثنا أن الشافعى رضى الله عنه وضع بالعراق مذهبه القديم، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة، وتمشيًا مع مظاهر الحياة الجديدة، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الإسلامية الكلية الأولى... وأصبحنا نسمع: (قال الشافعى فى القديم، وقال الشافعى فى الجديد). ونرى تغير رأى الرجل الواحد فى القضية الواحدة بحسب الزمان تارة - كما فعل ابن عمر - وبحسب المكان تارة أخرى - كما فعل الشافعى - أو بحسبهما معًا كما سمعنا أنَّ عمر رضى الله عنه أمر بعدم القطع فى السرقة عام المجاعة، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه فأحضرهم فأقروا وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس... إلخ. فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً: (إذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت) واعتبرها شبهة تدرأ الحد، ولاحظ الظروف والملابسات..

فهل يقال بعد هذا إن فى الرجوع إلى النظام الإسلامى رجعية وجموداً، وليست فى الدنيا شريعة تقبل التطور، وتساير مقتضيات التقدم، وتتمتع بمعانى المرونة والسلاسة والسعة كشريعة الإسلام الحنيف: ﴿ما يُريدُ اللَّهُ ليَجعلَ عليكُم مِنْ حرجٍ ولكن يُريدُ ليُطهِّرَكُم ولِيُتِمَّ نعمتَهُ عليكُم لعلَّكُم تَشكُرُون﴾ [المائدة: ٦].

وقد يقال إن الجهر بالعودة إلى نظام الإسلام مما يخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا، ولا طاقة لنا بها، ولا قدرة لنا عليها. وهذا منتهى الوهن، وغاية الفساد فى التقدير وقصر النظر. وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها فى نظمها، وأخذنا بألوان حياتها واتبعناها فى تقاليدها، فهل أغنى ذلك عنا شيئاً؟! وهل دفع عنا من كيدها؟ وهل منعها من أن تحتل أرضنا، وتسلب استقلالنا، وتستأثر بخيرات بلادنا، ثم تتجمع فى كل مؤتمر أو مجتمع دولى ضد حقوقنا، وتثير المشكلات والصعاب والعقبات فى وجوهنا، ولا تتأثر إلا بشىء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط. ولا يعنيها بعد ذلك إلا أنها نصرانية، فقد رأيناها فى الحرب الماضية يحطم بعضها بعضاً، وكلها مسيحية، وتتملق مع هذا دول الإسلام وأممه وشعوبه وتتزلف إليه بمعسول وحلو الحديث. وها هم أولاء جميعاً يناصرون الصهيونية اليهودية وهى أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة. وقد أصبح هذا المعنى معلوماً فى تصرفات كل الساسة الغربيين.

إذن فلن يجدينا شيئاً عندهم أن نتنصل من الإسلام، ولن يزيدهم فينا بغضاً أن نعلن التمسك به والاهتداء بهديه، وبخاصة وهم الآن معسكران مختلفان متنافسان على المصالح المادية وحدها.

ولكن خطر التنصل من الإسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه، فسنظل حائرين فتتحطم معنوياتنا، متفرقين فتضعف قوتنا. ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة: أننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شىء من هذا الذى يزعمون، ولكننا بحمد الله مسلمون، لارتسمت أمامنا تواً طريق الهداية والنور، ولجمعتنا كلمة الإسلام، ووحدت بيننا وبين إخواننا جميعاً فى أقطار الأرض. . . وفى ذلك وحده - ولا شىء

غيره - القوة والمنقذ أمام هذا العدوان الغربى الاستعمارى الجارف الذى يهددنا فى كل مكان.

وخلاصة هذا الكلام فى إيجاز : إننا إذا لاحظنا غضب الغربيين ورضاهم فى تمسكنا بالإسلام أو بعدنا عنه، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالإسلام فلن نكسب رضاهم وسنخسر أنفسنا، فى حين أننا إذا تمسكنا به وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا أنفسنا ولاشك، وكان هناك احتمال قوى أن نكسبهم أيضًا بتأثير قوة الوحدة، فأى الرأيين أولى بالاتباع يا أولى الألباب ؟!

أما اعتراض الأقليات غير المسلمة فقد أشرنا إليه من قبل ولا نريد أن نطيل فيه القول اليوم، فالأمر أوضح من أن يكون موضع مراء.

إنه ليس أمام الأمم الإسلامية اليوم إلا هذه الفرصة، وإن الدول الغربية تدرك هذا تمامًا، فهى تشغلنا بأنفسنا، وتزيدنا حيرة على حيرة، وليس فى الوقت متسع للتردد، وإن تبعة من لا يعلم فى عنق من يعلم، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم.

- فيا رئيس الحكومة . . . ويا رجال الأزهر الشريف . .

- ويا أعضاء الجماعات والأحزاب ويا ذوى الغيرة على هذا الوطن.

- ويا أبناءه جميعًا . . إليكم أوجه القول:

عودوا إلى الإسلام تغنموا وتسلموا:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١].

ألا قد بلغت .... اللهم فاشهد

***

قضيتنا الوطنية ... وكيف تحل في ضوء التوجيه الإسلامي

حقوقنا الوطنية معروفة، أعلنتها الأمة بكل وضوح وجلاء على لسان أحزابها وهيئاتها وجماعاتها وأفرادها فى كل المناسبات، وهى: تحقيق وحدة وادى النيل جنوبه وشماله، وجلاء القوات الأجنبية عنه جميعًا، لتتم بذلك حقيقة حريته واستقلاله.

والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها، ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها، ويقول نبيه ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منى» . وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التى يسمونها الاستعمار بكل ما فيه من قوة، ولا ترضى تعاليمه أبدًا بأن تسود أمة أو يرهق شعب شعبًا آخر، ولا تزال كلمة عمر الفاروق رضى الله عنه ترن فى الآذان حين قال لعامله عمرو بن العاص: (متى تَعبَّدْتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا).

ويوم حمل الفاتح المسلم سيفه على عاتقه، وانطلق غازيًا فى أرض الله، لم يكن يرجو من وراء ذلك مغانم دنيوية، ولم يكن يتطلع إلى خيرات الأمم والشعوب ليستأثر بها دونها وإن امتلأت يداه منها بغير قصد منه... ولكن كان يؤمن بدعوة ويحمل رسالة، ويحمى فى العالم مبادئ الحق والعدل والسلام. وتاريخ الصدر الأول من أئمة المسلمين الراشدين المهديين - وهم الحجة للإسلام - يعطيك هذه الصورة بينة المعالم، واضحة الحدود.

والإسلام مع هذا يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله فى أرضه، ولها فى العالم مرتبة الأستاذية - ولا نقول مرتبة السيادة - بحكم هذه الأمانة، فلا يسمح لها أن تذل لأحد، أو تستعبد لأحد، أو تلين قناتها لغامز أو تخضع لغاصب معتدٍ أثيم: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] .

ويوم قرر الإسلام هذا، قرر الطريق العملى لحماية هذه الحرية. فافترض الجهاد بالنفس والمال، وجعله فرض كفاية لتأمين الدعوة، وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن إذا واجهته قوات الغزاة من غير المسلمين، وجعل الشهادة

أعلى مراتب الإيمان، ووعد المجاهدين النصر والتأييد فى الدنيا، والخلود والبقاء والنعيم المقيم فى الآخرة، وأعلن أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]. ومع هذا فقد رحب الإسلام بالوسائل السلمية وإنهاء الخصومة متى أدت هذه الوسائل إلى الاعتراف بالحق الكامل لأصحابه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. وما خيّر النبى ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن محرمًا. ومن السلم المفاوضة إذا أوصلت إلى الحق الكامل، وقد فاوض رسول الله ﷺ فى الحديبية.. ومن السلم التحاكم إذا أدى إلى هذا الحق أيضًا، وإن كنا لا نعلم أن رسول الله ﷺ - أو أحدًا من الخلفاء الراشدين المهديين - رضى بتحكيم كافر، ولكنه مقتضى عموم الآية، ولازم الاتفاق على الخير، الذى لا يمنعه الإسلام بين المسلمين وغيرهم متى كان فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر عليهم.

فإذا فشلت هذه الجهود السلمية فإن رأى الإسلام صريح فى «النبذ» الذى يتضمن إعلان الخصومة، ثم الأخذ توًا بكل وسيلة من وسائل الجهاد: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٨-٦٠] وقد وعد الله المجاهدين للحق أن يدافع عنهم، وينصرهم لا محالة على أعدائهم مهما يكن عدوهم كامل الأهبة، عظيم العدد، موفور العدة، قوى الوسائل وعليهم ألا يعبأوا بذلك، وأن يعتمدوا على الله وحده: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

هذه الأحكام جميعًا مقررة فى الإسلام، يعرفها بتفصيل أوسع واستدلال أقوى وأدق وأحكم كل من نهل من معينه، وأخذ بحظ من الفقه فيه.

وعلى ضوئها نستطيع أن نحل قضيتنا الوطنية التى وصلت إلى حد من الارتباك، تبلبلت معه الخواطر، واضطربت الأذهان، وإليك بيان ذلك:

لقد فاوضنا فلم نصل إلى شيء لتعنُّت الإنجليز وتصلبهم ومناورتهم...

واحتكمنا فلم نصل إلى شيء كذلك، أمام تغليب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية، ولقد قال كاتب فاضل: إننا وصلنا إلى كسب أدبى عظيم بالدعاية الواسعة لقضيتنا بطرحها أمام أنظار العالم كله، وإخراجها من حيز التفاهم الثنائى الضيق، إلى حيز التحاكم الدولى الواسع، وذلك صحيح. ولكن هذا الكسب الأدبى لن يغنى عن الحقيقة الواقعة شيئًا، وهى أننا مازلنا مع الإنجليز حيث كنا لم نتقدم خطوة، بل إن هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤل والبلبلة.

لم يبق إذن إلا «النبذ على سواء» بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة، ونقرر فى صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات، ونعلن اعتبار أمة الوادى معهم فى حالة حرب - ولو سلبية - وننظم حياتنا على هذا الاعتبار.

اقتصاديًا: بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت.

واجتماعيًا: تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية.

وعمليًا: بتدريب الشعب كله تدريبًا عسكريًا حتى يأتى أمر الله.

وتُهيَّأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة الحرب الحقيقية، وتتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس.

وهذا العمل لا يتسنى للأفراد ولا للهيئات ابتداء، ولكن الحكومة هى المسئولة عنه أولاً وآخراً. والعجب أن رئيس الحكومة أعلن هذا صراحة فى مجلس الأمن، ثم عاد فلم يعمل شيئًا، ولم يتقدم فى هذا السبيل خطوة.. هذا واجب الحكومة قطعًا.

وأما الشعب، فنحن نقولها فى صراحة ووضوح وثقة، إنه على أتم استعداد لبذل كل شيء لو سلكت الحكومة هذا السبيل إنه مستعد ليجوع ويعرى... وليموت ويناضل، ويكافح بأشد أنواع النضال والكفاح... ولكن على شريطة أن يكون ذلك فى سبيل حريته واستقلاله لا فى سبيل ارتباك اللجان الحكومية، وضعف الوسائل الإدارية، والتخبط فى السياسة الاقتصادية، والوقوف أمام مكايد الإنجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين.

لقد سمعت عاملاً فقيراً يقول - حين صدرت الأوامر بخلط الخبز -: إننى مستعد أنا وأولادى أن نأكل كل يوم مرة واحدة، إذا وثقنا من أن هذا فى سبيل الحرية والتخلص من الإنجليز، ولكنى ساخط كل السخط لأنى لم أفهم لماذا نلجأ إلى هذا الخلط ونحن بلد زراعى معظم محصوله المواد الغذائية؟!

والشعب على أتم استعداد للبذل، ولكن فى طريق واضحة مرسومة تؤدى إلى الحرية أوالشهادة، بقيادة حكومة حازمة ترسم له فى قوة وإخلاص مراحل هذا الطريق، أما إذا استمرت الحكومة فى ترددها وتراخيها واضطرابها، فلن يؤدى ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين، إما أن يثور، وإما أن يموت، وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبداً التاريخ .

فيا دولة رئيس الحكومة، ويا رجال الأزهر الشريف، ويا زعماء الهيئات والأحزاب، ويا ذوى الغيرة على هذا الوطن ويا أبناء الأمة جميعاً:

هذه هى الطريق فاسلكوها فى ضوء الإسلام، والله معكم.

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد .

* * *

وحدتنا فى ضوء التوجيه الإسلامى

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥٢]

بالأمس وضعت بين يدى قومى، فى قضيتنا الوطنية الخاصة، توجيه الإسلام الذى هو أخصر الطرق كلها حلاً حاسمًا كريمًا، والذى لا يعدو النبذ بالخصومة، وإعداد وسائل الجهاد. ومتى فعلنا ذلك، فقد خرجنا ولاشك من هذه الحيرة، ووجدنا الجواب الصحيح لهذا السؤال الذى يتحرك به كل لسان، ويتردد فى خاطر كل مواطن: (ماذا نعمل الآن).

والحق أننا لا نحار لأننا لا نريد أن نفعل شيئًا، ونهرب من تبعات العمل، ونفر من ثقل التضحيات وتكاليف الكفاح، ونلتمس اللين والسهولة دائمًا، ولا نفكر فى سواهما. ونتصور أن الحرية والاستقلال يهبطان من السماء بغير عمل، والسماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، ولا تفيض بحرية أو استقلال. ولو كنا جادين حقيقة فى الطلب، لسرنا فى الطريق بعد أن عرفناه فى كلمتين اثنتين «ننبذ، ونجاهد»، والنصر بعد ذلك من عند الله.

* * *

والآن أعرض لموضوع آخر يتصل بقضيتنا الوطنية العامة، التى تنتظم قضايا الأمة العربية بمختلف شعوبها، والعالم الإسلامى كله، لنرى كيف تحل هى الأخرى فى ضوء توجيه الإسلام الحنيف.

معلوم أن الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعًا، لا فرق بين عربى ولا عجمى أو شرقى وغربى: ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان: ١]. ولهذا دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية، وأعلن الأخوة الإنسانية، ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة فى تاريخ البشر: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث

مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

ومعلوم أن الإسلام كذلك قد قرر من باب الأولى أقوى معانى الأخوة بين المؤمنين به والمنتسبين إليه والمعتقدين لرسالته، حتى جعل الأخوة معنى من معانى الإيمان، بل هى أكمل معانيه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] و«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»، «ومثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

* * *

ويوم واجه المسلمون العالم كله صفًا واحداً وقلبًا واحداً، فى ظل هذه الأخوة الصادقة الحقة، لم تلبث أمامهم ممالك الروابط الإدارية أو السياسية المجردة ساعة من نهار، وانهزم أمامهم - بغير نظام - الروم والفرس على السواء. وكونوا إمبراطورية ضخمة تمتد من المحيط إلى المحيط، ذات علم وحضارة، وقوة وإشراق.

ويوم غفلوا عن سر قوتهم ولم يأخذوا بهدى كتابهم ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ودب إليهم داء الأمم من قبلهم، من تغليب المصالح المادية الزائلة على الأخوة الإيمانية الباقية . . . تمزقت هذه الإمبراطورية أيدى سبأ، ولعبت بها المطامع الداخلية والخارجية، وانتهى أمرها مؤخراً بعد الحرب العالمية الأولى إلى الانهيار، والوقوع فى أسر خصومها من غير المسلمين، الذين احتلوا أرضها، وملكوا أمرها وتقاسموها فيما بينهم، وظنوا أنه قد انتهى أمر الإسلام وختمت الحرب الصليبية أفضل ختام.

وكانت الدسيسة الكبرى التى اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً، ثم أرضهم وبلادهم ثانيًا، هى تأثرهم بالعنصرية والشعوبية، واعتداد كل أمة منهم بجنسها، وتناسى ما جاء به الإسلام من القضاء على عصبية الجاهلية والتفاخر بالأجناس والألوان والأنساب.

* * *

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية، التى قضت على العنصريات الحديثة فى أوربا،

عنصرية النازية والفاشيــة، فرأينا بعدها الدول الأوربية الكبرى تسعى سعيًا حثيثًا إلى التجمع والتكتل، بـاسم العنصريات تارة، والمصالح تارة أخرى .. فروسـيا تحاول أن تجمع العـنصر الصقلى بكـل شعوبه تحت لواء الاتحـاد السـوفـيتى . وانجلتـرا وأمريكا تتجمعـان باسم الجنس واللغة، ثم تتقاسمان بعـد ذلك أمم العالم ومناطق النفوذ فى الأرض باسم المصالح والضرورات الحيوية وتـستر هذا التنافس بينها بتكوين هيئة الأمم المتحـدة لتوهم الناس أنها ترعى العـالمية، وتعمل لخير بنى الإنسان، كـما رأينا هذه الدول نفـسها تـتجمع ضـد حقـوقنا الوطنية، وتخـذلنا فى كل قضـية من قضـايانا الجوهرية، سواء عرضت على مجلس الأمن أم فى هيئة الأمم المتحدة، كما حدث فى قضية مصر، وفى قضية فلسطين، وفى قضية أندونيسيا .

* * *

نحن أمام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة، وأمام تـشابه قضايانا وتشاكلها، فهى كلها قضـية واحدة، معناها استـكمال الحرية والاستقـلال، وتكسير قيود الاسـتغلال والاستـعمار . . . لابد أن نلجأ من جـديد إلى ما فرضـه الإسلام على أبنائه منذ أول يوم، حين جـعل الوحدة معنى من مـعانى الإيمان . . . يجب أن نتكتل ونتـوحد . وقد بدأنا بالجامعة العربية، وهى وإن كانت لم تـستقر بعد الاستقرار الكامل، إلا أنها نواة طيبـة مباركة على كل حـال، فعلينا أن ندعمهـا ونقويها، ونخلصهـا من كل ما يحيط بهـا من عوامل الضعـف والتخلخل . وعلينا بعد ذلـك أن نوسع الدائرة حتى تتحق رابطة أمم الإسلام - عربية وغير عربية - فتكون نواة (لهيئة الأمم الإسلامية) بإذن الله .

وبهذه الطريقة، التى سـتضيف إلى وسائلنا الخاصة بكل أمـة، من النبذ والجهاد، معنى آخر من مـعانى القوة، هو الوحدة والتجمع، نـستطيع أن نتخلص، وأن نحفظ التوازن العالمى بين الأمم الطامعة، والدول المتنافسـة على المغانم والحطام.

والمسئول عن تحـقيق هذه الخطوات، الحكومات العربيـة والإسلامية جميعًا، وكل دعاة الإصلاح فى هذه الشعوب من رسميين وأهليين.

واليوم أوجّه النداء: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد ..

مشكلاتنا الداخلية فى
ضوء النظام الإسلامى

نظام الحكم

١ - نظام الحكم

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]

○ الحكومة فى الإسلام

يفترض الإسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذى جاء به للناس، فهو لا يقر الفوضى، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام، ولقد قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه: «إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه»، كما قال فى حديث آخر لبعض أصحابه كذلك: «وإذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلاً».

فمن ظن أن الدين - أو بعبارة أدق الإسلام - لا يعرض للسياسة، أو أن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بهذا الإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجميل قول الإمام الغزالى رضى الله عنه: (اعلم أن الشريعة أصل، والملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع) فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها. كما لا تقوم الدعوة إلا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها.

* * *

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل، ففصلنا الدين عن السياسة عمليًا، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريًا، فنصصنا فى دستورنا على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا الذوق الإسلامى فى الرؤوس، والنظرة الإسلامية فى النفوس، والجمال الإسلامى فى الأوضاع، باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائمًا بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة، وهذا أول الوهن وأصل الفساد.

دعائم الحكم الإسلامي

والحكومة في الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة، هي الهيكل الأساسي لنظام الحكم الإسلامي، فهي تقوم على مسئولية الحاكم ووحدة الأمة واحترام إرادتها ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال.

○ مسئولية الحاكم:

فالحاكم مسئول بين يدي الله وبين الناس، وهو أجير لهم وعامل لديهم، ورسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول عندما ولي الأمر وصعد المنبر: (أيها الناس، كنت أحترفُ لعيالي فأكتسب قوتَهم، فأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لي من بيت مالكم) وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعي أفضل وأعدل تفسير، بل هو وضع أساسه، فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة، فإن أحسن فله أجره، وإن أساء فعليه عقابه.

○ وحدة الأمة:

والأمة الإسلامية واحدة، لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها. ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير إلى الكبير، ومن الكبير إلى الصغير، وذلك هو المعبر عنه في عرف الإسلام ببذل النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» وقال: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّعَ منها»، وفي رواية: «وبطن الأرض خير لهم من ظهرها»، وقال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

ولا تكون الفرقة في الشئون الجوهرية في الأمة الإسلامية، لأن نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الإسلام، معترف به من أبنائها جميعًا.

والخلاف في الفروع لا يضر، ولا يوجب بغضًا ولا خصومة ولا حزبية يدور معها

الحكم كما تدور، ولكنه يستلزم البحث والتمحيص، والتشاور وبذل النصيحة، فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه، وما لا نص فيه فقرار ولى الأمر يجمع الأمة عليه، ولاشىء بعد هذا.

○ **احترام إرادة الأمة:**

ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير، وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ الصالح من آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأثنى به على المؤمنين خيرًا فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. ونصت على ذلك سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده: إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأى من المسلمين، واستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم لينتدبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه. فيقول أبو بكر رضى الله عنه: (فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى أو قومونى)، ويقول عمر بن الخطاب: (من رأى فىّ اعوجاجًا فليقومه).

و(النظام الإسلامى) فى هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التى لا يكون الحكم صالحًا بدونها، ومتى طبقت تطبيقًا يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحى والشعور الحقيقى بقدسية هذه التعاليم، وإن فى المحافظة عليها وصيانتها الفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة، وهو ما يعبرون عنه فى الاصطلاح الحديث (بالوعى القومى) أو (النضج السياسى) أو (التربية الوطنية) أو نحو هذه الألفاظ، ومردها جميعًا إلى حقيقة واحدة هى اعتقاد صلاحية النظام، والشعور بفائدة المحافظة عليه، إذ إن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه.

ونحن فى حياتنا العصرية قد نقلنا من أوربا هذا النظام النيابى الذى تعيش فى ظله حكوماتنا الآن، ووضعنا دستورنا على أساسه، وتغير هذا الدستور مرة باسمه كذلك، وجرّبنا الكثير من آثاره، فإلى أى مدى ينطبق هذا النظام على الإسلام؟ وإلى أى مدى كانت فائدتنا منه طول هذه المدة؟ ذلك ما سنعرض له إن شاء الله.

٢ - نظام الحكم

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]

قدمت فى الكلمة السابقة أن الدعائم التى يقوم عليها نظام الحكم الإسلامى ثلاث:

(أ) مسئولية الحاكم.

(ب) ووحدة الأمة.

(ج) واحترام إرادتها.

ولقد تحقق هذا النظام بأكمل صورة فى عهد الخلفاء الراشدين بعد رسول الله ﷺ فكانوا يشعرون أتم الشعور بالتبعات الملقاة على كواهلهم كحكام مسئولين عن رعاياهم، ويظهر ذلك فى كل أقوالهم وتصرفاتهم وحسبك أن تقرأ ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولى الخلافة، وعمر بن عبد العزيز حين وليها كذلك.

وجاءت سيرتاهما مطابقتين لقولهما (أيها الناس قد وُليتُ عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعًا بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم، وكفى عمر مُهِمًا مُحزِنًا انتظار موافقة الحساب، يأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها، وبالسير منكم كيف أسير، فربى المستعان) فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده، وكان يقول: (لو أن جملاً هلك ضَياعًا بشط الفرات لخشيت أن يسأل عنه آل الخطاب).

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته: (أما بعد، فإنه ليس بعد نبيكم ﷺ نبيٌ، ولا بعد الكتاب الذى أُنزل عليه كتاب. ألا ما أحل الله عز وجل حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة، ألا لست بقاضٍ ولكننى منفذ، ألا وإننى لست بمبتدع ولكنى متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع فى معصية الله عز وجل، ألا إنى لست بخيركم ولكننى رجل منكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملاً) وقدِّمت إليه مراكب الخلافة بعد دفن سليمان بن عبد الملك فأمر بتأخيرها، وركب بغلته وعاد إلى

منزله، فدخل عليه مولاه مُزاحم فقال: يا أمير المؤمنين لعلك مهتم؟! فقال: (بمثل هذا الأمر الذى نزل بى اهتممت، إنه ليس من أمة محمد فى مشرق ولا مغرب أحد إلا له قِبَلى حق يحق علىّ أداؤه إليه، غير كاتب إلىّ فيه ولا طالبه منى)».

وكانت الأمة مجتمعة الكلمة باستمساكها بأهداب الدين، واعتقادها فضل ما جاء به من أحكام، ورعايتها لأمر رسول الله ﷺ وتشديده فى الوحدة حتى أمر بقتل من فارق الجماعة أو خرج على الطاعة، فقال: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»، كما قال: «من خرج على الطاعة وخالف الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّة[1] يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة[2]، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى ذا عهد عهده، فليس منى ولست منه».

كما كانت إرادتها محترمة مقدورة، فما كان أبو بكر يمضى فى الناس أمرًا إلا بعد أن يستشيرهم وخصوصًا فيما لا نص فيه، وكذلك كان عمر بن الخطاب، فقد جعل الخلافة من بعده شورى فى الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

وقلت فى الكلمة السابقة أيضا إننا نقلنا هذا النظام النيابى، الذى تعيش حكومتنا فى ظله، عن أوربا، فإلى أى مدى ينطبق على الإسلام؟ وما الذى أفدناه منه منذ طبق فى عهده الأخير فى بلادنا إلى الآن، وهى مدة تبلغ ربع قرن من الزمان تقريبًا؟

* * *

---

(١) عِمِّيَّة: أى فتنة وجهالة.

(٢) عصبة الرجل: أقاربه. والمعنى: يقاتل ويدعو وينصر لا لنصرة الدين والحق، بل لمحض التعصب لقومه وهواه.

موقف الإسلام من النظام النيابى والدستور المصرى

يقول علماء الفقه الدستورى إن النظام النيابى يقوم على مسئولية الحاكم، وسلطة الأمة، واحترام إرادتها، وإنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع كلمتها، وليست الفرقة والخلاف شرطًا فيه، وإن كان بعضهم يقول إن من دعائم النظام النيابى البرلمانى: الحزبية. ولكن هذا إذا كان عرفًا فليس أصلاً فى قيام هذا النظام، لأنه يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية وبدون إخلال بقواعده الأصلية.

وعلى هذا فليس فى قواعد هذا النظام النيابى ما يتنافى مع القواعد التى وضعها الإسلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيدًا عن النظام الإسلامى ولا غريبًا عنه. وبهذا الاعتبار يمكن أيضًا أن نقول فى اطمئنان إن القواعد الأساسية التى قام عليها الدستور المصرى لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة من النظام الإسلامى ولا غريبة عنه، بل إن واضعى الدستور المصرى رغم أنهم وضعوه على أحدث المبادئ والآراء الدستورية وأرقاها، فقد توخوا فيه ألا يصطدم أى نص من نصوصه بالقواعد الإسلامية، فهى إما متمشية معها صراحة كالنص الذى يقول: (دين الدولة الإسلام) أو قابلة للتفسير الذى يجعلها لا تتنافى معها كالنص الذى يقول: (حرية الاعتقاد مكفولة).

وأحب أن أنبه هنا إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التى تسير عليها المحاكم، إذ إن كثيرًا من هذه القوانين يتنافى صراحة مع ما جاء به الإسلام، وذلك بحث آخر سنعرض له فى موضعه إن شاء الله.

ومع أن النظام النيابى والدستور المصرى فى قواعدهما الأساسية لا يتنافيان مع ما وضعه الإسلام فى نظام الحكم، فإننا نصرح بأن هناك قصورًا فى عبارات الدستور، وسوءًا فى التطبيق، وتقصيرًا فى حماية القواعد الأساسية التى جاء بها الإسلام وقام عليها الدستور، أدت جميعًا إلى ما نشكو منه من فساد، وما وقعنا فيه من اضطراب فى كل هذه الحياة النيابية. وسنتناول هذا الإيجاز بشىء من البيان.

فأما عن مسئولية الحاكم فإن الأصل فيها في النظام الإسلامي أن المسئول فيها هو رئيس الدولة كائنًا من كان، له أن يتصرف، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة، فإن أحسن أعانته وإن أساء قومته، ولا مانع في الإسلام في أن يفوض رئيس الدولة غيره في مباشرة هذه السلطة وتحمل هذه المسئولية، كما عرف ذلك في (وزارات التفويض) في كثير من العهود الإسلامية، ورخَّص الفقهاء المسلمون في ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة، والقاعدة في مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة، قال الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية (والوزارة على ضربين، وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ. فأما وزارة التفويض فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه، وإمضاءها على مقتضى اجتهاده، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة، قال تعالى حكاية عن نبيه عليه الصلاة والسلام. ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩-٣٢]. فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة أجوز، لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر بها على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل).

والأصل في هذه المسئولية في النظام النيابي، أن المسئول هو الوزارة ولا مسئولية على رئيس الدولة، وقد جرى على هذا الوضع الدستور المصري والدستور الإنجليزي، فصرح كل منهما بمسئولية الوزارة، وإخلاء رئيس الدولة من كل مسئولية واعتباره لا يخطئ واعتبار ذاته مصونة لا تمس.

على أنه لا مانع في النظام النيابي من تحمل رئيس الدولة المسئولية واعتبار الوزارة تابعة له في ذلك، كما يقرر ذلك دستور الولايات المتحدة. والغريب أن تشير كتب الفقه الإسلامي إلى هذا الوضع أيضًا، وتسمى هذه الوزارة (وزارة التنفيذ) فيقول الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية أيضًا: (وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف، وشروطها أقل، لأن النظر مقصور فيها على رأى الإمام وتدبيره، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم...)

ولاشك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

○ غموض الدستور المصرى

هذه هى قواعد النظام الإسلامى والنيابى معًا فى (مسئولية الحاكم) فماذا فعلنا نحن فى مصر؟ وقفنا فى منتصف الطريق نصاً وتطبيقًا، وجاء دستورنا فى هذا المعنى غامضًا مقتضبًا غير واضح ولا مفصل، مع أنها أهم نقطة فى تحديد لون الحياة النيابية والإسلامية التى نحياها. وشرحًا لذلك سأسوق ما كتبه الأستاذان الدكتور إبراهيم مدكور عضو مجلس الشيوخ المصرى، والأستاذ مريت غالى فى مذكرتهما (نظام جديد) قالا تحت عنوان (الدستور وغموضه):

(فأما العامل الأول فملخصه أن دستورنا على الرغم من دقته وضبط عباراته، قد وقع فى نفس الغموض الذى وقعت فيه دساتير أسبق منه، وترك أهم نقطة فى الحكم النيابى دون أن يحددها التحديد الكافى، ونعنى بها سلطة الوزراء وصلتهم بالشعب ممثلة فى نوابه من جهة، وإشرافهم على ما يؤدى إليه من خدمات من طريق المصالح والإدارات من جهة أخرى، كما أجمل إجمالاً مخلاً فى بيان موقفهم من رئيس الدولة ومليك البلاد، واكتفى بأن يصوغها فى عبارات تصلح لكل ما يراد منها. وواضح أن الوزارة هى العمود الفقرى لهيكل النظام النيابى كله، وحلقة الاتصال بين التشريع والتنفيذ، ومبعث الحياة والحركة فى نظام يراد به احترام سلطة الشعب مع تصريف شئون الدولة تصريفًا محكمًا سريعًا، وإذا ما رجعنا إلى الدستور وجدنا أن ما جاء به متصلاً بهذه النقطة الحساسة لا يكاد يتجاوز ثلاثة أسطر كلها غموض وعموم، فيقرر فى المادة ٢٩ : (أن السلطة التنفيذية يتولاها الملك فى حدود هذا الدستور) وفى المادة ٤٨ : (الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه) وفى المادة ٤٩ : (الملك يعين وزراءه ويقيلهم)، وفى المادة ٥٧ : (مجلس وزرائه هو المهيمن على مصالح الدولة) وفى المادة ٦١ : (الوزراء مسئولون متضامنون لدى مجلس النواب عن السياسة العامة للدولة، وكل منهم مسئول عن أعمال وزارته) وفى المادة ٦٣ : (أوامر الملك شفهية أو كتابية - لا تخلى الوزراء من المسئولية على أية حال) .

تلك تقريبًا جملة النصوص المتصلة بهذا الموضوع، ولا نظن أن فيها ما يخفى مطلقًا لحل أى مشكل من المشاكل التى أشرنا إليها. وقد أفاضا بعد ذلك فى الشرح والتمثيل بما يفصل ما تقدم من هذه المعانى، والمهم أن هذه النقطة وهى لب الأمر تحتاج إلى إيضاح واستقرار، وهى القاعدة الأولى من قواعد (النظام الإسلامى) أو النيابى على السواء، وبغير ذلك لا يمكن أن تستقيم الأمور أو تسلم.

٣ - نظام الحكم

﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ [المائدة: ٤٨]

○ *وحدة الأمة*

وأما عن وحدة الأمة فقد أثبتُ أن الإسلام الحنيف يفترضها افتراضاً، ويعتبرها جزءاً أساسياً فى حياة المجتمع الإسلامى لا يتساهل فيه بحال، إذ إنه يعتبر الوحدة قرين الإيمان: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ [الحجرات: ١٠]، كما يعتبر الخلاف والفرقة قرين الكفر، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. أى بعد وحدتكم متفرقين. وكما قال رسول الله ﷺ: «لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم وجوه بعض» فعبر بكلمة الكفر عن الفرقة والخلاف وأن يضرب بعضهم وجوه بعض.

وأعتقد أن الحكم النيابى - برلمانيًا وغير برلمانى - لا يأبى هذه الوحدة، وبخاصة إذا كان لون الحياة الاجتماعية واحدًا فى أصوله واتجاهاته العامة، كما هو شأن الأمم الإسلامية جميعاً فى هذه الأيام. وإنما لازمت الحزبية والفرقة والخلاف هذا النظام النيابى فى أوربا وغيرها، لأنها نشأت على أنقاضها، وكانت الخلافات المتكررة الدامية بين الشعوب وحكامها هى السبب فى نشأته فعلاً، مع تباين المشارب واختلاف الآراء، أما الأمم الإسلامية، فقد حماها الله من ذلك كله، وعصمها بوحدة الإسلام وسماحته من هذا التبلبل والاضطراب.

ومع هذا فإن الحكم النيابى فى أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة. فليس فى إنجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة، وتجمعها دائمًا المسائل القومية المهمة، فلا تجد لهذه الحزبية أثرًا البتة.

كما أن أمريكا ليس فيها إلا حزبان كذلك لا نسمع عنهما شيئًا إلا فى مواسم الانتخابات. أما فيما عدا هذا، فلا حزبية ولا أحزاب. والبلاد التى تطورت فى

الحزبية وأسرفت فى تكوين الأحزاب ذاقت وبال أمرها فى الحرب وفى السلم على السواء، وفرنسا أوضح مثال لذلك.

وإذا كان الأمر كذلك، وكانت وحدة الأمة أساسًا فى النظام الاجتماعى الإسلامى ولا يأباه النظام النيابى، فإن من الواجب أن نتحول سريعًا إلى الوحدة بعد أن أهلكت الحزبية فى مصر الحرث والنسل.

○ الأحزاب المصرية

لقد انعقد الإجماع على أن الأحزاب المصرية هى سبّة هذا الوطن الكبرى، وهى أساس الفساد الاجتماعى الذى نصطلى بناره الآن، وأنها ليست أحزابًا حقيقية بالمعنى الذى تعرف به الأحزاب فى أى بلد من بلاد الدنيا. فهى ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف فى يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية. كما انعقد الإجماع على أن هذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج، ولا خلاف بينها فى شىء أبدًا إلا فى الشخصيات، وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم، وبما أن الأحزاب هى التى تقدم الشيوخ والنواب، وهى التى تُسيِّر دفة الحكم فى الحياة النيابية، فإن من البديهى ألا يستقيم أمر الحكم وهذه حال من يسيرون دفته.

وهذا الكلام الذى انعقد إجماع الأمة عليه، أعلنه شيوخ ونواب وفقهاء، ودستوريون فى صراحة ووضوح. ومن قرأ ما كتبه علوى باشا فى كتابه (مبادئ وطنية)، أو الأستاذ حسن الجدواى فى كتابه (عيوب الحكم فى مصر) أو غيرهما من الكتّاب، رأى صدق ما نقول. وحسبنا أن ننقل هنا فقرة من كتاب الفقيه الدستورى الأستاذ سيد صبرى (مبادئ القانون الدستورى) عن الأحزاب المصرية قال: (والواقع أنه لم يعد لأغلب الأحزاب السياسية فى مصر برنامج يدافع عنه أنصاره، بل أصبح كل حزب عبارة عن وزير سابق له أنصار ومريدون، ولهذه النتيجة أهميتها، فإن الانتخاب لن يقوم على المفاضلة بين البرامج، فقد أصبحت واحدة للجميع، بل سيقوم على الثقة بالأشخاص أو المفاضلة بينهم، وستكون الانتخابات شخصية لا حزبية بالمعنى المفهوم لدى الشعوب الغربية، وبديهى أن بقاء هذه الأحزاب على هذا

المنوال يقسم البلاد شيعًا وأحزابًا ويثير الشقاق والمنازعات بين الأفراد والأسرات بلا سبب مفهوم ولا أساس معقول).

وإذا أضيف إلى هذا أن مصر ما زالت بلدًا محتلاً إلى الآن، وأن الذى يستفيد من هذه الفرقة هم المحتلون الغاصبون فقط، وأنه إذا استساغ الخلاف - وهو غير مستساغ بحال - فى أمة من الأمم، فإن أمة وادى النيل هى أحوج ما تكون إلى أكمل معانى الوحدة لتتجمع قواها من نضال الاستقلال وفى عمل الإصلاح الداخلى؛ إذا أضيف هذا كله كان الأمر أخطر من أن يهمل أو يستهان به.

○ حل الأحزاب المصرية

وإذا كان الأمر كذلك، فلا ندرى ما الذى يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التى تسمى نفسها الأحزاب السياسية؟ إن الأمر جد خطير، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة ولو مؤقتة لمواجهة هذه الظروف العصيبة التى تجتازها البلاد، فيئسوا وأخفقوا. ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول، ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعًا، وتجمع قوى الأمة فى حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها، ويضع أصول الإصلاح الداخلى العام، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق فى التنظيم فى ظل الوحدة التى يفرضها الإسلام.

* * *

٤ - نظام الحكم

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]

○ احترام رأى الأمة - نظام الانتخاب

وأما عن احترام رأى الأمة، ووجوب تمثيلها واشتراكها فى الحكم اشتراكًا صحيحًا، فإن الإسلام لم يشترط استبانة رأى أفرادها جميعًا فى كل نازلة، وهو المعبر عنه فى الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام. ولكنه اكتفى فى الأحوال العادية (بأهل الحل والعقد) ولم يعينهم بأسمائهم، ولا بأشخاصهم، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم إياهم أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هم:

١ - الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم فى الفتيا واستنباط الأحكام.

٢ - وأهل الخبرة فى الشئون العامة.

٣ - ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة فى الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات.

فهؤلاء جميعًا يصلح أن تشملهم عبارة (أهل الحل والعقد).

ولقد رتب النظام النيابى الحديث طريق الوصول إلى أهل الحل والعقد بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخاب وطرائقه المختلفة. والإسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد، وذلك ميسور إذا لوحظ فى أى نظام من نظم الانتخاب تحديد صفات أهل الحل والعقد، وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة.

○ عيوب نظم الانتخاب فى مصر

ونحن فى مصر قد أخذنا بنظام الانتخاب المباشر تارة فى قانون سنة ١٩٢٣، وبنظام الانتخاب على درجتين فى قانون سنة ١٩٣٠، وكلاهما فى الواقع لم يحقق

الغرض المقصود منه، وظهرت له حين التطبيق عيوب يجب أن تعمل على إصلاحها بتعديل شامل، وليس الخطأ عيبًا في ذاته، ولكن الرضا به والاستمرار عليه والدفاع عنه هو الخطأ كل الخطأ، ولقد شعر الجميع بقصور قانون الانتخاب الحالي عن الوفاء بالغرض الذي وضع من أجله وهو الوصول إلى اختيار الصالحين للنيابة عن الأمة، ووجهت إليه انتقادات مرة كشفت عن كثير من العيوب وأهمها ما ذكره الدكتور سيد صبري في كتابه «(مبادئ القانون الدستوري)»: «أنه أوجد هيئة ناخبة لا يمكنها تحقيق الغرض من الانتخابات على الوجه المطلوب، وأنه لم يحقق فكرة تمثيل الأمة تمثيلاً صحيحًا، وأنه لم يصل إلى إيجاد هيئة تعمل للصالح العام مجردة من كل قيد. . .» وقد أورد بعد ذلك إحصائية دقيقة خلص منها بالأرقام إلى أن قرارات البرلمان المصري في أدواره المختلفة لا تعبر عن رأي الأمة ولا عن رأي أكثريتها، ولا عن رأي أقلية محترمة من أبنائها وإنما تعبر عن رأي نسبة ضئيلة من مجموعة من له حق الانتخابات، لم تصل يومًا إلى ١٢٪ وبيان ذلك:

إن مجلس نواب سنة ١٩٣٦ لا تمثل قراراته - مع أنها صحيحة ونافذة بحكم القانون - إلا ١٠,٧٥ من هيئة الناخبين:

ومجلس سنة ١٩٢٩ نسبة التمثيل فيه ٩,٢٥٪.

ومجلس سنة ١٩٣٦ النسبة فيه ٩,٢٥٪.

ومجلس سنة ١٩٣٨ النسبة فيه ١١,٧٥٪.

ومجلس سنة ١٩٤٢ النسبة فيه ٩,٧٥٪.

والمجلس الحالي ليس أفضل مما تقدمه.

فكيف يقال بعد هذا إن ذلك تعبير عن رأي الأمة وتمثيل لها تمثيلاً صحيحًا؟!

تعديل وإصلاح

لابد من تعديل وإصلاح لقانون الانتخاب، ومن وجوه هذا الإصلاح الضرورية:

١ - وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم؛ فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلابد أن يكون لهذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح.

وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات فلابد أن يكون لهم من الصفات والمناهج الإصلاحية ما يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة، وهذا المعنى مرتبط إلى حد كبير بإصلاح الأحزاب فى مصر، وما يجب أن يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها.

٢ - وضع حدود للدعاية الانتخابية، وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود، بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعانى الشخصية البحتة التى لا دخل لها فى أهلية المرشح وإنما تدور حول المناهج والخطط الإصلاحية.

٣ - إصلاح جداول الانتخاب، وتعميم نظام تحقيق الشخصية، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمراً عجباً بعد أن لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طول هذه الفترات المتعاقبة، وفرض التصويت إجبارياً.

٤ - وضع عقوبة قاسية للتزوير من أى نوع كان، وللرشوة الانتخابية كذلك.

٥ - وإذا عدل إلى الانتخاب بالقائمة، لا الانتخاب الفردى كان ذلك أولى وأفضل، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية فى تقدير النواب والاتصال بهم.

وعلى كل حال فـ[illegible]ب الإصلاح والتعديل كثيرة، هذه نماذج منها، وإذا صدق العزم وضح السبيل، والخطأ كل الخطأ فى البقاء على هذا الحال والرضا به، والانصراف عن محاولة الإصلاح.

* * *

٥ - نظام الحكم

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾ [النساء: ١٠٥].

عرضت في الكلمات السابقة لدعائم الحكم الصالح الثلاث في النظام الإسلامي أو النيابي على السواء وهي:

١ - مسئولية الحاكم.

٢ - ووحدة الأمة.

٣ - واحترام إرادتها.

وأشرت في إيجاز بالغ إلى نواحي الغموض في التشريع، والقصور والفساد في التطبيق، في أسلوب الحكم الذي جرينا عليه منذ صدور الدستور المصري إلى الآن. وقد كانت نتيجة هذا الغموض والقصور والفساد ما نحن عليه الآن من حيرة وقلق وارتباك، وما وصلنا إليه من فرقة وتمزق وشتات.

○ ضعف الحكومات

لا يجادل أحد في أن الحكومات المتعاقبة قد ضعفت عن أداء واجبها، وفقدت معظم هيبتها في النفوس كحكومة، بسبب هذا التجريح بالحق وبالباطل الذي تمليه الروح الحزبية البحتة، وبسبب هذا العجز الناتج عن عدم تحديد المسئولية والاضطلاع بها كاملة غير منقوصة، ولولا أن النفوس في مصر مطبوعة بطابع الطاعة والاستسلام، والأعمال تسير بطريق روتيني لا تجديد فيه ولا ابتكار .. لتعطل كل شيء، ولعجز الدولاب الإداري المضطرب عن أن ينهض بحاجات الشعب أو أن يؤدي للناس عملاً.

○ وهيبة القانون

ولاشك أن سلطان القانون قد تزعزع وفقد معظم احترامه كذلك، بسبب هذه

الاستثناءات وللمحسوبيات والحيل المتكررة، والاعتداء أحيانًا بنسخ القانون لغرض شخصي.. ولو أن هذا النسخ بقانون فى ظاهر الأمر. ولكن الدوافع تكون معروفة دائمًا ولا تخفى على أحد، فيعمل ذلك عمله فى النفوس وينال من هيبة القانون واحترام النظام.

○ حزبية عمياء

ولاشك أن نار الخصومة والحقد قد اضطربت فى نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء، بفعل هذه الحزبية الخاطئة، التى لم نفهمها نحن فى مصر فى يوم من الأيام على أنها خلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية، بل فهمناها عداوة وبغضاء تتعدى النظر فى المصالح العامة إلى المقاطعة فى كل الشئون عامة وخاصة، وإلى أن نرى الحق فى جانب خصومنا الحزبيين باطلاً، والباطل فى جانب أنصارنا الحزبيين حقًا، ونصدر عن هذا الشعور فى كل تصرفاتنا وصلاتنا، ويستفحل الداء ويستشرى حتى فى أحرج المواقف، فلا نستطيع أن نوحد صفوفنا فى أى موقف قومى مهما يكن يتوقف عليه إصلاح أمرنا ومستقبل بلادنا.

وهذا الشعور البغيض، والفهم الخاطئ للحزبية الذى تحول إلى عداوة متأصلة، قد كان من نتائجه: أن انصرفت معظم الجهود الفكرية والعملية إلى أمرين استغرقا كل اهتمام رجالنا، وهما: الإيقاع بالخصوم الحزبيين واتقاء مكائدهم، فالحاكم يصرف جل همه فى هاتين الناحيتين، والمعارضة لا تقل عن الحاكم اهتمامًا بهما، وفى سبيل ذلك تضيع الحقوق وتتعطل المصالح، ويرثى الأصدقاء ويشمت الأعداء، ويستفيد الخصم الجاثم على صدر البلاد.

* * *

هذه الحال قد أنتجت التحطم فى المعنويات، والفساد والاضطراب فى الماديات، وقد بلغ الأمر منتهاه ولم يعد فى قوس الصبر منزع، ولابد من تغيير حازم حاسم سريع.. فإما أن يفقه أولو الأمر هذه الحقيقة ويقدروها، فيبادروا فى سرعة إلى إجراء التغيير الصالح برأيهم وعلى أيديهم، وفى ذلك السلامة والاستقرار، وما زال فى الوقت متسع للإصلاح. وإما أن يظلوا فى هذا الانصراف فتسبقهم الحوادث، ويفلت

من يدهم الزمام، ولا يدرى عاقبة ذلك إلا الله .

يا أولى الأمر فى هذا البلد. . . ويا دولة رئيس الحكومة. . ويا رجال الأزهر. . . ويا زعماء الأحزاب والهيئات والجماعات . .

ويا ذوى الغيرة على هذا الوطن الأسيف:

تداركوا الأمر قبل الفوات . . . وأمامكم سفينة النجاة من نظام الإسلام . . . ولله عاقبة الأمور .

ألا هل بلغت . . اللهم فاشهد . .

* * *

مشكلاتنا الداخلية في
ضوء النظام الإسلامي

النظام الاقتصادي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت تحت عنوان (مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى) عدة كلمات سالفة بينت فيها أن نظام الحكم الإسلامى يقوم على قواعد ثلاث:

(أ) مسئولية الحاكم

(ب) احترام إرادة الأمة.

(ج) والمحافظة على وحدتها.

وإن من حسن الحظ أن هذه هى أيضًا دعائم النظام النيابى الحديث الذى اخترناه لأنفسنا. كما بينت أننا لم نطبق هذا النظام ولا ذاك تطبيقًا صحيحًا، وبذلك اضطربت كل الأمور تبعًا لذلك، فإن هذا الأمر أصل وكل ما عداه تبع له: «ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» الحكومة ولاشك قلب الإصلاح الاجتماعى كله، فإذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله وإذا صلحت صلح الأمر كله، وقد أهبت بالقائمين أن يبادروا بالإصلاح، وأن يعودوا إلى الإسلام الحنيف جماع الخير ليهتدوا بهديه ويسيروا على ضوئه وبغير ذلك لا يمكن أن نظفر بالإصلاح الحقيقى المنشود.

* * *

وهنا أتناول (وضعنا الاقتصادى) بمثل هذا البيان، رجاء أن تجد هذه الكلمات المخلصة آذانًا مصغية، وقلوبًا واعية، تستشعر الخطر وتعمل على تلافيه، من قبل أن يستشرى الداء، ويعز الدواء، ويتسع الخرق على الراقع. ولا يحرك النفوس ويثير الخواطر، ويؤلم المشاعر شىء كالضائقة المالية، تأخذ بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كمالياتها. ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف، ولا عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة. ولا حاجة أشد من حاجة القوت، وطالب القوت ما تعدى. دخلت الجارية على محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة، فقالت: يا سيدى فنىَ الدقيق. فقال: قاتلك الله! أذهبتِ من رأسى أربعين مسألة.

وهناك حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو يتجاهلها منها:

○ غنى طبيعى

إن هذا البلد ليس فقيراً، بل لعله أغنى بلاد الله تبارك وتعالى بخيراته الطبيعية، وثرواته المختلفة، من زراعية ومائية وحيوانية ومعدنية، ونيله العجيب، وواديه الخصيب، وما شئت من فضل الله تبارك وتعالى على مصر وأهل مصر منذ القدم: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦١].

○ استغلال أجنبى

ومنها أن الأجانب الذين احتلوا هذا الوطن بغفلة من أهله، وتساهل من حكامه، وظلم من غاصبيه، أسعد حالاً من أهله وبنيه، وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه، شركات أو أفرادًا، فالصناعة والتجارة، والمنافع العامة، والمرافق الرئيسية، كلها بيد هؤلاء الأجانب حقيقة، أو الأجانب الذين اتخذوا من الجنسية المصرية شعاراً وما زالوا يحنون بعد إلى أوطانهم ويؤثرونها بأكبر أرباحهم. وإن كثيراً من هؤلاء الأجانب ما زال ينظر إلى المواطن المصرى، والعامل المصرى، والحاكم المصرى، نظرة لا تقدير فيها ولا إنصاف.

○ ثراء فاحش وفقر مُدقع

ومنها أن التفاوت عظيم، والبون شاسع، والفرق كبير، بين الطبقات المختلفة فى هذا الشعب، فثراء فاحش وفقر مدقع. والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة، والذى نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليس إلا من الفقراء المعوزين وإن كنا نسميهم متوسطين، على قاعدة: بعض الشر أهون من بعض. ورحم الله فقهاءنا الذين حبَّروا البحوث الطويلة فى الفرق بين الفقراء والمساكين وإن كان كلاهما من المحتاجين البائسين.

○ تخبط اقتصادى

ومنها وهو الأهم، أننا فى وسط هذا المعترك الحاد الصاخب العنيف، بين المبادئ الاقتصادية، من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية لم نحدد لونًا نصبغ به حياتنا الاقتصادية؛ فى وقت تحتم فيه التحديد، وتعقدت فيه الأمور، بحيث لم تعد تنفع فيها أنصاف الحلول، ولم يعد يجدى إلا الوضوح الكامل، وتحديد الأهداف تحديداً دقيقًا، والسير إليها فى قوة وعزيمة.

وهذه الأوضاع، وإن امتزجت بها المعانى السياسية، إلا أنها فى أغلب صورها ودوافعها ونتائجها تعاليم وأوضاع اقتصادية، ولهذا كان لابد لنا من أن نختار لونًا من هذه الألوان أو من غيرها إن استطعنا، لنعيش فى حدود وضع معلوم له خصائصه ومميزاته، يحدد أهدافنا الرئيسية، ويرسم لنا طريق العمل للوصول إلى هذه الأهداف.

○ إلى الإسلام

وأعتقد أنه لا خير لنا فى واحد من هذه النظم جميعًا، فلكل منها عيوبه الفاحشة، كما له حسناته البادية، وهى نظم نبتت فى غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا، ومجتمعات فيها غير ما فى مجتمعنا، فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذى يؤدى إلى الإصلاح الشامل فى توجيهات الإسلام الحنيف، وما وضع للاقتصاد قواعد كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقًا سليمًا، لانحلت مشكلاتنا، ولظفرنا بكل ما فى هذه النظم من حسنات، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات، ووجدنا أقرب الطرق إلى الحياة الطيبة.

○ قواعد النظام الاقتصادى فى الإسلام

قدمت فى الكلمة السابقة أن مصر تتقاذفها الألوان الاقتصادية وتتضارب فيها النظم والآراء العصرية، من رأسمالية واشتراكية وشيوعية، وأن من الخير كل الخير أن تبرأ من هذه الألوان كلها، وأن تركز حياتها الاقتصادية على قواعد الإسلام وتوجيهاته العليا، وتستمد منه وتعتمد عليه، وبذلك تسلم من كل ما يصحب هذه الآراء من أخطاء، وما يلصق بها من عيوب، وتحل مشاكلنا الاقتصادية من أقصر طريق.

ويتلخص نظام الإسلام الاقتصادى فى أهمها:

١ - اعتبار المال الصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه، وحسن تدبيره وتثميره.

٢ - إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

٣ - الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما فى الوجود من قوى ومواد.

٤ - تحريم موارد الكسب الخبيث.

٥ - تقريب الشقة بين مختلف الطبقات، تقريبًا يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع.

٦ - الضمان الاجتماعى لكل مواطن، وتأمين حياته، والعمل على راحته وإسعاده.

٧ - الحث على الإنفاق فى وجوه الخير، وافتراض التكافل بين المواطنين، ووجوب التعاون على البر والتقوى.

٨ - تقرير حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

٩ - تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، والتدقيق فى شئون النقد.

١٠ - تقرير مسئولية الدولة فى حماية هذا النظام.

والذى ينظر فى تعاليم الإسلام، يجد فيه هذه القواعد مبيَّنة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الإسلامى بأوسع بيان.

○ المال الصالح قوام الحياة

فقد امتدح الإسلام المال الصالح، وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره، وأشاد بمنزلة الغنى الشاكر الذى يستخدم ماله فى نفع الناس ومرضاة الله. وليس فى الإسلام هذا المعنى الذى يدفع الناس إلى الفقر والفاقة من فهم الزهد على غير معناه. وما ورد فى ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به ما يدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف، ويستعان به على الإثم والمعصية والفجور وكفران نعمة الله، وفى الحديث «نعم المال الصالح للرجل الصالح». وفى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥] وفى ذلك الإشارة إلى أن الأموال قوام الأعمال، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال فى غير وجهه؛ فقال: «إن الله ينهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». كما أن من مات مدافعًا عن ماله فهو شهيد كما جاء فى الحديث: «من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد...» الحديث.

○ العمل على كل قادر

وفى الإسلام الحث على العمل والكسب، واعتبار الكسب واجبًا على كل قادر عليه، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين، وتحريم السؤال، وإعلان أن من أفضل العبادة العمل، وأن العمل من سنة الأنبياء، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد، والزراية على أهل البطالة، والذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم، ولو كان الانقطاع لعبادة الله. فإن الإسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل. والتوكل على الله إنما هو فى الأخذ بالأسباب وأيضًا بالنتائج، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل. والرزق المقدور مقرون بالسعى الدائب، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[التوبة: ١٠٥]. ويقول رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» ويقول عمر: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة)، وفى الحديث: «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم».

○ الكشف عن منابع الثروات

كما أن فيه لفت النظر إلى ما فى الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير، والحث على العناية بها، ووجوب استغلالها، وأن كل ما فى هذا الكون العجيب مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[لقمان: ٢٠] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الجاثية: ١٣]. ومن قرأ آيات القرآن الكريم، علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه.

○ تحريم الكسب الخبيث

ومن تعاليمه: تحريم موارد الكسب الخبيثة، وتحديد الخبث فى الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار، واليانصيب ونحوها. أو كان بغير حق: كالنصب والسرقة والغش ونحوها. أو كان عوضًا لما يضر: كثمن الخمر والخنزير

والمخدر ونحوها. فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها.

○ التقريب بين الطبقات

وقد عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر الترف على الأغنياء، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال الأغنياء، ووصف الطريق العملي لذلك.

وأكثر من الحث على الإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلك، وذم البخل والرياء والمن والأذى، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

○ حرمة المال واحترام الملكيات

وقرر حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»... و«لا ضرر ولا ضرار».

○ تنظيم المعاملات المالية

وشرع تنظيم المعاملات المالية في حدود مصلحة الأفراد والمجتمع، واحترام العقود والالتزامات، والدقة في شئون النقد والتعامل به، حتى أفردت له أبواب في الفقه الإسلامي تحريم التلاعب فيه كالصرف[1] ونحوه، ولعل هنا موضعًا من مواضع الحكمة في تحريم استخدام الذهب والفضة باعتبارهما الرصيد العالمي للنقد[2].

○ الضمان الاجتماعي

وقرر الضمان الاجتماعي لكل مواطن، وتأمين راحته ومعيشته كائنًا من كان، ما دام مؤديًا لواجبه، أو عاجزًا عن هذا الأداء بسبب قهري لا يستطيع أن يتغلب عليه.

---

(١) الصرف مبادلة تجري بين النقدين وتخضع لشروط خاصة تعرف في مراجعها من كتب الفقه.

(٢) يحرم الإسلام استخدام الذهب والفضة مطلقًا في الأواني والأدوات الخاصة، ويحرّم الذهب كزينة للرجال وكذا الإسراف فيه للنساء، ولعل ذلك لأن حاجة الدولة إلى رصيد ضخم من هذه المعادن أولى بالاعتبار من الاستعمال الفردي.

ولقد مر عمر على يهودى يتكفف الناس، فزجره واستفسر عما حمله على السؤال، فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة وقال له: (ما أنصفناك يا هذا، أخذنا منك الجزية قويًا وأهملناك ضعيفًا، افرضوا له من بيت المال ما يكفيه).

وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعًا.

○ مسئولية الدولة

وأعلن مسئولية الدولة عن حماية هذا النظام، وعن حسن التصرف فى المال العام، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه، وتعدل فى جبايته. ولقد قال عمر ما معناه: إن هذا المال مال الله، وأنتم عباده، وليصلن الراعى بأقصى الأرض قسمه من هذا المال وإنه ليرعى فى غنمه، ومن غل غل فى النار.

○ استغلال النفوذ ... من أين لك هذا ؟

كما حظر الإسلام استخدام السلطة والنفوذ، ولعن الراشى والمرتشى والرائش، وحرم الهدية على الحكام والأمراء، وكان عمر يقاسم عماله ما يزيد عن ثرواتهم، ويقول لأحدهم: (من أين لك هذا ؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار)، وليس للوالى من مال الأمة إلا ما يكفيه. وقد قال أبو بكر لجماعة المسلمين حين ولى عليهم: (كنت أحترف لعيالى فأكتسب قوتهم، وأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لى من بيت مالكم) ففرض له أبو عبيدة قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأوكسهم، وكسوة الشتاء وكسوة الصيف، وراحلة يركبها ويحج عليها، وقُوِّمَتْ هذه الفريضة بألفىْ درهم. ولما قال أبو بكر لا يكفينى، زادها له خمسمائة وقضى الأمر.

تلك هى روح النظام الاقتصادى فى الإسلام، وخلاصة قواعده أوجزناها منتهى الإيجاز، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخامًا، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا فى ذلك الخير الكثير.

○ استقلال النقد

ذكرنا بعض الأصول التى يقوم عليها النظام الاقتصادى الإسلامى، والروح التى تمليها علينا تلك الأصول، التى تنتج مع التطبيق الصحيح وضعًا اقتصاديًا سليمًا ليس أفضل منه. فهى توجب استقلال نقدنا، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن

ذهبنا، لا على أذونات الخزانة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الأهلى البريطانى - وإن كان مقره مصر - وتأمل الآية الكريمة: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾[النساء: ٥] .

ومن أفظع التغرير بهذا الشعب، أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الإنجليزى. وإن مصر إذا حزمت أمرها، وأحكمت تصرفاتها، متصل ولاشك إلى هذا الاستقلال. ولقد انفصلنا عن الكتلة الاسترلينية وفكرنا فى تأميم البنك الأهلى، وطالبنا بالديون الكثيرة التى لنا على الإنجليز، وكل هذه ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصرى. . . فماذا فعل الله بها، وماذا أعددنا من العدة لإنقاذها.

ولعل من المفارقات أن أكتب هذه الكلمات فى الوقت الذى يذاع فيه أن المفاوضات بين مصر وإنجلترا حول الأرصدة الاسترلينية باءت أو قاربت أن تبوء بالفشل، لتعنت الإنجليز وتمسكهم بألا يدفعوا لمصر عن سنة ١٩٤٨ أكثر من ١٢ مليونًا. فى الوقت الذى تطلب فيه مصر طلبًا متواضعًا هو ١٨ مليونًا.

ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار، هذه المآسى التى نصطلى بنارها من التضخم الذى استتبع غلاء المعيشة وصعوبة الاستيراد والتصدير.

ولم يحدث فى تاريخ الدول الراقية فيما نعلم أن بنكًا يستغل قرارًا من وزير، هذا الاستغلال الشائن، كما فعل ذلك البنك الأهلى بقرار وزارة المالية غير الموقع عليه من أحد ٥ يونيو ١٩١٦ فيصدر بمقتضاه من الأوراق ما يشاء.

تمصير الشركات

كما توجب هذه الأصول الاهتمام الكامل بتمصير الشركات، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك، وتخليص المرافق العامة - وهى أهم شئ للأمة - من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون الأرض والبناء، والنقل والماء والنور والمواصلات الداخلية، والنقل الخارجى، حتى الملح والصودا. فى يد شركات أجنبية تبلغ رؤوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات لا

يصيب الجمهور الوطنى ولا العامل الوطنى منها إلا البؤس والشقاء والحرمان.

○ استغلال منابع الثروة

واستغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعًا منتجًا، أمر يوجبه الإسلام، الذى لفت كتابه أنظارنا إلى آثار رحمة الله فى الوجود، وما أودع الله فى الكون من خيرات فى الأرض وفى السماء، وأفاض فى أحكام الركاز، وحث على طلب الخير أينما كان. فى الماء عندنا ثروات، وفى الصحارى ثروات وفى كل مكان ثروات، لا ينقصها إلا فكر يوجه، وعزيمة تدفع، ويد تعمل، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٧، ٢٨]. والعلماء هنا فيما أظن الذين يعلمون علم الكائنات وما فيها للناس من خير، وما يتجلى فى دقيق صنعها من واسع علم الله خالق الأرض والسموات.

والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى المهمة التى طال عليها الأمد، وقعد بها التراخى والكسل أو أحبطتها الخصومة الحزبية أوطمرتها المنافع الشخصية، أو قضت عليها الألاعيب السياسية والرشوة والحرام، كل هذه يجب أن تتوجه إليها الهمم من جديد. « إن الله يحبُ من أحدكم إذا عمل عملاً أن يُتقنه».

كم كنا نربح لو أن مشروع خزان أسوان تحقق فعلاً منذ سنة ١٩٣٧، وكم كنا نحتاج ونعرى لو لم يلهم الله طلعت حرب - عليه الرضوان - أن يتقدم بمشروعات (المحلة). هنالك مشروعات كثيرة درست وبحثت، ثم وضعت على الرف وطال عليها الأمد قبل الحرب، ولا موجب لهذا الإهمال، والضرورة قاسية والحاجة مُلحَّة، والأمر لا يحتمل التأخير.

انفضوا الغبار عن ملفات هذه المشروعات واستذكروها من جديد ونفذوا: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ١٠٥].

الصناعة

والتحول إلى الصناعة فوراً من روح الإسلام الذى يقول نبيه ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»، «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له». والذى أثنى كتابه على داود وسليمان بهذا التقدم الصناعى، وذكر لنا من دقائق الرقى فيه ما أعجز البشر، واستغل قوى الجن والشياطين.

حرام على الأمة التى تقرأ فى كتابها من الثناء على داود عليه السلام: ﴿وألنا له الحديد ۝ أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

وتقرأ ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ [الأنبياء: ٨٠] ثم لا يكون فيها مصنع للسلاح!! ثم تقرأ فى كتابها: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ۝ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].. ثم لا يكون فيها مسبك عظيم، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية.

ثم تقرأ: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد: ٢٥] ثم تهمل ما عندها من هذا المعدن هذا الإهمال، وهو من أجود الأنواع ويكفى العالم مائتى عام كما قدر الخبراء.

حرام هذا كله !!

○ نظام الملكيات فى مصر

عرضت فى الكلمة السابقة لبعض صور التطبيق التى تمليها علينا قواعد النظام الإسلامى الاقتصادى، وأعرض فى هذه الكلمة لبعض الصور التى تمليها هذه القواعد أيضاً فى صميم الإصلاح الاقتصادى القومى.

توجب علينا روح الإسلام الحنيف، وقواعده الأساسية فى الاقتصاد القومى، أن

تعيد النظر فى نظام الملكيات فى مصر، فنختصر الملكيات الكبيرة، ونعوِّض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع، ونشجع الملكيات الصغيرة، حتى يشعر الفقراء المعدمون بأنه قد أصبح لهم فى هذا الوطن ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه.. وأن نوزع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار كذلك حتى يكبروا.

ك) تنظيم الضرائب

وتوجب علينا روح الإسلام فى تشريعه الاقتصادى، أن نبادر بتنظيم الضرائب الاجتماعية، وأوَّلها الزكاة. وليس فى الدنيا تشريع فرض الضريبة على رأس المال لا على الربح وحده كالإسلام، وذلك لحكم جليلة منها: محاربة الكنز وحبس الأموال عن التداول، وما جعلت الأموال إلا وسيلة لهذا التداول الذى يستفيد من ورائه كل الذين يقع فى أيديهم هذا المال المتداول..

وإنما جعل الإسلام مصارف الزكاة اجتماعية بحتة، لتكون سببًا فى جبر النقص والقصور الذى لا تستطيع المشاعر الإنسانية والعواطف الطية أن تجبره، فيطهر بذلك المجتمع ويزكو، وتصفو النفوس وتسمو: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

فلابد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدى بحسب المال لا بحسب الربح يعفى منها الفقراء طبعًا، وتجبى من الأغنياء الموسرين وتنفق فى رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة. ومن لطائف عمر رضى الله عنه، أنه كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب لأنه فاكهة الأغنياء، والضريبة التى لا تذكر على التمر لأنه طعام الفقراء. فكان أول من لاحظ هذا المعنى الاجتماعى فى الحكام والأمراء رضى الله عنه.

ل) محاربة الربا

ويوجب علينا روح الإسلام أن نحارب الربا حالاً. ونحرمه ونقضى على كل تعامل على أساسه: «ألا وإن الربا موضوع، وأول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب» وصدق رسول الله ﷺ.

ولقد كان المصلحون يتجنبون أن يقولوا فى الماضى هذا الكلام حتى لا يقال لهم إن

ذلك مستحيل وعليه دولاب الاقتصاد العالمي كله. أما اليوم فقد أصبحت هذه الحجة واهية ساقطة لا قيمة لها بعد أن حرمت روسيا الربا وجعلته أفظع المنكرات في دارها، وحرام أن تسبقنا روسيا الشيوعية إلى هذه المنقبة الإسلامية، فالربا حرام.. حرام.. حرام، وأولى الناس بتحريمه أمم الإسلام ودول الإسلام.

○ تشجيع الصناعات المنزلية

وتوجب علينا روح الإسلام تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية، وهذا هو باب الإسعاف السريع لهذه العائلات المنكوبة، وباب التحول إلى الروح الصناعي والوضع الصناعي.. وأول ما تفعله هذه الأيدي العاطلة، الغزل والنسيج بالأنوال الصغيرة، وصناعة الصابون، وصناعة العطور والمربات، وأنواع كثيرة وصنوف كبيرة تستطيع النساء والبنات والأولاد أن يشغلوا الوقت فيها، فتعود بالربح الوفير، وتمنعهم بؤس الحاجة وذُل السؤال..

وقد رأينا هذا بأعيننا منذ زمن في فوه غربية، وبني عدي منفلوط، وغيرها من بلدان القطر المصري، ورأينا في هذه البلاد الثروة والغنى ويسر الحال. ولقد كانت وزارة الشئون قد فكرت في هذا المشروع الحيوي، واستحضرت أصنافًا من المغازل، ولا ندري ماذا فعل الله بها.. ويوم الحكومة بسنة كما يقولون، ولكن الأمر لم يعد يحتمل الانتظار.

○ تقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات

وإرشاد الشعب إلى التقليل من الكماليات والاكتفاء بالضروريات، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار، فتبطل هذه الحفلات الماجنة، ويحرم هذا الترف والإسراف الفاسد، وظهور الجسد بخشونته وعبوسته ووقاره وهيبته على الدور والقصور، والوجوه والمنتديات أمر يحتمه الإسلام الحنيف، وكل ذلك يحتاج إلى إعداد.

هذه كلها واجبات لابد أن ننهض بأعبائها حالاً... فإلى العمل.

* * *

فهنا نحن قد رأينا مما تقدم كيف أننا لم نسر على نظام اقتصادى معروف لا نظريًا ولا عمليًا، وأن هذا الغموض والارتجال قد أديا بنا إلى ضائقة أخذت بمخانق الناس جميعًا.

وليس الشأن أن نرتجل الحلول، ونواجه الظروف، بالمخدرات والمسكنات التى يكون لها من رد الفعل ما ينذر بأخطر العواقب، ولكن المهم فى أن ننظر إلى الأمور نظرة شاملة محيطة، وأن نردها إلى أصل ثابت تستند إليه، وترتكز عليه، وليس ذلك الأمر إلا (النظام الإسلامى) الشامل الدقيق، وفيه خير السداد.

لقد أتاح الله لنا من أسباب اليسر الاقتصادى، والنجاح المادى ما لم يتحه لغيرنا من الأمم والشعوب، فهذه الرابطة الوثيقة من اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ بيننا وبين أمم العروبة والإسلام، وهى بحمد الله أغنى بلاد الله فى أرضه، أخصبها تربة، وأعدلها جوًا، وأكثرها خيرات، وأثراها بالمواد الأولية وبالخامات من كل شىء.

هذه الرابطة، تمهد لنا - لو أحسنا الانتفاع بها - سبيل الاكتفاء الذاتى والاستقلال الاقتصادى، وتنقذنا من هذا التحكم الغربى فى التصدير والاستيراد وما إليهما.

ولا يكلفنا الأمر أكثر من أن نعزم ونقدم، ونقوى الصلة، ونحكم الرابطة، ونوالى البعثات والدراسات، ونحاول بكل سبيل إنشاء أسطول تجارى، ونشيع روح الوحدة والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الإسلام.

لقد صبر الشعب المصرى صبرًا طويلاً على هذه الحياة الجافية القاسية، وهذا الحرمان العجيب الذى لايصبر عليه آدمى إلا بمعجزة من معجزات الإيمان، ومن نظر إلى العامل المصرى والفلاح المصرى ومن إليهما من عامة الشعب المصرى، أخذه العجب مما يشاهد من فاقة وصبر.

لقد أخجلنى أحد الإخوان الهنود وقد قدم من انجلترا حديثًا، حين عاد من جولة قصيرة فى القاهرة، يقول لى: لقد كنا نظن أن ما تنشره الصحف فى انجلترا من سوء حالة الشعب المصرى، وانخفاض مستوى معيشته، مجرد دعاية يراد بها الحط من كرامته، ولكنى قضيت هذه الفترة القصيرة فى القاهرة وزرت بعض أحياء عامتها

فأسفت لما رأيت. فخجلت لقوله هذا، ولكننى رددت عن نفسى وعن الشعب بقولى له: سل هذه الجرائد التى تنشر، أليس هذا البؤس من مظالم الاحتلال؟.

وتألمت مرة ثانية حين وجه إلىّ مدير شركة أجنبى قوله: أأنت راضٍ عن حال هؤلاء العمال المساكين؟! ولكنى رددت عليه أيضًا: أولست تعلم أن السبب فى هذه المسكنة استئثار هذه الشركات وبخلها على هؤلاء العمال بما يوازى ضروريات الحياة؟!

إن الأمر جدٌّ لا هزل فيه، وقد بلغ غايته، ووصل إلى مداه، ولابد من علاج حاسم وسريع، ولن نجده كما قلت إلا فى طب الإسلام الحنيف وعلاجه.

فيا دولة رئيس الحكومة، ويا رؤساء الهيئات والجامعات، ويا من يعنيهم أمر الطمأنينة والسلام فى هذا الوطن...

تداركوا الأمر بحزم ... وعودوا إلى نظام الإسلام

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد.

حسن البنا

رسالة الجهاد

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه ومن جاهد فى سبيل شريعته إلى يوم الدين.

الجهاد فريضة على كل مسلم

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يلحقهم فى مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم فى جهادهم. ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية فى الدنيا والآخرة ما لم يمنح سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر فى الدنيا وعنوان الفوز والفلاح فى العقبى، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعد لهم فى الدنيا خزيًا لا يرفع إلا إن جاهدوا، وفى الآخرة عذابًا لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهبًا، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات.

ولست تجد نظامًا قديمًا أو حديثًا دينيًا أو مدنيًا، عنى بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة، وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق، كما تجد ذلك فى دين الإسلام وتعاليمه. وآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم ﷺ فياضة بكل هذه المعانى السامية، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات.

وسنورد لك طرفًا من ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقراء والحصر، وسوف لا نتناول شيئًا من الآيات والأحاديث بشرح أو تعليق طويل. فسترى فى جزالة ألفاظها ونصاعة بيانها، ووضوح معانيها وقوة الروحانية فيها ما يغنيك عن ذلك كله.

○ بعض آيات الجهاد فى كتاب الله

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :

١ - ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ومعنى كُتب: فرض. كمـا قال تعالى: ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ فى نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب.

٢ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦) ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (١٥٧) ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ [آل عمـران: ١٥٦- ١٥٨]. ومعنى ضربوا فـى الأرض خرجوا فـيها مـجاهدين، وغزّىً : غزاة محـاربين، وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحـمة للقتل أو الموت فى سـبيل الله فى الآية الأولى، وإلى خـلوِّ الآية الثانيـة من ذلك لخلوها من مـعنى الجهـاد، وفى الآية إشارة إلى أن الجبن من أخـلاق الكافرين لا المؤمنيـن، فانظر كيف انعكست الآية.

٣- ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الآيات آل عمران ١٦٩-١٧٥] فارجع إلى تمامها في المصحف.

٤ - ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [سورة النسـاء الآيات من ٧١ - ٧٨] فارجع إليـها فى المصحف الكريم لتـرى كيف يحض الله المسلمـين على الحذر، وممارسة القتال فى جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال، وكيف يوبخ القاعـدين والجبناء والمخلفين والنفـعيين، وكيف يسـتثير الهـمم لحماية الضعـفاء وتخليص المظلومين، وكيف يقـرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مـثلهما من

أركان الإسلام، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جرىء، مبينًا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولايظلمون فتيلاً من نفقة أو تضحية.

٥ - سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه، وبيان لكثير من أحكامه. ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيدًا حربيًا يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

٦ - سورة التوبة وكلها كذلك حث على القتال وبيانٌ لأحكامه، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى فى قتال المشركين الناكثين: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

وقوله تبارك وتعالى فى قتال أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. ثم إعلان النفير العام فى آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال، وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين فى قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا

كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ [التوبة: ٨١-٨٣].

ثم إشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم ﷺ وبيان أن هذه هي مهمته المطهرة، وسنة أصحابه الغر الميامين في قوله تعالى: ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ﴾

[التوبة: ٨٨]

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذراً لمعتذر في قوله تعالى: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة: ١١١]

٧ - سورة القتال، وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى (سورة القتال) في كتاب الله الحكيم، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران: الطاعة والنظام. وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه، فأما الطاعة ففي هذه السورة في قوله تعالى: ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم (٢٠) طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١]. وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ [الصف: ٤].

٨- سورة الفتح، وهي أيضا كلها في غزوة من غزوات رسول الله ﷺ وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز، تحت ظل الشجرة المباركة، حيث أعطيت بيعة الثبات والموت، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ﴾

[الفتح: ١٨، ١٩]

هذه يا أخى بعض المواضع التى ورد فيها ذكر الجهاد، وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من هذا الباب، تر العجب العجيب وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام الثواب.

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى ذلك:

○ نماذج من الأحاديث النبوية فى الجهاد

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول: «والذى نفسى بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله، والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» رواه البخارى ومسلم.

السرية: القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام.

٢- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لا يُكْلَمُ أحد فى سبيل الله والله أعلم من يُكْلَم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك».

الكلم: الجرح. ويكلم: يجرح.

٣- وعن أنس رضى الله عنه قال: غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدنى قتال المشركين لَيُرِيَنَّ اللهُ ما أصنع. فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بُن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنةَ وربِّ النضر إنى أجد ريحها من دون أُحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ..﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخر الآية، رواه البخارى.

من دون أحد : أى من جهة جبل أحد .

٤- وعن أم حارثة بنت سراقة، أنها أتت النبى ﷺ فقالت: «يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة- وكان قبل يوم بدر أصابه سهم غَرْبٌ - فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء. قال: يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» أخرجه البخارى .

السهم الغَرب : الذى لا يُعرف راميه.

اجتهدت عليه فى البكاء :بكيت بكاء شديداً.

فانظر يا أخى. كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره.

٥- وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» أخرجه الشيخان(١) وأبو داود .

٦- وعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازيًا فى سبيل الله تعالى فقد غزا، ومن خلف غازيًا فى سبيل الله بخير فقد غزا» رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى.

أى: له أجره .

٧- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرسًا فى سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة» رواه البخارى.

ومثل الفرس كل عدة فى سبيل الله .

٨- وعن أبى هريرة رضى الله عنه «قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: لا تستطيعونه ثم قال: مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد» الستة(٢) إلا أبو داود .

---

(١) البخارى ومسلم وهما أوثق كتابين فى الحديث.

(٢) كتب الحديث الستة هى: البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى وأبوداود .

٩- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ الا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوى بشىء منه» رواه النسائى.

لا يرعوى: أى لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر.

١٠- وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «عينان لا تطعمهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى» الترمذى.

١١- وعن ابن عميرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقتل فى سبيل الله أحب إلىّ من أن يكون لى أهل المدر والوبر» أخرجه النسائى.

أهل المدر والوبر: أى أهل الحواضر والبوادى.

١٢- وعن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة» أخرجه النسائى.

وهذه من امتيازات الشهيد فى الموقعة، وكم له من امتيازات كهذه ستأتى بعد..

١٣- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة» الترمذى والنسائى والدارمى، وقال الترمذى حسن غريب.

وهذا امتياز آخر للشهيد.

١٤- وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا فى سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه، فيقول الله للملائكة: انظروا إلى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشفقًا مما عندى حتى أريق دمه أشهدكم أنى قد غفرت له».

شفقًا: خوفًا. وأريق دمه: سال دمه.

١٥ - وعن عبد الخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ يقال لها أم خَلاَّد وهى متنقبة تسأل عن ابن لها قتل فى سبيل الله تعالى، فقال لها بعض أصحابه: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة. فقالت: إن أُرزأ ابنى فلن أُرزأ حيائى. فقال لها النبى ﷺ: «إن ابنك له أجرُ شهيدين» قالت ولم ؟ قال: «لأنه قتله أهل الكتاب» أخرجه أبو داود.

أرزأ ابنى : أفقده وأصاب فيه.

وفى هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب، وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم.

١٦ - وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» أخرجه الخمسة[١] إلا البخارى.

١٧ - وعن خُرَيم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة فى سبيل الله كُتِبَ له بسبعمائة ضعف» رواه الترمذى وحسنه، والنسائى.

١٨ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعْب فيه عيينة من ماء عذْبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشِّعب. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضلُ من صلاته فى بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا فى سبيل الله، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة» رواه الترمذى

عيينة : عين صغيرة تفيض بالماء.

١٩ - وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستُّ خصال: يغفر له فى أول دفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقربائه» رواه الترمذى وابن ماجه.

---

(١) عن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.

٢٠- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثُلمة» رواه الترمذى وابن ماجه.

٢١- وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تُصبه» رواه مسلم.

٢٢- وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من رابط ليلة فى سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها» رواه بن ماجه.

٢٣- وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «غزوة فى البحر مثل عشر غزوات فى البر والذى يسدر فى البحر كالمتشحِّط فى دمه فى سبيل الله سبحانه» رواه ابن ماجه.

يسدر: يميل ويهتز وترتج به السفينة.

وفيه الإشارة لغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها، ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة فى الجو فى سبيله أضعافًا مضاعفة.

٢٤- وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول: لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قلت: بلى، قال: ما كلَّم الله أحدًا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا فقال: يا عبدى تمنَّ علىَّ أعطك. قال يارب تحيينى فأُقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق منى أنهم إليها لا يُرجعون. قال: يارب فأبلغ مَنْ ورائى. فأنزل الله عز وجل هذه الآية. ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ١٦٩] رواه ابن ماجه.

٢٥- وعن أنس عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «لأن أشيِّع مجاهدًا فى سبيل الله فأكُفّه على رحله غدوة أو روحة أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها» رواه ابن ماجه.

فأكففه على رحله: فأساعده عليه. غدوة بالغدو وهو الصباح. روحة: فى الرواح وهو المساء.

٢٦- وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر» رواه مسلم .

٢٧- عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته» رواه أبو الدرداء.

٢٨- عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

٢٩- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. قال عمير بن الحمام: بَخٍ بَخٍ، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ. قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها. قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل» رواه مسلم.

٣٠- عن أبى عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر، وعلى أهل مصر عُقْبَة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقى بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصارى فقال: أيها الناس أنتم تتأوّلون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشرالأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فما زال أيوب شاخصًا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. رواه الترمذى.

ولاحظ يا أخى أن أبا أيوب حين يقول هذا كان فى سن كبيرة قد جاوزت الشباب والكهولة، ومع هذا فقلبه وروحه وإيمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الإسلام.

٣١- وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم وأبوداود ونظائره كثيرة.

والأحاديث الشريفة فى ذلك وأمثاله، وفى غزو البحر وتفضيله على غزو البر بمرات وفى غزو أهل الكتاب.

كذلك وفى تفصيل أحكام القتال، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير، وندلك على كتاب (العبرة فيما ورد عن الله ورسوله فى الغزو والجهاد والهجرة) للسيد حسن الصديق خان وهو خاص بذلك البحث، وكتاب (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) وما جاء فى كتب الحديث كلها فى باب الجهاد ترى الكثير الطيب.

حكم الجهاد عند فقهاء الأمة

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فى فضل الجهاد، وأحب أن أنقل إليك طرفاً مما قاله فقهاء المذاهب، حتى المتأخرين منهم فى أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد، لتعلم إلى أى حد ضيعت الأمة الإسلامية أحكام دينها فى قضية الجهاد بإجماع آراء المسلمين فى كل عصر من أعصارهم فاسمع:

١- قال صاحب (مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر) مقرراً أحكام الجهاد فى مذهب الأحناف: (الجهاد فى اللغة بذل ما فى الوسع من القول والفعل؛ وفى الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم، والمراد الاجتهاد فى تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين الذين هم أخبث الكفار، للنقض بعد الإقرار والباغين. بدءاً منا فرض كفاية، يعنى يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة، وإن لم يقاتلونا، فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية

إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب، فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين) ولقوله عليه الصلاة والسلام «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» وإن تركه الكل أثموا. . إلى أن قال: فإن غَلَبَ العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها فـفرض عين، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه.

وفى كتاب البحر: (امرأة مسلمة سُبِيَت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم) اهـ.

٢- وقال صاحب (بلغة السالك لأقرب المسالك فى مذهب الإمام مالك): الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقى، ويتعين (أى يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الإمام وبهجوم العدو عل محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولى والزوج والسيد ورب الدَّيْن إن كان مدينًا، ويتعين أيضًا بالنذر، وللوالدين المنع فى فرض الكفاية فقط، وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين. اهـ.

٣- وفى متن المنهاج للإمام النووى الشافعى: كان الجهاد فى عهد رسول الله ﷺ فرض كفاية وقيل عين، وأما بعده فللكفار حالان:

أحدهما - يكونون ببلادهم ففرض كفاية، إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين.

والثانى - يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن.

٤- وفى «المُغْنِى» لابن قدامة الحنبلى قال: مسألة - والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، ويتعين فى ثلاثة مواضع:

أ - إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام.

ب - إذا نزل الكفار ببلدة تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم .

ج - إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه .

وأقل ما يفعل مرة كل عام .

قال أبو عبد الله يعنى الإمام أحمد بن حنبل لا أعلم شيئًا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد، وغزوة البحر أفضل من غزوة البر . قال أنس بن مالك رضى الله عنه : «نام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت أم حرام: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة» متفق عليه، ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبى ﷺ أن يدعو الله لها لتكون من هؤلاء فدعا لها، فعمرت حتى ركبت البحر فى أسطول المسلمين الذى فتح جزيرة قبرص وماتت بها ودفنت فيها، وهناك مسجد ومشهد ينسب إليها رحمها الله ورضى عنها .

٥- وقال، فى (المحلى) لابن حزم الظاهرى: مسألة- والجهاد فرض على المسلمين، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم فى عقر دراهم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا قال الله تعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ [التوبة: ٤١] ولا يجوز إلا بإذن الأبوين، إلا أن ينزل العدوّ بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثًا لهم، أذن الأبوان أم لم يأذنا، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده، فلا يحل له ترك من يضيع منهما .

٦- وقال الشوكانى فى (السيل الجرار): الأدلة الواردة فى فَرضيَّة الجهاد كتابا وسنة أكثر من أن تكتب ها هنا، ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين . وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عَين على كل مكلف، وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعيَّن ذلك عليه .

فها أنت ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم، وتحكم فى شئونهم خصومهم

وتعطلت شعائر دينهم فى ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم. فوجب وجوبًا عينيًا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوى على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

ولعل من تمام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين فى أى عصر من عصورهم، قبل هذا العصر المظلم الذى ماتت فيه نخوتهم، لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم، فكانوا جميعًا على أهبة الاستعداد، كان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعًا فى أكثر أوقاته بالجهاد، وكان عبد الواحد بن زيد الصوفى كذلك، وكان شقيق البلخى شيخ الصوفية فى وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد.

وكان البدر العينى شارح البخارى الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة ويحج سنة. وكان القاضى أسد بن الفرات المالكى أميرًا للبحر فى وقته، وكان الإمام الشافعى يرمى عشرة ولا يخطئ.

كذلك كان السلف رضوان الله عليهم، فأين نحن من هذا التاريخ ؟

لماذا يقاتل المسلم ؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الإسلام بفرضية الجهاد وإباحة القتال، حتى تحققت الآية الكريمة: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت: ٥٣]. فها هم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام. فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضمانًا للسلم وأداء للرسالة الكبرى التى حمل عبئها المسلمون رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تبارك وتعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ [الأنفال: ٦١]

كان المسلم يخرج للقتال وفى نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هى العليا، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى؛ فحب الجاه عليه حرام، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام، والغلول من الغنيمة عليه

حرام، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للناس.

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية، فلما بلغنا المغار استحثثت فرسى فسبقت أصحابى، فتلقانى أهل الحى بالرنين، فقلت لهم: قولوا لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها، فلامنى أصحابى وقالوا: حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذى صنعت، فدعانى فحسن لى ما صنعت ثم قال لى: ألا إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر، وقال: أما إنى سأكتب لك بالوصاية بعدى، ففعل وختم عليه ودفعه إلى» أخرجه أبو داود.

وعن شداد بن الهادى رضى الله عنه: أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبى ﷺ، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه، فكانت غزاة غنم فيها النبى ﷺ شيئًا فقسم وقسم له. فقال: ما هذا؟ فقال قسمته لك. فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكنى اتبعتك على أن أُرْمى إلى ههنا- وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة. قال: إن تصدق الله يصدُقْك. فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبى محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبى ﷺ: أهو هو؟ قالوا: نعم. قال صدق الله فصدقه. ثم كفن فى جبة النبى ﷺ ثم قدَّمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فى سبيلك فقتل شهيدًا وأنا شهيد على ذلك». أخرجه النسائى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عَرضًا من الدنيا فقال: لا أجر له. فأعادها عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: لا أجر له» أخرجه أبو داود.

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميةً ويقاتل رياء، أى ذلك فى سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» أخرجه الخمسة.

وأنت إذا قرأت وقائع الصحابة رضوان الله عليهم ومسالكهم فى البلاد حتى

فتحوها، رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية، وهى إرشاد الخلق إلى الحق حتى تكون كلمة الله هى العليا، ورأيت مبلغ الخطأ فى اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلب على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق.

الرحمة فى الجهاد الإسلامى

لما كانت الغاية فى الجهاد الإسلامى أنبل الغايات، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل فقد حرَّم الله العدوان، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة.

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى، فهم فى حربهم خير محاربين كما أنهم فى سلمهم أفضل مسالمين.

عن بريدة رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولاتغلُّوا ولاتغدروا ولاتمثِّلوا ولاتقتلوا وليداً» رواه مسلم.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه» أخرجه الشيخان.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «أعفُّ الناس قتلة أهلُ الإيمان» أخرجه أبوداود.

وعن عبد الله بن يزيد الأنصارى رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النهب والمُثلة» أخرجه البخارى.

كما ورد النهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجراحى وإهاجة

الرهبان والمعتزلين ومن لا يقاتل من الآمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدينين الخانقة وفظائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل؟

اللهم فقه المسلمين في دينهم وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام.

○ ما يلحق بالجهاد

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهادًا أكبر هو جهاد النفس، وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد القلب أو جهاد النفس».

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله. فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح، قال أمير المؤمنين في حديث الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة.

وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر؛ على أنه لو صح فليس يعطي أبدًا الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها، فليعلم. وهناك أمور تلحق بالجهاد منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاء في الحديث: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

ولكن شيئًا منها لايوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يقتل أو يقتل في سبيل الله.

***

خاتمة

أيها الإخوان: إن الأمة التى تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة. وما الوهن الذى أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها فى سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيدًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

[آل عمران: ١٥٤]

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد فى سبيله.

حسن البنا

المرأة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

كتب إلىّ كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها، ورأى الإسلام فى ذلك، وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه.

ولست أجهل أهمية الكتابة فى موضوع كهذا، ولا أعلم شأن المرأة فى الأمة، فالمرأة نصف الشعب، بل هى النصف الذى يؤثر فى حياته أبلغ التأثير، لأنها المدرسة الأولى التى تُكون الأجيال وتصوغ الناشئة، وعلى الصورة التى يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة - وهى بعد ذلك المؤثر الأول فى حياة الشباب والرجال على السواء.

لست أجهل كل هذا، ولم يهمله الإسلام الحنيف وهو الذى جاء نوراً وهدى للناس ينظم شئون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس.. أجل لم يهمل الإسلام كل هذا، ولم يدع الناس يهيمون فيه فى كل واد، بل بين لهم الأمر بياناً لا يدع زيادة لمستزيد.

وليس المهم فى الحقيقة أن نعرف رأى الإسلام فى المرأة والرجل، وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر - فذاك أمر يكاد يكون معروفاً لكل الناس. ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوربى والانغماس فيه إلى الأذقان.

ولا يكفى بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس فى التقليد، بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالاً سيئاً يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجاً كاملاً. ويجعلها نظماً أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامى، وكثيراً من النصوص التى لا تتفق مع أهوائهم.

هذا خطر مضاعف فى الحقيقة، فهم لم يكفهم أن يخالفوا، حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة، ويصبغوها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يومًا من الأيام.

فالمهم الآن أن ننظر إلى الأحكام الإسلامية نظرًا خاليًا من الهوى، وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه، وبخاصة فى هذا الأمر الذى يعتبر أساسيًا وحيويًا فى نهضتنا الحاضرة.

وعلى هذا الأساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا، وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الإسلام فى هذه الناحية.

أولاً: الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل فى الحقوق والواجبات

وهذه قضية مفروغ منها تقريبًا، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختًا للرجل وشريكة له فى حياته، هى منه وهو منها ﴿بعضكم من بعض﴾ وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضًا، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب يشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه. والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه.

ثانيًا: التفريق بين الرجل والمرأة فى الحقوق إنما جاء تبعًا للفوارق الطبيعية التى لا مناص منها بين الرجل والمرأة، وتبعًا لاختلاف المهمة التى يقوم بها كل منهما، وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما:

وقد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة فى كثير من الظروف والأحوال ولم يسو بينهما تسوية كاملة، ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئًا من ناحية فإنه قد عوضها خيرًا منه فى ناحية أخرى[1]، أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشىء آخر. وهل يستطيع أحد كائنًا من كان أن يدعى أن تكوين المرأة الجسمانى والروحى كتكوين الرجل سواء بسواء..؟ وهل يستطيع أحد كائنًا من كان أن يدعى أن الدور الذى يجب أن تقوم به المرأة فى الحياة هو الدور الذى يجب أن يقوم به الرجل مادمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة..؟.

---

(١) فى الإرث جعل الإسلام نصيب المرأة نصف الرجل ولكنه كلف الرجل بالنفقة.

أعتقد أن التكوينين مختلفان، وأن المهمتين مختلفتان كذلك، وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافًا فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما، وهذا هو سر ماجاء فى الإسلام من فوارق بين المرأة والرجل فى الحقوق والوجبات.

ثالثًا: بين المرأة والرجل تجاذب فطرى قوى هو الأساس الأول للعلاقة بينهما، وأن الغاية منه قبل أن تكون المتعة رنا إليها، هى التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة

وقد أشار الإسلام إلى هذا الميل النفسانى وزكّاه وصرفه عن المعنى الحيوانى أجمل الصرف إلى معنى روحى يعظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاستمتاع البحت إلى صورة التعاون التام، ولنسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١]

هذه هى الأصول التى راعاها الإسلام وقررها فى نظرته إلى المرأة، وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلاً للتعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شئون الحياة.

والكلام عن المرأة فى المجتمع فى نظر الإسلام يتلخص فى هذه النقط:

أولاً: وجوب تهذيب المرأة

يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا. وفى الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦].

وفى الحديث الصحيح: «كلكم راع ومسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته» أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر. وعن ابن عباس رضى الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتا أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» رواه الترمذي واللفظ له وأبو داود إلا أنه قال: «فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة».

ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين والتاريخ - تاريخ السلف الصالح رجالاً ونساءً- وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادئ التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها، وفي حديث البخاري رضي الله عنه: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه في دين الله تبارك وتعالى.

أما المقالات في غير ذلك من العلوم التي لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته، فليست المرأة في حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد.

ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة.

وليست في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيراً.

وليست المرأة في حاجة إلى التبحر في دراسة الحقوق والقوانين، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس.

كان أبو العلاء المعري يوصي النساء فيقول:

علموهن الغزل والنسج والرد ن[1] وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ص[2] تجزئ عن يونس وبراءة

ونحن لانريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد مايريد أولئك المغالون المفرطون في

---

(١) حياكة الملابس

(٢) الفاتحة وقل هو الله أحد

تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات، ولكنا نقول: علموا المرأة ما هى فى حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التى خلقها الله لها: تدبير المنزل ورعاية الطفل.

- ثانيًا: التفريق بين المرأة وبين الرجل:

يرى الإسلام فى الاختلاط بين المرأة والرجل خطرًا محققًا، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، ولهذا فإن المجتمع الإسلامى مجتمع انفرادى لا مجتمع مشترك.

يقول دعاة الاختلاط إن فى ذلك حرمانًا للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الأنس التى يجدها كل منهما فى سكونه للآخر، والتى توجد شعورًا يستتبع كثيرًا من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطبع.. إلخ وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقًا أبدًا إلى الآخر، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير فى هذا الشأن ويجعله أمرًا عاديًا فى النفوس (وأحب شىء إلى الإنسان ما منعا) وما ملكته اليد زهدته النفس.

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان، ولا سيما وهى فكرة توافق أهواء النفوس، وتساير شهواتها، ونحن نقول لهؤلاء: مع أننا لا نسلم بما ذكرتم فى الأمر الأول، نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس، وتهدم البيوت، وشقاء الأسر، وبلاء الجريمة، وما يستلزم هذا الاختلاط من طراوة فى الأخلاق ولين فى الرجولة لا يقف عند حد الرقة، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة، وكل ذلك ملموس لا يمارى فيه إلا مكابر.

كل هذه الآثار السيئة التى تترتب على الاختلاط تربو ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرء المفسدة أولى، ولا سيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئًا بجانب هذا الفساد.

أما الأمر الثانى فغير صحيح، وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديمًا قيل: إن الطعام يقوى شهوة النهم، والرجل يعيش مع امرأته دهرًا، ويجد الميل إليها يتجدد فى نفسه، فما باله لا تكون صلته بها مذهبه لميله إليها، والمرأة التى تخالط الرجال تتفنن فى إبداء ضروب زينتها، ولا يرضيها إلا أن تثير فى نفوسهم الإعجاب بها، وهذا

أيضاً أثر اقتصادى من أسوأ الآثار التى يعقبها الاختلاط، وهو الإسراف فى الزينة والتبرج المؤدى إلى الإفلاس والخراب والفقر.

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا زوجى، وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن، ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد، واشترط له شروطًا شديدة: من البعد عن كل مظاهر الزينة، ومن ستر الجسم، ومن إحاطة الثياب به، فلا تصف ولا تشف ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما تكن الظروف وهكذا.

إن من أكبر الكبائر فى الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له. ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين فى هذا الاختلاط أخذًا قويًا محكمًا.

فالستر فى الملابس أدب من آدابه.

وتحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه.

وغض الطرف واجب من واجباته.

والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره.

والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده.

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهو أقرب الفتن إلى قلبها، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك.

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ

﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[النور: ٣١، ٣٠]

وفى سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

إلى آيات أخرى كثيرة.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يعنى عن ربه عز وجل: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه» رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة.

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم، أو ليكفن الله وجوهكم» روه الطبرانى.

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال» رواه ابن ماجه والحاكم.

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو[1] الموت» رواه البخارى ومسلم والترمذى. والمراد بدخول الأحماء على المرأة الخلوة بها، كما قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان».

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم» رواه البخارى ومسلم.

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقات من رجال الصحيح كذا قال الحافظ المنذرى.

وروى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل

(١) كل مَنْ كَانَ من قِبَلِ الزوج كالأخ والأب. ولفظ الحديث للبخارى.

خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له» رواه الطبرانى.

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا» وكذا يعنى: زانية. رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، ولفظهم: قال النبى ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية»: أى كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبِّهات من النساء بالرجال». رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى. وعنه: أن امرأة مرت على رسول الله ﷺ متقلدة قوسًا، فقال: «لعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال، والمُتَشَبِّهين من الرجال بالنساء».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «لعن الله الواشمات والمتوشمات[1] والمتنمصات[2] والمتفلجات[3] للحسن المُغَيِّرات خلق الله» فقالت له امرأة فى ذلك، قال: وما لى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو فى كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى.

وعن عائشة رضى الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعط[4] شعرها، فأرادوا أن يصلوها[5]، فسألوا النبى ﷺ فقال: «لعن الله الواصلة

---

(١) الوشم: هو الغرز بالإبرة ثم الذر عليها بالنؤور. انظر مختار الصحاح

(٢) المتنمصات: النائفات شعورهن للزينة.

(٣) المتفلجات: هى البارذات أسنانهن للتجميل.

(٤) تمعط شعرها: سقط

(٥) أى يصلوا شعرها.

والمستوصلة» وفى رواية: «أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبى ﷺ، فذكرت ذلك له وقالت: إن زوجها أمرنى أن أصل شعرها، فقال: لا، إنه قد لعن الموصلات» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أوابنها أو ذو محرم منها» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه. وفى رواية للبخارى ومسلم: «لا تسافر المرأة يومين من الدهر، إلا ومعها ذو محرم منها أوزوجها».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا» رواه مسلم وغيره.

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا، وأشار إلى وجهه وكفيه» رواه أبو داود وقال هذا مرسل، وخالد بن دريك لم يدرك عائشة.

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدى رضى الله عنه «أنها جاءت إلى النبىﷺ فقالت يا رسول الله: إنى أحب الصلاة معك. قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معى، وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك، وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى» فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلى فيه حتى لقيت ربها عز وجل. رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما.

وليس بعد هذا البيان بيان، ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الإسلام فى شىء، فهذا الاختلاط بيننا فى المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة، وهذا الخروج إلى الملاهى والمطاعم والحدائق، وهذا التبذل والتبرج الذى وصل إلى حد

التهتك والخلاعة، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة، ولقد كان لها فى حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار.

يقول كثير من الناس إن الإسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا، فأتونى بنص يحرم ذلك، ومثل هؤلاء من يقول: إن ضرب الوالدين جائز، لأن النهى عنه فى الآية أن يقال لهما (أُفٍّ) ولا نص على الضرب.

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها، ويحبب إليها الصلاة فى بيتها، ويعتبر النظرة سهمًا من سهام إبليس، وينكر عليها أن تحمل قوسًا متشبهة فى ذلك بالرجل، أفيقال بعد هذا إن الإسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة؟.

إن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هى المنزل والطفل، فهى كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسرى، وهى كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهى كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء، وأن تتفرغ لهذا البيت، فهى ربته ومدبرته وملكته. ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه..؟.

وإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجئ المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها، فإن من واجبها حينئذ هذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها، لا أن يكون هذا نظامًا عامًا، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه.

والكلام فى هذه الناحية أكثر من أن يحاط به، ولا سيما فى هذا العصر (الميكانيكى) الذى أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة.

وللإسلام بعد ذلك آداب كريمة فى حق الزوج على زوجه، والزوجة على زوجها، والوالدين على أبنائهما، والأبناء على والديهم، وما يجب أن يسود الأسرة من حب وتعاضد على الخير، وما يجب أن تقدمه للأمة من خدمات جليلة مما لو أخذ الناس بها لسعدوا فى الحياتين ولفازوا بالدارين.

حسن البنا

إلى الطلاب

ألقيت فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين

المحرم ١٣٥٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾

[النساء: ١٧٤، ١٧٥]

إلى العمل

أيها الإخوة

كلما وقفت هذا الموقف من جمهور يستمع، سألت الله فى إلحاح أن يقرب اليوم الذى ندع فيه ميدان الكلام إلى ميدان العمل، وميدان وضع الخطط والمناهج إلى ميدان الإنفاذ والتحقيق، فقد طال الوقت الذى قضيناه خطباء متكلمين، والزمن يطالبنا فى إلحاح بالأعمال الجدية المنتجة، والدنيا كلها تأخذ بأسباب القوة والاستعداد ونحن ما زلنا بعد فى دنيا الأقاويل والأحلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢-٤].

أيها الإخوة..

تحدث إليكم الإخوان فى شمول معنى الإسلام وإحاطته واستيعابه لكل مظاهر حياة الأمم، ناهضة أو مستقرة منشئة أو مستكملة، وعرض بعضهم لموقف الإسلام من الوطنية، فأظهركم على أن وطنية الإسلام هى أوسع الوطنية حدودًا، وأعمها وجودًا، وأسماها خلودًا، وأن أشد المتطرفين لوطنه المتعصبين لقومه لن يجد فى دعوة الوطنيين المجردين ما يلقاه من حماسة وطنية المؤمنين، ولست أفيض فى شرح ذلك بعد إذ عرضوا له، ولكنى سأعرض إلى ناحية واحدة كثر لغط الناس بها وكثر تبعًا لذلك غلطهم فيها، هى: (السياسة والإسلام).

قلما تجد إنسانًا يتحدث إليك عن السياسة والإسلام إلا وجدته يفصل بينهما فصلاً، ويضع كل واحد من المعنيين فى جانب، فهما عند الناس لا يلتقيان ولا يجتمعان ومن هنا سميت هذه جمعية إسلامية لا سياسية، وذلك اجتماع دينى لا سياسة فيه، ورأيت فى صدر قوانين الجمعيات الإسلامية ومناهجها (لا تتعرض الجمعية للشئون السياسية).

وقبل أن أعرض إلى هذه النظرية بتزكية أو تخطئة أحب أن ألفت النظر إلى أمرين مهمين:

أولهما: أن الفارق بعيد بين الحزبية والسياسة، وقد يجتمعان وقد يفترقان، فقد يكون الرجل سياسيًا بكل ما فى الكلمة من معان وهو لا يتصل بحزب ولا يمت إليه، وقد يكون حزبيًا ولا يدرى من أمر السياسة شيئًا، وقد يجمع بينهما فيكون سياسيًا حزبيًا أو حزبيًا سياسيًا على حد سواء، وأنا حين أتكلم عن السياسة فى هذه الكلمة فإنما أريد السياسة المطلقة، وهى النظر فى شئون الأمة الداخلية والخارجية غير مقيدة بالحزبية بحال.. هذا أمر.

والثانى: أن غير المسلمين حينما جهلوا هذا الإسلام، أو حينما أعياهم أمره وثباته فى نفوس أتباعه، ورسوخه فى قلوب المؤمنين به، واستعداد كل مسلم لتفديته بالنفس والمال، لم يحاولوا أن يجرحوا فى نفوس المسلمين اسم الإسلام ولا مظاهره وشكلياته، ولكنهم حاولوا أن يحصروا معناه فى دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية عملية، وإن تركت للمسلمين بعد ذلك قشوراً من الألقاب والأشكال والمظهريات لا تسمن ولا تغنى من جوع.. فأفهموا المسلمين أن الإسلام شىء والاجتماع شىء آخر، وأن الإسلام شىء والقانون شىء غيره، وأن الإسلام شىء ومسائل الاقتصاد لا تتصل به، وأن الإسلام شىء والثقافة العامة سواه، وأن الإسلام شىء يجب أن يكون بعيداً عن السياسة.

فحدثونى بربكم أيها الإخوان، إذا كان الإسلام شيئًا غير السياسة وغير الاجتماع، وغير الاقتصاد، وغير الثقافة، فما هو إذن؟.. أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر، أم هذه الألفاظ التى هى كما تقول رابعة العدوية: استغفار يحتاج إلى

استغفار، ألهذا أيها الإخوان نزل القرآن نظامًا كاملاً محكمًا مفصلاً ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

هذا المعنى المتضائل لفكرة الإسلام، وهذه الحدود الضيقة التى حدد بها معنى الإسلام. هى التى حاول خصوم الإسلام أن يحصروا فيها المسلمين، وأن يضحكوا عليهم بأن يقولوا لهم لقد تركنا لكم حرية الدين، وإن الدستور ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام.

○ الإسلام الشامل

أنا أعلن أيها الإخوان من فوق هذا المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة، أن الإسلام شيء غير هذا المعنى الذى أراد خصومه والأعداء من أبنائه أن يحصروه فيه ويقيدوه به، وأن الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وسماحة وقوة، وخلق ومادة، وثقافة وقانون. وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بكل شئون أمته، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وأعتقد أن أسلافنا رضوان الله عليهم ما فهموا للإسلام معنى غير هذا، فبه كانوا يحكمون، وله كان يجاهدون، وعلى قواعده كانوا يتعاملون، وفى حدوده كانوا يسيرون فى كل شأن من شئون الحياة الدنيا العملية قبل شئون الآخرة الروحية، ورحم الله الخليفة الأول إذ يقول: (لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله).

بعد هذا التحديد العام لمعنى الإسلام الشامل ولمعنى السياسة المجردة عن الحزبية، أستطيع أن أجهر فى صراحة بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًا، بعيد النظر فى شئون أمته، مهتمًا بها غيورًا عليها. وأستطيع كذلك أن أقول إن التحديد والتجريد أمر لا يقره الإسلام، وإن على كل جمعية إسلامية أن تضع فى رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هى نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام.

دعونى أيها الأخوة أسترسل معكم قليلاً فى تقرير هذا المعنى الذى يبدو مفاجأة غريبة على قوم تعودوا أن يسمعوا دائمًا نغمة التفريق بين الإسلام والسياسة، والذى قد يدع بعض الناس يقولون بعد انصرافنا من هذا الحفل: إن جماعة الإخوان المسلمين

قد تركت مبادئها، وخرجت على صفتها، وصارت جماعة سياسية بعد أن كانت جمعية دينية، ثم يذهب كل متأول فى ناحية من نواحى التأويل متلمسًا أسباب هذا الانقلاب فى نظره، وعلم الله أيها السادة أن الإخوان ما كانوا يومًا من الأيام غير سياسيين، ولن يكونوا يومًا من الأيام غير مسلمين، وما فرقت دعوتهم أبدًا بين السياسة والدين، ولن يراهم الناس فى ساعة من نهار حزبيين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ومحال أن يسيروا لغاية غير غايتهم أو يعملوا لفكرة سوى فكرتهم أو يتلونوا بلون غير الإسلام الحنيف ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

○ السياسة الداخلية

دعونى أيها الإخوة أسترسل معكم فى تقرير هذا المعنى، فأقول إن كان يراد بالسياسة معناها الداخلى من حيث تنظيم أمر الحكومة وبيان مهماتها وتفصيل حقوقها وواجباتها ومراقبة الحاكمين والإشراف عليهم ليُطاعوا إذا أحسنوا وينقدوا إذا أساءوا. فالإسلام قد عنى بهذه الناحية، ووضع لها القواعد والأصول، وفصل حقوق الحاكم والمحكوم، وبين مواقف الظالم والمظلوم، ووضع لكل حدًا لا يعدوه ولا يتجاوزه..

فالدساتير والقوانين المدنية والجنائية بفروعها المختلفة عرض لها الإسلام، ووضع نفسه منها بالموضع الذى يجعله أول مصادرها وأقدس منابعها. وهو حين فعل هذا إنما وضع الأصول الكلية، والقواعد العامة، والمقاصد الجامعة، وفرض على الناس تحقيقها، وترك لهم الجزئيات والتفاصيل يطبقونها بحسب ظروفهم وعصورهم، ويجتهدون فى ذلك ما وسعتهم المصلحة وواتاهم الاجتهاد.

وقد قرر الإسلام سلطة الأمة وأكدها وأوصى بأن يكون كل مسلم مشرفًا تمام الإشراف على تصرفات حكومته، يقدم لها النصح والمعونة ويناقشها الحساب، وهو كما فرض على الحاكم أن يعمل لمصلحة المحكومين بإحقاق الحق وإبطال الباطل فرض على المحكومين كذلك أن يسمعوا ويطيعوا للحاكم ما كان كذلك، فإذا انحرف فقد وجب عليهم أن يقوموه على الحق ويلزموه حدود القانون ويعيدوه إلى نصاب

العدالة، هذه تعاليم كلها من كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠]، إلى عشرات من الآيات الكريمة التى تناولت كل ما ذكرنا بالبيان والتفصيل.

ويقول رسول الله ﷺ فى تقرير سلطة الأمة وتقرير الرأى العام فيها: «الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم».. ويقول أيضًا: «إن من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، ويقول كذلك: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».. وإلى مئات الأحاديث التى تفصل هذا المعنى وتوضحه، وتوجب على المسلمين أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر، وأن يراقبوا حكامهم ويشرفوا على مبلغ احترامهم للحق وإنفاذهم لأحكام الله.

فهل كان رسول الله ﷺ حين يأمر بهذا التدخل، أو الإشراف أو التناصح، أو سمه ما شئت، وحين يحض عليه، ويبين أنه الدين وأنه الجهاد الأكبر، وأن جزاءه الشهادة العظمى.. يخالف تعاليم الإسلام فيخلط السياسة بالدين، أم أن هذه هى طبيعة الإسلام الذى بعث الله به نبيه ﷺ، وأننا فى الوقت الذى نعدل فيه بالإسلام عن هذا المعنى نصور لأنفسنا إسلامًا خاصًا غير الذى جاء به رسول الله ﷺ عن ربه.

لقد تقرر هذا المعنى الفسيح للإسلام الصحيح فى نفوس السلف الصالح لهذه الأمة، وخالط أرواحهم وعقولهم، وظهر فى كل أدوار حياتهم الاستقلالية قبل ظهور هذا الإسلام الاستعمارى الخانع الذليل.

ومن هنا أيها الإخوان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتكلمون فى نظم الحكم، ويجاهدون فى مناصرة الحق، ويحتملون عبء سياسة الأمة ويظهرون على الصفة التى وصفوا أنفسهم بها (رهبانٍ بالليل فرسان بالنهار) حتى كانت أم المؤمنين عائشة الصديقة تخطب الناس فى دقائق السياسة، وتصور لهم مواقف الحكومات فى بيان رائع وحجة قوية، ومن هنا كانت الكتيبة التى شقت عصا الطاعة على الحجاج وحاربته وعامر الشعبى وأضرابهما من فقهاء التابعين وجِلّة العلماء.

ومن هنا رأينا من مواقف الأئمة رضوان الله عليهم فى مناصحة الملوك ومواجهة الأمراء والحكام بالحق ما يضيق بذكر بعضه فضلاً عن كله هذا المقام.

ومن هنا كذلك كانت كتب الفقه الإسلامى قديمًا وحديثًا فيّاضة بأحكام الإمارة والقضاء والشهادة والدعاوى والبيوع والمعاملات والحدود والتعزيرات، وذلك إلى أن الإسلام أحكام عملية وروحية، إن قررتها السلطة التشريعية فإنما تقوم على حراستها وإنفاذها السلطة التنفيذية والقضائية، ولا قيمة لقول الخطيب كل جمعة على المنبر ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ [المائدة: ٩٠]، فى الوقت الذى يجيز فيه القانون السكر وتحمى الشرطة السكيرين وتقودهم إلى بيوتهم آمنين مطمئنين، ولهذا كانت تعاليم القرآن لا تنفك عن سطوة السلطان، ولهذا كانت السياسة الحكومية جزءًا من الدين، وكان من واجبات المسلم أن يعنى بعلاج الناحية الحكومية كما يعنى بعلاج الناحية الروحية.

وذلك موقف الإسلام من السياسة الداخلية.

السياسة الخارجية

فإن أُريد بالسياسة معناها الخارجى، وهو المحافظة على استقلال الأمة وحريتها، وإشعارها كرامتها وعزتها والسير بها إلى الأهداف التى تحتل بها مكانتها بين الأمم ومنزلتها الكريمة فى الشعوب والدول، وتخليصها من استبداد غيرها بها وتدخله فى شئونها، مع تحديد الصلة بينها وبين سواها تحديدًا يفصل حقوقها جميعًا، ويوجه الدول كلها إلى السلام العالمى العام وهو ما يسمونه (القانون الدولى).. فإن الإسلام قد عنى بذلك كل العناية وأفتى فيه بوضوح وجلاء، ألزم المسلمين أن يأخذوا بهذه

الأحكام فى السلم والحرب على السواء، ومن قصر فى ذلك، وأهمله فقد جهل الإسلام أو خرج عليه.

قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها للأمم فى آيات كثيرة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] وأكد قوامتها وأرشدها إلى طريق صيانتها وإلى ضرر تدخل غيرها فى شئونها بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩]، وأشار إلى مضار الاستعمار وسوء أثره فى الشعوب فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

ثم أوجب على الأمة المحافظة على هذه السيادة، وأمرها بإعداد العدة واستكمال القوة، حتى يسير الحق محفوظًا بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار الهداية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولم يغفل التحذير من سورة النصر ونشوة الاعتزاز وما تجلبه من مجانبة للعدالة وهضم للحقوق، فحذر المسلمين العدوان على أية حال فى قوله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ومن هنا أيها الإخوة رأينا أخلاّء المسجد، وأنضاء العبادة، حفظة الكتاب الكريم، بل وأبناء الربط والزوايا من السلف رضوان الله عليهم، لا يقنعون باستقلال بلادهم، ولا بعزة قومهم ولا بتحرير شعوبهم، ولكنهم ينسابون فى الأرض، ويسيحون فى آفاق البلاد فاتحين معلمين، يحررون الأمم كما تحرروا، ويهدونها بنور الله الذى

اهتدوا به، ويرشدونها إلى سعادة الدنيا ولا يغدرون ولا يعتدون، ولا يستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

ومن هنا رأينا عقبة بن نافع يخوض الأطلسى بلبة جواده قائلا: اللهم لو علمت وراء هذا البحر أرضًا لمضيت فى البلاد مجاهدًا فى سبيلك، فى الوقت الذى يكون فيه أبناء العباس الأشقاء قد دفن أحدهم بالطائف الى جوار مكة، والثانى بأرض الترك من أقصى الشرق، والثالث بأفريقيا من أقصى المغرب، جهادًا فى سبيل الله وابتغاءً لمرضاته. وهكذا فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان أن السياسة الخارجية من صميم الإسلام.

○ الحقوق الدولية

وأحب قبل أن أختم هذا الاسترسال أن أؤكد لحضراتكم تأكيدًا قاطعًا أن سياسة الإسلام داخلية أو خارجية تكفل تمام الكفالة حقوق غير المسلمين، سواء أكانت حقوقًا دولية أم كانت حقوقًا وطنية للأقليات غير المسلمة، وذلك لأن شرف الإسلام الدولى أقدس شرف عرفه التاريخ، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، ويقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] و يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولئن كانت إيطاليا المتمدنة قد غزت الحبشة حتى استولت عليها ولم تعلن عليها حربًا ولم تسبق إلى ذلك بإنذار، وحذت حذوها اليابان الراقية فهى تحارب الصين ولم تخطرها ولم تعلنها، فإن التاريخ لم يؤثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن صحابته أنهم قاتلوا قومًا أو غزوا قبيلاً دون أن يوجهوا الدعوة ويتقدموا بالإنذار وينبذوا إليه على سواء.

وقد كفل الإسلام حقوق الأقليات بنص قرآنى هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

كما أن هذه السياسة الإسلامية نفسها لا تنافى أبدًا الحكم الدستورى الشورى، وهى واضعة أصله ومرشدة الناس إليه فى قوله تعالى من أوصاف المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان ﷺ يشاور أصحابه وينزل على رأى الفرد منهم حتى وضح له صوابه كما فعل ذلك مع الحباب بن المنذر فى غزوة بدر، ويقول لأبى بكر وعمر: (لو اجتمعتما ما خالفتكما) وكذلك ترك عمر الأمر شورى بين المسلمين، ومازال المسلمون بخير ما كان أمرهم شورى بينهم.

○ سعة التشريع الإسلامى

كما أن تعاليم الإسلام وسياسته ليس فيها معنى رجعى أبدًا، بل هى على أدق قواعد التشريع الصالح، وقد اعترف التشريع لكثير منها - وسيكشف الزمن للناس من جلاله ما لم يعرفوا - بأنها قد سبقته فى دقة الأحكام وتصوير الأمور وسعة النظر، وشهد بذلك كثير من غير المسلمين كما ورد كثيرًا فى كتب المسيو لامبير وأضرابه، وأكدت ذلك مؤتمرات التشريع الدولية على أن الإسلام قد وضع من القواعد الكلية ما يترك للمسلم بابًا واسعًا فى الانتفاع بكل تشريع نافع مفيد لا يتعارض مع أصول الإسلام و مقاصده، وأثاب على الاجتهاد بشروطه، وقرر قاعدة المصالح المرسلة، واعتبر العرف، واحترم رأى الإمام. كل هذه القواعد تجعل التشريع الإسلامى فى الذروة السامية بين الشرائع والقوانين والأحكام.

هذه معان أحب أيها السادة أن تذيع بيننا وأن نذيعها فى الناس، فإن كثيرين لازالوا يفهمون من معنى النظام الإسلامى مالا يتفق بحال مع الحقيقة وهم لهذا ينفرون منه ويحاربون الدعوة إليه، ولو فقهوه على وجهه لرجعوا به ولكانوا من أوائل أنصاره وأشدهم تحمسًا له وأعلاهم صوتًا فى الدعوة إليه.

* * *

الحزبية السياسية

أيها الإخوة الكرام..

بقى للسياسة معنى آخر يؤسفنى أن أقول إنه وحده هو المعنى الذى يرادفها ويلازمها بغير حق فى أذهان كثير منا، ذلك هو (الحزبية) .

وأنا لى فى الحزبية السياسية آراء هى لى خاصة و لا أحب أن أفرضها على الناس فإن ذلك ليس لى و لا لأحد، ولكنى كذلك لا أحب أن أكتمها عنهم، وأرى أن واجب النصيحة للأمة - وخصوصًا فى مثل هذه الظروف - يدعونى إلى المجاهرة بها وعرضها على الناس فى وضوح وجلاء، وأحب كذلك أن يفهم جيدًا أنى حينما أتحدث عن الحزبية السياسية فليس معنى هذا أنى أعرض لحزب دون حزب، أو أرجح أحد الأحزاب على غيره، أو أنتقص أحدها وأزكى الآخر، ليس ذلك من مهمتى، ولكنى سأتناول المبدأ من حيث هو، و سأعرض للنتائج والآثار المترتبة عليه، وأدع الحكم على الأحزاب للتاريخ وللرأى العام والجزاء الحق لله وحده ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾

[آل عمران: ٣٠]

أعتقد أيها السادة، أن الحزبية السياسية إن جازت فى بعض الظروف فى بعض البلدان فهى لا تجوز فى كلها، وهى لا تجوز فى مصر أبدًا، وبخاصة فى هذا الوقت الذى نستفتح فيه عهدًا جديدًا، ونريد أن نبنى أمتنا بناءً قويًا يستلزم تعاون الجهود وتوافر القوى والانتفاع بكل المواهب، والاستقرار الكامل والتفرغ التام لنواحى الإصلاح. إن وراءنا فى الإصلاح الداخلى منهاجًا مطولاً، يجب أن نصرف كل الجهود إلى تحقيقه لإنقاذ هذا الشعب الدائم الحيوية، الجم النشاط، المجهز بكل وسائل التقدم، الذى لا ينقصه إلا القادة الصالحة والتوجيه القويم، حتى يتكون أصلح تكوين، يقضى على الضعف والفقر والجهل والرذيلة، وهى معاول الهدم وسوس النهضات، وليس هنا محل تفصيل هذا المنهاج فذلك له وقت آخر، وأنا أعلم أننا جميعًا نشعر بثقل وطأة الأعباء، وبالمجهودات العظيمة التى يجب أن تُبذل فى سبيل التنظيم الداخلى فى كل مظاهر الحياة.

وأعتقد كذلك أننا جربنا الوحدة مرتين، كانت كل واحدة منهما ألمع نجم فى تاريخ النهضة، أما أولاهما ففى فجر النهضة حينما برزت الأمة صفًا واحدًا متحدًا رائعًا تنادى بحقها وتطالب باستحقاقها فى اجتماع أفزع الغاصبين وروع المستعمرين ووهنت أمام سلطانه قوى الظالمين. وأما الثانى فحين تكوين الجبهة الوطنية التى خطت بنا خطوة مهما كانت قصيرة فهى إلى الأمام على كل حال. وجربنا التفرقة فى مرات كثيرة من قبل ومن بعد فما رأينا فيها إلا تمزيق الجهود، وإحباط الأعمال وإفساد الشئون، وإتلاف الأخلاق، وخراب البيوت، وتقطيع الأرحام، واستفادة الخصوم على حساب المختلفين المتنابزين.

○ الحزبية والتدخل

وأعتقد أيها السادة أن التدخل الأجنبى فى شئون الأمة، ليس له من باب إلا التدابر والخلاف وهذا النظام الحزبى البغيض، وأنه مهما انتصر أحد الفريقين فإن الخصوم بالمرصاد، يلوحون له بخصمه الآخر، ويقفون منهما موقف القرد من القطتين، ولايجنى الشعب من وراء ذلك إلا الخسارة من كرامته واستقلاله وأخلاقه ومصالحه.

إننا يا إخوان أمة لم نستكمل استقلالنا بعد استكمالاً تامًا، ولازلنا فى الميزان، ولا زالت المطامع تحيط بنا من كل مكان، ولا سياج لحماية هذا الاستقلال والقضاء على تلك المطامع إلا الوحدة والتكاتف.

وإذا جاز لبعض الأمم التى استكملت استقلالها وفرغت من تكوين نفسها أن تختلف وتتحزب فى فرعيات الأمور، فإن ذلك لا يجوز فى الأمم الناشئة أبدًا، على أننا نلاحظ أن الحوادث العالمية قد ألجأت الأمم جميعًا إلى التجرد من الحزبية مطلقًا، أوالإبقاء على حزبية صورية تقليدية مع الوحدة فى كل الاتجاهات.

○ لا أحزاب فى مصر

وأعتقد كذلك أن هذه الأحزاب المصرية الحالية أحزاب مصنوعة أكثر منها أحزاب حقيقية، وأن العامل فى وجودها شخصى أكثر منه وطنى، وأن المهمة والحوادث التى كونت هذه الأحزاب قد انتهت ويجب أن ينتهى هذا النظام بانتهائها.

لقد تكون الوفد المصرى من الأمة كلها للمطالبة بالاستقلال على أساس المفاوضة وتلك هى مهمته، ثم تفرع منه حزب الأحرار الدستوريين للخلاف فى أسلوب المفاوضات، وقد انتهت المفاوضة بأساليبها ونظمها وقواعدها فانتهت مهمتها بذلك. وتكون حزب الشعب لإيجاد نظام خاص ودستور خاص، وقد انتهى هذا الدستور وذلك النظام بأشكاله وأوضاعه فانتهت مهمته هو الآخر، وتكون حزب الاتحاد لموقف خاص بين السراى والأحزاب، لقد انتهت هذه الظروف جميعًا، وتجددت ظروف أخرى تستدعى مناهج وأعمالا، فلا معنى أبدًا لبقاء هذه الأحزاب، ولا معنى أبدًا للرجوع إلى الماضى، والمستقبل يلح علينا إلحاحًا صارخًا بالعمل والسير بأسرع ما يمكن من الخطوات.

○ الإسلام لا يقر الحزبية

وبعد هذا كله أعتقد أيها السادة أن الإسلام وهو دين الوحدة فى كل شىء، وهو دين سلامة الصدور، ونقاء القلوب، والإخاء الصحيح، والتعاون الصادق بين بنى الإنسان جميعًا فضلاً عن الأمة الواحدة والشعب الواحد، لا يقر نظام الحزبية ولا يرضاه، ولا يوافق عليه، والقرآن الكريم يقول: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول رسول الله ﷺ: «هل أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين».

وكل ما يستتبعه هذا النظام الحزبى، من تنابذ وتقاطع، وتدابر وبغضاء، يمقته الإسلام أشد المقت، ويحذر منه فى كثير من الأحاديث والآيات، وتفصيل ذلك يطول، وكل حضراتكم به عليم.

○ حرية الرأى

وفرق أيها الإخوان بين الحزبية التى شعارها الخلاف والانقسام فى الرأى والوجهة العامة وفى كل ما يتفرع منها، وبين حرية الآراء التى يبيحها الإسلام ويحض عليها، وبين تمحيص الأمور وبحث الشئون والاختلاف فيما يعرض تحريًا للحق، حتى إذا وضح نزل على حكمه الجميع، سواء أكان ذلك اتباعًا للأغلبية أو للإجماع، فلا تظهر الأمة إلا مجتمعة، ولا يرى القادة إلا متفقين.

أيها الإخوان: لقد آن أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية فى مصر، وأن يستبدل به نظام تجتمع به الكلمة وتتوحد به جهود الأمة حول منهاج إسلامى صالح تتوافر على وضعه وإنفاذه القوى والجهود.

هذه نظرات يرى الإخوان المسلمون أن واجبهم الإسلامى أولاً والوطنى ثانيًا والإنسانى ثالثًا يفرض عليهم فرضًا لا مناص منه أن يجهروا بها وأن يعرضوها على الناس، فى إيمانٍ عميق وبرهانٍ وثيق، معتقدين أن تحقيقها هو السبيل الوحيد لتدعيم النهضة على أفضل القواعد والأصول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال: ٢٤]

حسن البنا

* * *

خاتمة

وبعد أيها الإخوان، فهذه نظرات سيضحك لها كثير من الناس حين يستمعون إليها، أولئك هم الذين يئسوا من أنفسهم وغفلوا عن تأييد الله لعباده المؤمنين، وجهلوا أن هذا الذى تجهرون به اليوم ليس شيئًا جديدًا ولكنه دعوة الإسلام التى جاء بها رسول الله ﷺ وجاهد فى سبيلها وعمل لها أصحابه من بعده، والتى يجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه أن يعمل لها كما عملوا ويجاهد فى سبيلها كما جاهدوا.

أما أنتم أيها الإخوان فتؤمنون بذلك كله، وتعتقدون أن الله غالب على أمره، وأن معكم على ذلك البرهان العلمى والتطور التاريخى والوضع الجغرافى والتأييد الربانى، وتجدون البشرى فى قول رب العالمين ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، واعلموا أن الله معكم، ولا أطيل عليكم فى بيان واجبكم فإنكم لتعلمونه، فآمنوا وأخلصوا واعملوا وانتظروا ساعة الفوز وترقبوا وقت الانتصار. ولله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته

حسن البنا

***

المؤتمر السادس

المنعقد فى يناير ١٩٤١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد إمام المجاهدين وعلى آله وصحبه وسلم ومن جاهد فى سبيل دعوته الى يوم الدين.

من هم الإخوان المسلمون؟

أيها الإخوان المسلمون..

بعد عامين من مؤتمركم الماضى بدار آل لطف الله (فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ١٣٥٧ هجرية) دار فيهما الفلك دورته، ورأى العالم فيهما مختلف الأحداث والظروف، وانفجر أخيراً (مخزون البارود)، ودوّى على الأرض من جديد نفير الحرب بعد أن زعم أهلوها أنهم قد أقروا فيها السلام، تجتمعون الآن - أيها الإخوان - لتراجعوا صفحة أعمالكم، ولتتبينوا مراحل منهاجكم، ولتتحدثوا إلى أنفسكم وإلى الناس عن دعوتكم من جديد، لعل فى ذلك تبصرة وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

أيها الإخوان المجاهدون الذين اجتمعتم الليلة من أقصى مصر المباركة إلى أقصاها..

أحب أن تتبينوا جيداً من أنتم فى أهل هذا العصر؟.. وما دعوتكم بين الدعوات.. وأية جماعة جماعتكم.. ولأىّ معنى جمع الله بينكم ووحّد قلوبكم ووجهتكم، وأظهر فكرتكم فى هذا الوقت العصيب الذى تتلهف فيه الدنيا إلى دعوة السلام والإنقاذ.

فاذكروا جيداً أيها الإخوة.. أنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، وأنكم العقل الجديد الذى يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل فى وقت التبس عليها فيه الحق بالباطل، وأنكم دعاة الإسلام، وحملة القرآن، وصلة الأرض بالسماء، وورثة محمد ﷺ وخلفاء صحابته من بعده، وبهذا فَضُلَتْ دعوتكم الدعوات، وسمت غايتكم على الغايات، واستندتم إلى ركن شديد، واستمسكتم

بعروة وثقى لا انفصام لهـا، وأخذتم بنور مـبين وقد التبست على النـاس المسالك وضلوا سواء السبيل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].

○ تجرد

واذكروا جيدًا أيها الإخوان أنه مـا من رجل منكم -أو من إخوانكم الذين حبسهم العذر عن حضـور مؤتمركم- يرجو بمناصرة هذه الدعوة والعمل تحت رايتـها غاية من غايات الدنيا أو عرضًا من أعراضها، وأنكم تبذلون من ذات أنفسكم وذات يدكم، لا تعتـمدون إلا على الله، ولا تستمـدون المعونة والتأيـيد إلا منه، ولا ترجون إلا ثوابه ولا تبتغون إلا وجهه، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

○ فهم

واذكروا جيدًا أيها الإخـوان . . أن الله قد مَنَّ عليكم، ففهمتم الإسلام فـهمًا نقيًا صافـيًا، سهلاً شـاملا كافـيًا وافيًا، يسـاير العصور ويفى بحـاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيدًا عن جمود الجامدين وتحلل الإباحيين وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمدًا من كتـاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين استمدادًا منطقـيًا منصـفًا، بقلب المؤمن الصـادق، وعقل الرياضى الـدقيق، وعـرفتمـوه على وجهـه: عقـيدة وعـبادة، ووطن وجنس، وخـلق ومادة، وسـماحـة وقوة، وثقـافة وقانون. واعتقـدتموه على حقيقته: دين ودولة، وحكومة وأمـة، ومصحف وسيف، وخلافـة من الله للمسلمـين فى أمم الأرض أجمـعين ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

○ أخـوّة

واذكروا جيدًا أيهـا الإخوان أن كل شعبة من شعبكم وحدة مـتصلة الروح مؤتلفة القلوب، جمـعتهـا الغاية السـامية على هدف واحـد وأمل واحد وألم واحد وجـهاد واحد، وأن هذه الوحدات المؤتلفة يرتبط بعضها بـبعض ويتصل بعضها ببعض ويحن بعضها إلى بعض ويقدر بعضها بعضًا، وتشعر كل واحدة منها أنها لا تتم إلا بأخواتها ولا تكمُل أخواتُها إلا بها، كلبنات البـناء المرصوص يشد بعضه بعضا، وأنها جـميعًا بمركزها العـام أوثق ارتباط وأسماه وأعـلاه، روحيًا وإداريًا وعمليًـا ومظهريًا، وتدور

حوله كما تدور المجموعة المتماسكة من الكواكب المنيرة حول محورها الجاذب وأصلها الثابت، لتتحقق بذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

○ جهاد

واذكروا جيداً أيها الإخوة أن الله تبارك وتعالى قد بارك جهادكم ونشر فكرتكم وجمع القلوب عليكم، فلا يمر يوم حتى تتكون لكم شُعب ويتنصر لمبادئكم عدد غير قليل ممن كانوا يجهلونها أو ييأسون من نجاحها أو يتبرمون بها أو يكيدون لها، وبذلك وصلت دعوتكم إلى مختلف الطبقات، وتغلغلت فى المجتمعات، ووجدت الأتباع والأنصار فى كل الأوساط والبيئات:

- آلاف من الشباب المؤمن مستعدون للعمل والجهاد فى سبيل الإصلاح الحق.
- دُور فى كل مكان مجهّزة للدعوة والإرشاد والتوجيه الصالح.
- فِرَق منظمة تزاول الرياضة البدنية والروحية بلذة وشغف وسرور.
- شُعَب منبثة فى القرى والكفور والنجوع والمدن والحواضر تربو على الخمسمائة تتعاون وتتكاتف وتتسابق فى الخيرات.
- ألسِنَة وأقلام مفصحة مبينة تكشف للناس عن جمال الإسلام وروعة الإسلام وحقائق الإسلام.
- بعثات مستمرة تنفر فى سبيل الله لتتفقَّه فى الدين ولتعلمه الناس.

هذه بعض آثار جهادكم أيها الإخوان ترونها واضحة تتضاعف وتزداد ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

○ تضحية

واذكروا جيداً أيها الإخوة أن دعوتكم أعفُّ الدعوات، وأن جماعتكم أشرف الجماعات، وأن مواردكم من جيوبكم لا من جيوب غيركم، ونفقات دعوتكم من قوت أولادكم، ومخصصات بيوتكم، وأن أحداً من الناس، أو هيئة من الهيئات، أو حكومة من الحكومات، أو دولة من الدول.. لا تستطيع أن تجد لها فى ذلك مِنَّة

عليكم، وما ذلك بكثير على دعوة أقل ما يطلب من أهلها النفس والمال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

إخلاص

اذكروا هذا جيدًا - أيها الإخوان - لا للفخر ولا للمباهاة، ولكن لتعلموا أن الله قد كتب لدعوتكم من الإيمان والإخلاص والفهم والوحدة والتأييد والتضحية ما لم يكتبه لكثير من الدعوات الرائجة السوق، العالية البوق، الفخمة المظاهر، وتلك الصفات هى دعائم الدعوات الصالحة. فاجتهدوا أن تحرصوا عليها كاملة، وأن تزيدوها فى أنفسكم ثباتًا وقوة، واعلموا أنه ليس لكم فى ذلك فضل ولا منّة ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

* * *

هل نحن قوم غامضون؟

أيها الإخوان المسلمون..

بعد اثنى عشر عامًا مضت وأنتم تجهرون بدعوتكم وتبلغونها للناس، لا زال هناك فريق يتساءل عن الإخوان المسلمين، ويراهم أمامه جماعة غامضة، فهل أنتم قوم غامضون؟ وسأجيب على هذا السؤال بصراحة ووضوح، وسأتكلم عن غاية الإخوان المسلمين، وعن وسيلتهم وعن موقفهم من الهيئات المختلفة، وعن موقفهم فى هذه الظروف الحاضرة التى تظلل الناس حوادثُها. والكثير منكم أحاط بذلك علمًا، وقد سبق لنا أن فصّلناه فى رسائل الإخوان وكتاباتهم ومحاضراتهم، وإنما نذكر ذلك الآن فى إيجاز تذكرة للغافل وتعليمًا لمن لم يكن يعلم.

○ غاية الإخوان المسلمين

يعمل الإخوان المسلمون لغايتين: غاية قريبة يبدو هدفها وتظهر ثمرتها لأول يوم ينضم فيه الفرد إلى الجماعة، أو تظهر الجماعة الإخوانية فيه فى ميدان العمل العام، وغاية بعيدة لابد فيها من ترقب الفرص وانتظار الزمن وحسن الإعداد وسبق التكوين.

فأما الغاية الأولى فهى المساهمة فى الخير العام أيًا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف.

يتصل الأخ بالإخوان، فيكون مطالبًا بتطهير نفسه وتقويم مسلكه وإعداد روحه وعقله وجسمه للجهاد الطويل الذى ينتظره فى مستقبل الأيام، ثم هو مطالب بأن يشيع هذه الروح فى أسرته وأصدقائه وبيئته، فلا يكون أخًا مسلمًا حقًا حتى يطبق على نفسه أحكام الإسلام وأخلاق الإسلام، ويقف عند حدود الأمر والنهى التى جاء بها رسول الله ﷺ عن ربه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وتكوّن الجماعة من جماعات الإخوان، فتتخذ دارًا وتعمل على تعليم الأميّين وتلقين الناس أحكام الدين، وتقوم بالوعظ والإرشاد والإصلاح بين المتخاصمين،

والتصدق على المحتاجين، وإقامة المنشآت النافعة من مدارس ومعاهد ومستوصفات ومساجد فى حدود مقدرتها والظروف التى تحيط بها، وكثير من شُعب الإخوان ينهض بهذه الواجبات ويؤدّيها على حالة مرضية من حسن الأداء.

فهل هذا هو ما يريده الإخوان المسلمون ويجهزون أنفسهم له ويأخذونها به؟..

لا أيها الإخوان، ليس هذا كل ما نريد، هو بعض ما نريد ابتغاء مرضاة الله.. هو الهدف الأول القريب، هو صرف الوقت فى طاعة وخير حتى يجىء الظرف المناسب وتحين ساعة العمل للإصلاح الشامل المنشود.

أما غاية الإخوان الأساسية.. أما هدف الإخوان الأسمى، أما الإصلاح الذى يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم.. فهو إصلاح شامل كامل تتعاون عليه الأمة جميعًا وتتجه نحوه الأمة جميعًا ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل.

إن الإخوان المسلمين يهتفون بدعوة، ويؤمنون بمنهاج ويناصرون عقيدة، ويعملون فى سبيل إرشاد الناس إلى نظام اجتماعى يتناول شئون الحياة جميعًا اسمه (الإسلام) نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون به من المنذرين بلسان عربى مبين، ويريدون بعث الأمة الإسلامية النموذجية التى تدين بالإسلام الحق، فيكون لها هاديًا وإمامًا، وتُعرف فى الناس بأنها دولة القرآن التى تصطبغ به والتى تذود عنه والتى تدعو إليه والتى تجاهد فى سبيله وتضحى فى هذا السبيل بالنفوس والأموال.

لقد جاء الإسلام نظامًا وإمامًا، دينا ودولة، تشريعًا وتنفيذًا، فبقى النظام وزال الإمام، واستمر الدين وضاعت الدولة، وازدهر التشريع وذوى التنفيذ. أليس هذا الواقع أيها الإخوان! وإلا فأين الحكم بما أنزل الله فى الدماء والأموال والأعراض؟ والله تبارك وتعالى يقول لنبيه: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠]

والإخوان المسلمون يعملون ليتأيد النظام بالحكام، ولتحيا من جديد دولة الإسلام، ولتشمل بالنفاذ هذه الأحكام، ولتقوم فى الناس حكومة مسلمة، تؤيدها أمة مسلمة،

تنظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله بها نبيه ﷺ في كتابه حيث قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

○ بعض نتائج فساد النظام الاجتماعي في مصر

أيها الإخوان:

إننا في أخصب بقاع الأرض وأعذبها ماءً، وأعدلها هواء، وأيسرها رزقًا، وأكثرها خيرًا، وأوسطها دارًا وأقدمها مدينة وحضارة وعلمًا ومعرفة، وأحفلها بآثار العمران الروحي والمادي والعملي والفني، وفي بلدنا المواد الأولية والخامات الصناعية والخيرات الزراعية وكل ما تحتاج إليه قومية تريد أن تستغني بنفسها وأن تسوق الخير إلى غيرها، وما من أجنبي هبط هذا البلد الأمين إلا صح بعد مرض واغتنى بعد فاقة وعزّ بعد ذلة وأترف بعد البؤس والشقاء. فماذا أفاد المصريون أنفسهم من ذلك كله؟ لا شيء. وهل ينتشر الفقر والجهل والمرض والضعف في بلد متمدن كما ينتشر في مصر الغنية مهد الحضارة والعلوم وزعيمة أقطار الشرق غير مدافعة؟!.

إليكم أيها الإخوان بعض الأرقام[1] التي تنطق بما يهددنا من أخطار اجتماعية ماحقة ساحقة إن لم يتداركنا الله فيها برحمته فسيكون لها أفدح النتائج وأفظع الآثار:

١- الفلاحون في مصر يبلغون ثمانية ملايين، والأرض المنزرعة نحو ستة ملايين من الأفدنة، وعلى هذا الاعتبار يخص الفرد الواحد نحو ثلثي فدان.

فإذا لاحظنا إلى جانب هذا أن الأرض المصرية تفقد خواصها لضعف المصارف وكثرة الإجهاد، وأنها لهذا السبب تأخذ من السماد الصناعي أضعاف غيرها من الأرض التي تقل عنها خصوبة، وأن عدد السكان يتكاثر سريعًا، وأن التوزيع في هذه الأرض يجعل من هذا العدد أربعة ملايين لا يملكون ومليونين لا يزيد ملكهم عن نصف فدان، ومعظم الباقي لا يزيد ملكه عن خمسة أفدنة، علمنا مبلغ الفقر الذي يعانيه الفلاحون المصريون ودرجة انحطاط مستوى المعيشة بينهم درجة ترعب وتخيف.

إن أربعة ملايين من المصريين لا يحصل أحدهم على ثمانين قرشًا في الشهر إلا

---

(١) الأرقام الواردة في هذه الفقرة وما يليها حسب الإحصائيات الثابتة حين ألقي هذا الخطاب سنة ١٩٤١.

بشق النفس، فإذا فرضنا أنّ له زوجة وثلاثة أولاد وهو متوسط ما يكون عليه الحال في الريف المصرى بل فى الأسر المصرية عامة، كان متوسط ما يخص الفرد فى العام جنيهين، وهو أقل بكثير مما يعيش به الحمار، فإن الحمار يتكلف على صاحبه (١٤٠قرشًا خمس فدان برسيم و٣٠ قرشًا حملاً ونصف الحمل من التبن و١٥٠ قرشًا أردب فول و٢٠قرشًا أربعة قراريط عفش ذرة ومجموعها ٣٤٠قرشًا) وهو ضعف ما يعيش به الفرد من هؤلاء الآدميين فى مصر، وبذلك يكون أربعة ملايين مصرى يعيشون أقل من عيشة الحيوان.

ثم إذا نظرت إلى طبقة الملاك الكبار وجدتهم مكبلين بالديون أذلاء للمحاكم والبنوك.

إنّ البنك العقارى وحده يحوز من الرهون قريبًا من نصف مليون فدان، ويبلغ دينه على الملاك المصريين ١٧مليونًا من الجنيهات إلى أكتوبر سنة ١٩٣٦، وهذا بنك واحد.

وقد بلغ ثمن ما نزعت ملكيته للديون من الأرض والمنازل فى سنة ١٩٣٩ (٣٤٦,٢٥٦جنيهًا) فعلى أى شيء تدل هذه الأرقام؟.

٢- العمال فى مصر يبلغون (٥,٧١٨,١٢٧) أى نحواً من ستة ملايين عامل، يشكو التعطل (٥١١,١١٩) أى أكثر من نصف مليون لا يجدون شيئًا، وهناك الجيوش من حملة الشهادات العاطلين.

فكيف يشعر إنسان هذه حاله بكرامته الإنسانية أو يعرف معنى العاطفة القومية والوطنية وهو فى بلد لا يستطيع أن يجد القوت، ولقد استعاذ النبى ﷺ من الفقر، وقديمًا قيل: يكاد الفقر أن يكون كفراً؛ فضلاً عن أن المشتغلين من العمال مهددون باستغلال أصحاب رأس المال وضعف الأجور والإرهاق فى العمل، ولم تصدر الحكومات بعد التشريع الكافى لحماية هؤلاء البائسين. وقد ضاعفت حالة الحرب القائمة هذا العدد من المتعطلين وزادت العاملين منهم بؤسًا على بؤسهم.

٣- شركات الاحتكار فى مصر قد وضعت يدها على مرافق الحياة والمنافع العامة، فالنور والمياه والملح والنقل ونحوها كلها فى يد هذه الشركات التى لا ترقب فى

مصرى إلاً ولا ذمَّة، والتى تحقق أفحش الأرباح وتضــن حتى باستخدام المصريين فى أعمالها.

لقد بلغت أرباح شـركات المياه بالقاهرة منذ تأسـست فى ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٩٣٣ عشرين مليونًا من الجنيهات، وقد بـلغ التفريط والتهاون بالحكومة المصرية أن باعت حصتهـا فى أرباح الشركة فى عهد وزارة رياض باشـا (وكان ناظر الأشغال حينذاك محمد زكى باشا) بمبلغ ٢٠ ألفًا من الجنيهات مع أن حصتها فى صافى الربح من تاريخ البيع وهو ١٠يوليو ١٨٨٩ إلى سنة ١٩٣٤ فـقط مبلغ مليونين ونصف من الجنيهات.

إن فى مصر ٣٢٠ شركة أجنبية تستغل جميع مرافق الحياة، وقد بلغت أرباحها فى سنة ١٩٣٨ الماضـية (٧,٦٣٧,٤٨٢ جنيـهًـا) كلها من دم المـصريين الذين لا يجـد نصـفـهم القـوت. ولقـد ربحت شـركـة مـيـاه الإسكنـدرية وحـدها سنة ١٩٣٨ (١٢٢,٨٥٠جنيهًـا) وهذه الشركات جـميعًـا تخالف نصوص العـقود فى كثـير من التصرفات ثم لا يكون التصـرف معها إلا متراخيًا ضعيـفًا يفوِّت الفائدة على الحكومة والجمهور معًا.

ولعل من الظريف المبكى أن نقـول إن عدد الشركات المـصرية إلى سنة ١٩٣٨ بلغ إحدى عشرة شركة فقط مقابل ٣٢٠ شركة أجنبية.

٤- لقد اسـتقبلت العيادات الحكوميـة سنة ١٩٣٤(٧,٢٤١,٣٨٣) مريضًا، منهم مليون بالبلهـارسيا، وأكثر من نصف مـليون بالانكلـستوما، ومليـون ونصف بالرمد، وفى مصـر ٩٠٪ مـريض بالرمد والطفيليات، وفـيها ٥٥,٥٧٥ من فاقـدى البصر، ويكشف لنا الكشف الطبى فى المـدارس والمعاهد والجامـعة- ومنهـا الكلية الحـربية- حقـائق عجيـبة عن ضعف بنيـة الطلاب وهم زهرة شباب الأمـة، وكل ذلك فى أمة علَّمها نبيُّها أن تسأل الله أن يعافيها فى أبدانها وفى سمعها وفى بصرها.

٥- إن مصر بعد هذا الجهـاد الطويل لازالت بها آلاف كثيرة ممن لا يخط الألف، ولا يزال عدد المتعلمين فيهـا لا يجاور الخمس (٢٠٪) من بينهم تلامـيذ المدارس الإلزامـية الذين لا يحـسنون شـيئًـا، وكثـير منهـم لم يجاوز شـهادة إتمام الدراسـة

الابتدائية، حتى الذين تعلموا تعليمًا عاليًا لا تنقطع الشكوى من أن مؤهلاتهم العلمية لا تمكنهم من النجاح الكامل فى الحياة العملية، وتتردد هذه الشكوى على لسان وزراء المعارف ورؤساء دوائر الأعمال وغيرهم.

٦- وقد انحط مستوى الخلق انحطاطًا عجيبًا، فقد بلغ عدد الذين حوكموا بجرائم تخالف القانون فى سنة ١٩٣٨ أكثر من مليون مصرى ومصرية، دخل منهم السجن زهاء مائة ألف أو يزيدون، عدا من لم تصل إليهم يد القضاء ولم تعرف جرائمهم بعد.

هذا مع جرأة كثير من الشبان وغير الشبان على المخالفات الدينية التى لا يؤاخذ عليها القانون الوضعى كشرب الخمر والإقبال على القمار واليانصيب والسباق ونحوها، والعبث وما إليه مما لايحصيه العد، بدون خشية ولاحياء.

٧- ومع أننا فقدنا مقومات الحياة المادية من العلم الدنيوى النافع ومن الثروة والمال ومن القوة الصحية، فهل أبقينا على شىء من قوانا الروحية؟ كلا.. كلا..

كم من المصريين يؤمن بالله حق الإيمان، ويعتمد عليه حق الاعتماد؟ وكم منهم بكرامته القومية وعزته الإسلامية؟ وكم منهم يؤدى الصلوات؟ كم من هؤلاء المؤدين يقيمها على وجهها ويعرف أحكامها وأسرارها؟ وكم منهم يؤدى الزكاة ويتحرى بها مصارفها والغاية منها؟ وكم منهم يخشى الله ويتقيه ويبتعد عن المعصية ويتجنب كبائر الإثم والفواحش؟.

يجيبنا الواقع المشاهد عن الأسئلة جميعًا جوابًا يؤلم ويحزن ويحز فى نفس كل مؤمن غيور.

○ الداء والدواء

أيها الإخوان.. هذه لغة الأرقام، وهذا قليل من كثير من مظاهر البؤس والشقاء فى مصر، فما سبب ذلك كله؟.. ومن المسئول عنه؟.. وكيف نتخلص منه وما الطريق إلى الإصلاح؟..

أما سبب ذلك فـفساد النظام الاجتماعى فى مصر فسادًا لابد له من صلاح، فقد غزتنا أوربا منذ مائة سنة بجيوشها السياسية وجيوشها العسكرية وقوانينها ونظمها

ومدارسها ولغتها وعلومها وفنونها، وإلى جانب ذلك بخمرها ونسائها ومتعها وترفها وعاداتها وتقاليدها، ووجدت منا صدورا رحبة وأدوات طيعة تقبل كل ما يعرض عليها. ولقد أعجبنا بذلك كله، ولم نقف عند حد الانتفاع بما يفيد من علم ومعرفة وفن ونظام وقوة ومنعة وعزة واستعلاء، بل كنا عند حسن ظن الغاصبين لنا فأسلمنا لهم قيادنا وأهملنا من أجلهم ديننا، وقدموا لنا الضار من بضاعتهم فأقبلنا عليه، وحجبوا عنا النافع منها وغفلنا عنه، وزاد الطين بلة أن تفرقنا على الفئات شيعًا وأحزابًا يضرب بعضنا وجوه بعض وينال بعضنا من بعض، لا تتبين هدفًا ولا تجتمع على منهاج.

أما المسئول عن ذلك فالحاكم والمحكوم على السواء: الحاكم الذى لانت قناته للغامزين، وسلس قياده للغاصبين، وعنى بنفسه أكثر مما عنى بقومه، حتى فشت فى الإدارة المصرية أدواء عطلت فائدتها وجرت على الناس بلاءها.. فالأنانية والرشوة والمحاباة والعجز والتكاسل والتعقيد كلها صفات بارزة فى الإدارة المصرية، والمحكوم الذى رضى بالذلة وغفل عن الواجب وخدع بالباطل وانقاد وراء الأهواء وفقد قوة الإيمان وقوة الجماعة فأصبح نهب الناهبين وطعمة الطامعين.

أما كيف نتخلص من ذلك فبالجهاد والكفاح، ولا حياة مع اليأس ولايأس مع الحياة، فنخلص من ذلك كله بتحطيم هذا الوضع الفاسد وأن نستبدل به نظامًا اجتماعيًا خيرًا منه، تقوم عليه وتحرسه حكومة حازمة تهب نفسها لوطنها وتعمل جاهدة لإنقاذ شعبها، يؤيدها شعب متحد الكلمة متوقد العزيمة قوى الإيمان. ولئن فقدت الأمم مصباح الهداية فى أدوار الانتقال فإن الإسلام الحنيف بين أيدينا مصباح وهاج نهتدى بنوره ونسير على هداه.

ولا تستطيع حكومة مصرية أن تعمل لهذا الإصلاح الاجتماعى حتى تتحرر تمامًا من الضعف والعجز والخوف والتدخل السياسى الذى يقيد خطواتها من هذا النير الفكرى الذى وضعته أوربا فى أعناقنا فأضعف نفوسنا وأوهن مقاومتنا.

ونحن نستقبل فى هذه الأوقات حوادث جسامًا تغير النظم والأوضاع وتجدد الدول والممالك، فأولى بنا أن نتنهزها فرصة سانحة للتحلل من آثار الماضى وبناء المستقبل المجيد على دعائم قوية من هذا الإصلاح الإسلامى القويم.

ولهذا كان هدف الإخوان المسلمين يتلخص فى كلمتين: العودة إلى النظام الاجتماعى الإسلامى والتحرر الكامل من كل سلطان أجنبى، وبذلك نستطيع أن ننقذ مصر من آثار هذه الويلات.

ولنا بعد ذلك آمال جسام فى إحياء مجد الإسلام، ويراها الناس بعيدة ونراها قريبة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٦٠].

وسيلة الإخوان المسلمين

أما وسائلنا العامة، فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان، ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هى الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح.. ثم النضال الدستورى حتى يرتفع صوت هذه الدعوة فى الأندية الرسمية وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية، وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجيء الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها فى الهيئات النيابية، ونحن واثقون بعون الله من النجاح مادمنا نبغى بذلك وجه الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أما ما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجأ إليه إلا مكرهين، ولن نستخدمه إلا مضطرين، وسنكون حينئذ صرحاء شرفاء، لا نحجم عن إعلان موقفنا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض معه، ونحن على استعداد تام لتحمل نتائج عملنا أيًا كانت، لا نلقى التبعة على غيرنا، ولا نتمسح بسوانا، ونحن نعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الفناء فى الحق هو عين البقاء وأنه لا دعوة بغير جهاد، ولا جهاد بغير اضطهاد، وعندئذ تدنو ساعة النصر ويحين وقت الفوز، ويتحقق قول الملك الحق المبين: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

نحن والسياسة

وقد يقول بعض الناس: وما للإخوان والبرلمان والإخوان جماعة دينية وهذه سبيل الهيئات السياسية؟ أو ليس هذا يؤيد ما يقول الناس من أن الإخوان المسلمين قوم سياسيون لا يقفون عند حد الدعوة إلى الإسلام كما يدعون؟.

وأقول لهذا القائل فى صراحة ووضوح: أيها الأخ.. أما إننا سياسيون حزبيون نناصر حزبًا ونناهض آخر فلسنا كذلك ولن نكونه، ولا يستطيع أحد أن يأتى على هذا بدليل أو شبه دليل. وأما إننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا، ونعتقد أن القوة التنفيذية والعزة القومية ركن من أركانه وفريضة من فرائضه، وأننا نعمل جاهدين لاستكمال الحرية لإصلاح الأداة التنفيذية فنحن كذلك، ونعتقد أننا لم نأت فيه بشىء جديد، فهذا هو المعروف عند كل مسلم درس الإسلام دراسة صحيحة، ونحن نعلم دعوتنا ولا نتصور معنى لوجودنا إلا تحقيق هذه الأهداف، ولم نخرج بذلك قيد شعرة عن الدعوة إلى الإسلام، والإسلام لا يكتفى من المسلم بالوعظ والإرشاد، ولكنه يحدوه دائمًا إلى الكفاح والجهاد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أما موقفنا من الهيئات فى مصر فصريح واضح نتحدث به ونكتب عنه فى كل الظروف والمناسبات..

○ نحن والحكومات

فأما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها فهو موقف الناصح الشفيق، الذى يتمنى لها السداد والتوفيق، وأن يصلح الله بها هذا الفساد، وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا فى واد وهى فى وادٍ، ويا ويح الشجى من الخلىّ.

لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيرًا من مناهج الإصلاح، وتقدَّمنا لكثير منها بمذكرات ضافية فى كثير من الشئون التى تمسُّ صميم الحياة المصرية.

لقد لفتنا نظرها إلى وجوب العناية بإصلاح الأداة الحكومية نفسها باختيار الرجال وتركيز الأعمال وتبسيط الإجراءات ومراعاة الكفايات والقضاء على الاستثناءات..

وإلى إصلاح منابع الثقافة بإعادة النظر فى التعليم ومراقبة الصحف والكتب والسينما والمسارح والإذاعة، واستدراك نواحى النقص فيها وتوجيهها الوجهة الصالحة..

وإصلاح القانون باستمداده من شرائع الإسلام ومحاربة المنكر ومقاومة الإثم بالحدود والعقوبات الزاجرة الرادعة..

وتوجيه الشعب وجهة صالحة بشغله بالنافع من الأعمال فى أوقات الفراغ ..

فماذا أفاد كل ذلك.. لاشىء ولقد قامت وزارة الشئون الاجتماعية لسدّ هذا الفراغ فماذا فعلت وقد مضى عليها أكثر من عام ونصف عام؟.

وماذا أنجزت من الأعمال؟ لاشىء.. وستظل (لاشىء) وهى الجواب لكل المقترحات مادمنا لا نجد الشجاعة الكافية للخروج من سجن التقليد والثورة على هذا (الروتين العتيق) ومادمنا لا نحدِّد المنهاج ولم نتخير لإنفاذه الأكفاء من الرجال، ومع هذا فسنظل فى موقف الناصحين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين.

○ نحن والأحزاب

وأما موقفنا من الأحزاب السياسية فلسنا نفاضل بينها ولا ننحاز إلى واحد منها، ولكن نعتقد أنها تتفق جميعًا فى عدة أمور:

تتفق فى أن كثيراً من رجالها قد عملوا على خدمة القضية السياسية المصرية، واشتركوا فعلاً فى الجهاد فى سبيلها وفى الوصول إلى ما وصلت إليه مصر من ثمرات هذا الجهاد الضئيلة أو الجليلة، فنحن فى هذه الناحية لا نبخس هؤلاء الرجال حقهم.

وتتفق كذلك فى أن حزبًا منها لم يحدد بعد منهاجًا دقيقًا لما يريد من ضروب الإصلاح، ولم يضع هدفًا يرمى إليه، وهى لهذا تتفاوت فى المنهاج والأغراض والغايات.

وتتفق كذلك فى أنها جميعًا لم تقتنع بعد بوجوب المناداة بالإصلاح الاجتماعى على قواعد الإسلام وتعاليم الإسلام، ولازال أقطابها جميعًا يفهمون الإسلام على أنه ضرب من العبادات والروحانيات لا صلة لها بحياة الأمم والشعوب الاجتماعية والدنيوية.

وتتفق بعد ذلك فى أنها تعاقبت على حكم هذا البلد فلم تأت بجديد ولم يجد الناس فى ظل حكمها ما كانوا يأملون من تقدم مادىّ أو أدبىّ. ولقد كان لهذا أثره العملى، فقامت فى مصر الحكومات غير الحزبية فى أحرج الظروف وأدق المواقف، ومنها الحكومة الحالية.

وإذن فلا خلاف بين الأحزاب المصرية إلا فى مظاهر شكلية وشئون شخصية لا يهتم لها الإخوان المسلمون، ولهذا فهم ينظرون إلى الأحزاب جميعًا نظرة واحدة، ويرفعون دعوتهم - وهى ميراث رسول الله ﷺ - فوق هذا المستوى الحزبى كله، ويوجهونها واضحة مستنيرة إلى كل رجال هذه الأحزاب على السواء، ويودون أن لو أدرك حضراتهم هذه الحقيقة وقدَّروا هذه الظروف الدقيقة، ونزلوا على حكم الوطنية الصحيحة فتوحدت كلمتهم واجتمعوا على منهاج واحد تصلح به الأحوال وتتحقق الآمال، وليس أمامهم إلا منهاج الإخوان المسلمين، بل هدى رب العالمين ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ [الشورى: ٥٣].

○ كلمة حق

نحب بعد هذا أن نقول كلمة صريحة لأولئك الذين لا زالوا يظنون أن الإخوان يعملون لحساب شخص أو جماعة: اتقوا الله أيها الناس، ولاتقولوا ما لا تعلمون. واذكروا قول الله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ [الأحزاب: ٥٨] وقول رسول الله ﷺ: «وإنَّ أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة الثَّاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبَّة الملتمسون للبرءاء العيب»، وليعلموا تمامًا أن اليوم الذى يكون فيه الإخوان المسلمون مطية لغيرهم أو أداة لمنهاج لا يتصل بمنهاجهم لم يخلق بعد، وأذكر أننى كتبت فى إحدى المناسبات خطابًا لأحد الباشوات جاء فى آخره:

(والإخوان المسلمون يا رفعة الباشا لا يُقَادُون برغبة ولا برهبة، ولا يخشون أحدًا إلا الله، ولا يغريهم جاه ولا منصب، ولا يطمعون فى منفعة ولامال ولا تُعَلِّق نفوسهم بعَرَض من أعراض هذه الحياة الفانية، ولكنهم يبتغون رضوان الله ويرجون ثواب الآخرة، ويتمثلون فى كل خطواتهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات: ٥٠]، فهم يفرون من كل الغايات والمطامع إلى غاية واحدة، ومقصد واحد هو رضوان الله، وهم لهذا لا يشتغلون فى منهاج غير منهاجهم ولا يصلحون لدعوة غير دعوتهم، ولا يصطبغون بلون غير الإسلام: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨].. فمن حاول أن يخدعهم

خُدع، ومن أراد أن يستغلهم خسر، ومن طمع فى تسخيرهم لهواه أخفق، ومن أخلص معهم فى غايتهم ووافقهم على متن طريقهم سعد بهم وسعدوا به، ورأى فيهم الجنود البسلاء والإخوة الأوفياء، يفدونه بأرواحهم ويحوطونه بقلوبهم وجهودهم ويرون له بعد ذلك الفضل عليهم.

أكتب لكم هذا يارفعة الباشا لا رجاء معونة مادية لجماعة الإخوان المسلمين ولا رغبة فى مساعدة نفعية لأحد أعضائها العاملين، ولكن لأدعوكم إلى صف هؤلاء الإخوان بعد دراستهم دراسة جدية صحيحة تقنعكم بمنهاجهم وتنتج تعاونكم معهم فى إصلاح المجتمع المصرى على أساس متين من الخلق الإسلامى وتعاليم الإسلام.. ﴿ولله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ [الروم: ٤، ٥].

بمثل هذا الأسلوب نخاطب الناس، ونكتب لرفعة النحاس باشا ومحمد محمود باشا وماهر باشا وحسين سرى باشا، وغيرهم ممن نريد أن نعذر إلى الله بإبلاغهم الدعوة وتوجيههم إلى ما نعتقد أن فيه الخير والصواب لهم وللناس..

أفيقال بعد هذا إن الإخوان يعملون لحساب شخص أوهيئة كَبُر ذلك أم صَغُر؟ قلَّ أم كَثُر.. ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾ . [النور: ١٢] ومعاذ الله أن نكون فى يوم من الأيام لغير دعوة القرآن وتعاليم الإسلام.

موقفنا فى الظروف الحاضرة

من المؤتمر الخامس إلى المؤتمر السادس مضى عامان، تعاقبت فيها الحوادث الجسام على مصر فى الداخل والخارج، وقد قابل المركز العام للإخوان المسلمين ومن ورائه شُعَبُه جميعًا كل حادثة بما يناسبها، ووقفوا منها الموقف الذى يلائمها، من تأييد أو نقد أو تزكية، مستنيرين فى ذلك بوحى الغاية السامية، وبقواعد منهاجهم القوى السليم.

وكان أجلّ تلك الحوادث وأشدها خطراً وأعمقها أثرًا إعلان الحرب وامتداد لهيبها إلى مصر ووقوف أوربا معسكرين متناحرين يعمل كل منها على إفناء الآخر وإبادته، حيث أخفقت وسائل التهدئة وسُلَّ الحسام بعد أن خرس الكلام.

لقد أعلنت الحكومة المصرية موقف مصر وأيدها فى ذلك البرلمان، وأيدها فى ذلك الرأى العـام، وأيدها الإخـوان المسلمـون أيضًـا، ويمكن تـلخـيص هذا الموقف فى كلمتين: (الحياد والاستعداد).

وهو موقف واضح مستنير لو استكمل شروط الصحة، فإن هذا الحـياد محال أن يكون حقيقيًا والمعاهدة المصـرية الإنجليزية تفرض علينا أن نقدم كل المساعدات الممكنة للقوات البريطانيـة. ونحن قد قمنا بذلك فعلاً وجندت مـصر تجنيدًا حقيقـيًا لمساعدة إنجلترا فأعلنت الأحكام العـرفية وفرضت الرقابة على الصحف واستخدمت السكك الحديدية والمطارات والموانى والتليفونات والتلغـرافات وكل طرق المواصلات، وقُدمت طلبات السلطة العسكرية فى جميع الشئون على كل الطلبات، وحجزت المواد اللازمة للجيش وللأعمال الحربية مهما كـانت الحاجة إليها شديدة وأرسل الجيش المصرى إلى الحدود وإلى السودان، وصـارت مصر حقيـقة لاخيالاً فى حـالة حرب مما جعل هذا الحياد لا قيمة له فى الواقع.

كما أن الاسـتعداد لن يكون كامـلاً وأمامه عقـبات مادية وعقـبات سياسـية تجعل الوقت يمر دون أن نجهز أنفسنا بالقليل من المعدات العسكرية أو المدنية.

وإذن فرضاء مصر بهذا الموقف الصورى العجيب ليس عن طواعية واختيار، ولكنه عن كراهيـة واضطرار، وليس هناك موقف أفضل منه مـادمنا مجبرين عليـه، ونهيب بالحكومة المصرية جـاهدين أن تعمل ما وسعهـا العمل على استكمال العدة، وتجـهيز الشعب بوسائل الدفاع العسكرية والمدنية أخذًا بالحيطة واستعدادًا للطوارئ.

أما الموقف الذى ترضاه مصر وتهش له وتقتنع به فلا يخرج عن أحد أمرين:

إما أن إنجلترا لا تثق بنا ولا تعتـمد علينا ولا تعتبرنا حلفاء حقيـقيين لها، وحينئذ يكون عليها أن تصارحنا بذلك وأن تخلى أرضنا وأن توفـر علينا مـساعداتنا وأن تُحلنا من قيود المعاهدة التى تنص على المحالفة وترتب عليها المساعدة، وذلك فرض مستبعد طبعًا.

وإما أنها تثق بنا وتعتـبرنا حلفاء لها وتقدر حسن نيتنا وصدق مـعونتنا، وقد قدمنا البرهان علـى ذلك فعلاً، فـمنذ نشبت الحـرب إلى الآن والحكومة المصـرية لا تدّخر

وسعًا فى مشاركتها سراء الحرب وضراءها، فعليها حينئذ أن تطمئننا على مستقبلنا فى هذه الحوادث وبعدها، فتعلن الآن بصفة رسمية المحافظة على استقلال مصر والسودان محافظة تامة، وأن بقاء القوات البريطانية فى وادى النيل موقوت بالحرب، وتشمل هذا الإعلان بالمساعدة الفعلية لنا، فتسمح لنا بزيادة عدد جيشنا وبتقوية سلاحنا وبإعداد شعبنا. وحينئذ نتعاون تعاونًا صادقًا ونحمل أعباء الحرب معًا ونتقاسم الأعمال العسكرية والمدنية، فيحمل الجيش المصرى عبء الحرب فى السودان مثلاً حتى يطهره من العدو المغير، وتحرس الجيوش البريطانية الحدود الغربية حتى تضع الحرب أوزارها.

هذا كلام صريح نعتقد أن من الخير أن يكون واضحًا، ولا يغنى مصر شيئًا أن تسمع ثناء الجرائد والمجلات الإنجليزية وعبارات المجاملة التى يحييها بها الساسة البريطانيون، ولا عبارات التقدير التى يشكرون بها المساعدة المصرية الجليلة، وإنما ينفعها الكلام الرسمى والعمل المنتج.

إن مصر ستفى من جانبها بالتزاماتها التى سجلتها عليها المعاهدة، لأنها لا تملك إلا هذا ولا تستطيع غيره ماديًا وأدبيًا، ولكن تمسك الحكومة البريطانية تمسكًا جامدًا بروح المعاهدة ونصها فى وقت تفسر فيه هذه النصوص لمصلحة طرف واحد، وفى ظروف تعصف بالدول والشعوب والأموال والأرواح والأمم والحكومات والنظم والمعاهدات، فهو تمسك إن رضيه الفقه السياسى[1] فلن يرضاه الشعب الأبى، ولقد جاهدت مصر فى سبيل استقلالها، وستجاهد فى سبيل ذلك إن أعوزها الجهاد. وهى ضنينة بهذا الاستقلال أن يسلب قبل أن يكتمل، ويزول قبل أن يتم، ولا تريد أن تكون فى حمى غيرها، أو أن تظل تحت رحمة سواها مهما كلفها ذلك من التضحيات. وإذا كانت الحكومة البريطانية تسمع من الحكومة المصرية أو الساسة المصريين كلامًا غير هذا فإنما هى المجاملة الدبلوماسية.

أما نحن فنصور عواطف الشعب الحقيقية على صورتها الطبيعية، لا نبتغى من وراء ذلك إلا تعاونًا سليمًا على أساس سليم.

بل إننا نريد أن ننتهز هذه الفرصة، فنتقدم مخلصين إلى الساسة الغربيين فنلفت

---

(١) المقصود : الفقه السياسى الوضعى .

أنظارهم إلى فرصة سانحة لعلها إن أفلتت منهم اليوم فلن تعود إلا بعد حين لا يعلم إلا الله مداه، وإن وفقوا إلى الانتفاع بها فهو الخير لهم وللعالم أجمع.

لقد ردد الساسة جميعًا كلمة (النظام الجديد).. فهتلر يريد أن يتقدم للناس بنظام جديد، وتشرشل يقول إن إنجلترا المنتصرة ستحمل الناس على نظام جديد، وروزفلت يتنبأ ويشيد بهذا النظام الجديد، والجميع يشيرون إلى أن هذا النظام الجديد سينظم أوربا ويعيد إليها الأمن والطمأنينة والسلام، فأين حظ الشرق والمسلمين من هذا النظام المنشود؟

نريد أن نلفت أنظار الساسة الغربيين إلى أن الفكرة الاستعمارية إن كانت قد أفلست في الماضي مرة فهي في المستقبل أشد فشلاً لا محالة، وقد تنبهت المشاعر وتيقظت حواس الشعوب، وإن سياسة القهر والضغط والجبروت لم تأت في الماضي إلا بعكس المقصود منها، وقد عجزت عن قيادة القلوب والشعوب، وهي في المستقبل أشد عجزاً..

وإن سياسة الخداع، والدهاء والمرونة السياسية، إن هدأ بها الجو حينًا فلا تلبث أن تهب العاصفة قوية عنيفة، وقد تكشف هذه السياسة عن كثير من الأخطاء والمشكلات والمنازعات، وهي في المستقبل أضعف وأوهى من أن توصل إلى المقصود.

وإذن فلابد من سياسة جديدة، وهي سياسة التعاون والتحالف الصادق البريء المبني على التآخي والتقدير وتبادل المنافع والمصالح المادية والأدبية بين أفراد الأسرة الإنسانية في الشرق والغرب، لا بين دول أوربا فقط، وبهذه السياسة وحدها يستقر النظام الجديد وينتشر في ظله الأمن والسلام.

إن حكم الجبروت والقهر قد فات، ولن تستطيع أوربا بعد اليوم أن تحكم الشرق بالحديد والنار، وإن هذه النظريات السياسية البالية لن تتفق مع تطور الحوادث ورقي الشعوب ونهضة الأمم الإسلامية، ولا مع المبادئ والمشاعر التي ستطلع بها هذه الحرب الضروس على الناس. ولسنا وحدنا الذي نقول هذا، بل هم الساسة الأوربيون أنفسهم، ونحن نضع هذه النظريات أمام أعين الساسة البريطانيين والساسة الفرنسيين وغيرهم من ساسة الدول الاستعمارية على أنها نصائح تنفعهم أكثر مما هي مطالب تنفعنا، فليأخذوا أو ليدعوا، وقد وطّنّا أنفسنا على أن نعيش أحراراً عظماء أو نموت

أطهارًا كرماء، ونحن لا نطمع فى حق سوانا، ولا يستطيع أحد أن ينكر علينا حقنا، وإن خيرًا لكل أمة أن تعيش متعاونة مع غيرها من أن تعيش متنافسة مع سواها حينًا من الدهر، يندلع بعده لهيب الثورة فى البلاد المغصوبة وجحيم الحرب بين الدول المتنافسة.

هذا كلام قد يراه الناس من الإفراط فى حسن الظن، ولعله إلى الخيال أقرب، ولعل من الناس من يرى أن من الكياسة ألا يقال فى مثل هذه الظروف، ولكنى أعتقد أن المصارحة دائمًا هى أفضل طريق للوصول، ولا ندرى متى وكيف تتم هذه الحرب، ولأن ننبه أذهان قومنا وغيرنا إلى ما يجب أن يكون فنبرئ بذلك ذمتنا ونقدم نصيحتنا أولى بنا من أن نفوّت الفرصة المواتية ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤]

وعلى هذه الأسس العادلة يظفر العالم بتعاون شريف وسلام طويل. أما أغنية الديمقراطية والدكتاتورية فأنشودة نعتقد أن الحرب الحالية ستُدخل عليها ألحانًا جديدة وأنغامًا جديدة، ولن يكون فى الدنيا بعد هذه المحنة ديمقراطية كالتى عهدها الناس، على غرار هذه الأوضاع المألوفة، ولكن ستكون هناك نظم فى الحكم وأساليب فى الاجتماع تبتدعها الحرب ابتداعًا ويخترعها الساسة اختراعًا، ثم يضعونها موضع التجربة من جديد. وتلك سنة الله ونظام المجتمع.

وما أجلَّ أن يهتدى هؤلاء الساسة يومئذ بنور الله، ويكشفوا عن قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم غشاوة التعصب المقوت، ويتخذوا الإسلام الحنيف الذى أخذ من كل شىء أحسنه أساسًا لنظمهم السياسية والمدنية والاجتماعية، فتتحقق الوحدة الإنسانية الروحية التى طال عليها الأمد والتى لا يحققها إلا سماحة الإسلام وهدى الإسلام ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة: ١٥، ١٦]

* * *

هل نحن قوم عمليون؟

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -(١)

قد أجبنا فى الرسالة السابقة (إلى أى شىء ندعو الناس[٢]؟) عن سؤال يتردد كثيراً على أفواه كثير من الناس، فهم كانوا يسألون دائماً كلما دعاهم داعٍ إلى تشجيع (جمعية الإخوان المسلمين) وإلى أى شىء تدعو جمعية الإخوان المسلمين؟ وأحسبنى أوضحت مبادئ هذه الدعوة فى الرسالة السابقة بما يجعل الجواب على هذا السؤال واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، وأظننى أجملت لهؤلاء السائلين مبادئ هذه الدعوة فى الكلمة الأولى ثم فصلتها فى الكلمات التى تلتها فلم يبق عذر للذى يريد أن يتعرف حقيقة دعوة الإخوان المسلمين إجمالاً أو تفصيلاً.

وبقى سؤال آخر يتردد كثيراً على أفواه الناس كذلك كلما دعاهم داع إلى تشجيع هذه الجماعة التى تدأب على العمل ليل نهار لا تبتغى من أحد جزاءً ولا شكوراً ولا تعمل إلا لله وحده، ولا تعتمد فى خطواتها إلا على تأييده ونصره وما النصر إلا من عند الله، وشعار كل عامل من العاملين فيها ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨]. هذا السؤال الآخر أن يقول لك ذلك الذى تدعوه فى استهانة وإعراض غالبًا: وهل هذه الجماعة جماعة عملية؟ وهل أعضاؤها قوم عمليون؟

وهذا السائل أحد أصناف من الناس: إما شخص متهكم مستهتر لا يعنيه إلا أمر نفسه ولا يقصد من إلقاء هذا السؤال إلا أن يهزأ بالجماعات والدعوات والمبادئ والمصلحين لأنه لا يدين بغير مصلحته الشخصية ولا يهمه من أمر الناس إلا الناحية التى يستغلهم منها لفائدته فقط. أو هو شخص غافل عن نفسه وعن الناس جميعًا فلا

---

(١) نشرت بالعدد ١٤ للسنة الثانية من جريدة الإخوان المسلمين (الأسبوعية) بتاريخ ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٥٣هـ.

(٢) نشرت تباعًا فى جريدة الإخوان المسلمين الصادرة يوم ٤ صفر ١٣٥٣هـ وطبعت ضمن رسائل الإخوان المسلمين

غاية ولا وسيلة ولا فكرة ولا عقيدة، وإما شخص مغرم بتشقيق الكلام وتنميق الجمل والعبارات وإرسال الألفاظ فخمة ضخمة ليقول السامعون إنه عالم وليظن الناس أنه على شيء وليس على شيء وليلقى فى روعك أنه يود العمل، ولا يقعده عن مزاولته إلا أنه لا يجد الطريق العملى إليه وهو يعلم كذب نفسه فى هذه الدعوى وإنما يتخذها ستاراً يغطى به قصوره وخوره وأنانيته وأثرته.

وإما شخص يحاول تعجيز من يدعوه ليتخذ من عجزه عن الإجابة عذراً للقعود، وتعلة للخمول والمكسلة، وسببًا للانصراف عن العمل للمجموع، وآية ذلك عند هؤلاء جميعًا أنك إذا فجأتهم بالطريق العملى وأوضحت لهم مناهج العمل المثمر، وأخذت بأبصارهم وأسماعهم وعقولهم وأيديهم إلى الطريق المستقيم لووا رءوسهم وحاروا فى أمرهم وسقط فى يدهم وظهر الاضطراب والتردد فى ألفاظهم وألحاظهم وحركاتهم وسكناتهم وأخذوا ينتحلون المعاذير ويرجئونك إلى وقت الفراغ ويتخلصون منك بمختلف الوسائل ذلك بعد أن يكونوا أمضّوك اعتراضًا وأجهدوك نقاشًا ومحاورة ورأيتهم بعد ذلك كله يصدون وهم مستكبرون.

وإنما مثلهم فى ذلك كالذى حدثوا أن رجلاً أعد سيفًا قاطعًا ورمحًا نافذًا وعدة وسلاحًا وأخذ كل ليلة ينظر إليه ويتحرق أسفًا لأنه لا يرى خصمًا أمامه يظهر فى نزاله براعته ويؤيد بحربه شجاعته، فأرادت امرأته أن تختبر صدق قوله فأيقظته ليلة مع السحر ونادته بلهجة المستغيث، قم يا أبا فلان فقد طرقتنا الخيل فاستيقظ فزعًا مرعوبًا تعلوه صفرة الجبن وتهز أوصاله رعدة الخوف وأخذ يردد فى ذهول واضطراب (الخيل الخيل) لا يزيد على ذلك ولا يحاول أن يدفع عن نفسه وأصبح الصبح وقد ذهب عقله خوفًا وإشفاقًا وطار لبه وجلاً ورعبًا وما نازل خصمًا ولا رأى عدواً وذلك كما قال القائل:

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

بل كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى

الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾

[الأحزاب: ١٨، ١٩]

وليس لنا مع هذه الألوان من الناس قول، وليس لهم عندنا جواب إلا أن نقول لهم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. ولا لهؤلاء كتبنا ولا إياهم خاطبنا فلقد أملنا فيهم الخير طويلاً وانخدعنا بمعسول دعاويهم وعذب ألفاظهم حينًا ثم تكشف أمرهم عن وقت أضيع، ومجهود عقيم وتعويق عن الطريق ورأينا منهم ضروبًا وألوانا وأصنافًا وأشكالاً جعلت النفس لا تركن إليهم، ولا تعتمد في شأن من الشئون مهما كان صغيراً عليهم.

وهناك صنف آخر من الناس قليل بعدده كثير بجهده نادر ولكنه مبارك ميمون، يسالك هذا السؤال إلى دعوته إلى المشاركة والتشجيع بغيرة وإخلاص. إنه غيور تملأ الغيرة قلبه، عامل، يود لو علم طريق العمل المثمر ليندفع فيها. مجاهد، ولكنه لا يرى الميدان الذي تظهر فيه بطولته. خبر الناس ودرس الهيئات وتقلب في الجماعات فلم ير ما يملأ نفسه ويشبع نهمته ويسكن فؤاده ويقر ثائر شعوره ويرضى يقظة ضميره ولو رآه لكان أول الصف ولعُدَّ في الميدان بألف، ولكان في حلبة العاملين سابقًا مجليًا سائل الغرة ممسوح الجبين.

هذا الصنف هو الحلقة المفقودة والضالة المنشودة وأنا على ثقة من أنه إن وقع في أذنه هذا النداء وتلقى فؤاده هذا النجاء لن يكون إلا أحد رجلين: إما عامل مع المجدين، وإما عاطف مع المحبين، ولن يكون غير ذلك أبداً، فهو إن لم يكن للفكرة فلن يكون عليها، ولهذا الصنف نكتب، وإياه نخاطب ومعه نتفاهم وإن الله وحده هو الذي يختار جنده وينتخب صفوة العاملين له ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص: ٥٦] ولعلنا نوفق إلى ما قصدنا إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

* * *

للغيورين من أبناء الإسلام

-٢-(١)

لهذا الصنف الكريم المعادن، النفيس الجواهر، العالى الهمة، النبيل النفس الذى يود العمل ويتمناه ويقعد به عن تحقيق أمنيته قول القائل:

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... طول اختبارى صاحبًا بعد صاحب
فلم ترنى الأيام خلا تسرنى ... مباديه إلا ساءنى فى العواقب

نقول: أنت الآن أمام دعوة جديدة وقوم ناشئين يدعونك إلى العمل معهم والانضمام إليهم والسعى بجوارهم إلى الغاية التى هى أمل كل مسلم ورجاء كل مؤمن، ومن حقك أن تسأل عن مدى وسائلها العملية، ومن واجبك أن تتحرى وتتفقه فيما يدعونك إليه، ولقد أعجبنى من صديق دعوته إلى جماعتنا أنه كان يراجعنى فى كل كلمة، ويقف أمام كل عبارة، ويناقش كل وسيلة حتى إذا اقتنعت نفسه قال كلمته فما زالت مرعية الجانب محققة المعنى واضحة الأثر، وما زال هو العامل المجد إلى الآن وأرجو أن يظل كذلك بحول الله تعالى، ولكنا مع هذا نسوق لمثل هذا الأخ الكريم هذه الملاحظات:

ألا يرى الأخ معنا أن الأجدر بنا بدل أن نسأل هذا السؤال أن ندخل ضمن الجماعة، ونعمل مع العاملين فيها ونلقى بدلونا بين الدلاء فإذا رأينا خيرًا فذاك وإن كانت الأخرى فطريق الانفصال واضحة ولا سيما إذا كان الباب على مصراعيه لمن يدخل أو يخرج، وكانت أعمال الجماعة جلية على المكشوف كما يقولون لا خفاء بها ولا سر فيها، ولقد حدثوا أن النحويين اختلفوا على عدد أبيات ألفية ابن مالك فكان هذا الخلاف مثار جدل عقيم لم يوصلهم إلى شىء، حتى تدخل أحد عقلائهم فأحضر نسخة منها وقال ها هى ذى عدوها واتفقوا فكان فى ذلك حسم الخلاف.

هذه جمعية الإخوان المسلمين يا عزيزى فى كل مكان تنادى الناس وتفتح لهم

(١) نشرت بالعدد ١٥ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٦ جمادى الأولى ١٣٥٣ هـ.

قلبها وبابها ونساديها فهلم فإن رأيت ما تحب فعلى بركة الله وإن لم تر ذلك فقل كما قال بشار:

إذا أنكرتنى بلدة أو أنكرتها ... خرجت مع البارى على سواد

وألا يرى الأخ معنا أن الجماعات هى أفراد منضمة فإذا كان كل فرد يسأل هذا السؤال فأين الجماعة إذن؟ هذه خدعة عقلية يقع فيها كثير من الناس، فأنت إذا شئت أن تُعَرِّف الكرسى قلت هو جسم يتركب من مقعد ومسند وأربع أرجل ولكن ألست ترى أن هذه خدعة، وأن ذلك ليس بصحيح فهل الجسم غير هذه الثلاثة، وإذا جردت الكرسى من أرجله ومقعده ومسند فهل يبقى هناك جسم أو أثر يصح أن تطلق عليه صفة الوجود فضلاً عن الصفات الأخرى؟

كذلك يخدع الناس أنفسهم فى قضية الجماعات والأفراد فهم يظنون أن الجماعات شىء والأفراد شىء آخر، وما الجماعات فى الحقيقة إلا الأفراد وما الأفراد إلا حقائق الجماعات ولبنات بنائها فإذا تنافرت هذه اللبنات وأخذ كل فرد يسأل عن الجماعة فأين الجماعة إذن؟ ومن السائل ومن المسئول؟ وإنما وقعنا فى هذه الورطة وما تعودنا من خلق التواكل الذى جعلنا نترك العبء كله لفرد واحد أو يدفعه كل منا إلى أخيه فلايزال مهملاً لا يستقر على حال ولا ينهض به أحد، وهانذا أصارح كل الغيورين من أبناء الإسلام بأن كل جماعة إسلامية فى هذا العصر محتاجة أشد الحاجة إلى الفرد العامل المفكر، إلى العنصر الجرىء المنتج فحرام على من أنس من نفسه شيئًا من هذا أن يتأخر عن النفير دقيقة واحدة.

وألا يرى الأخ أيده الله وأيد به أن عليه أن يدخل الجماعة التى تدعوه، فإن وجدها عملية كما يجب قرت عينه وفرحت نفسه، وإن لم يجدها كذلك حملها بوضوح شخصيته وقوة تأثيره على ما يجب من وسائل العمل، فإن لم تستقم له كان قد أعذر إلى ربه ونفسه ولعلهم يتقون، ولا سيما إذا كان الذين يوجهون إليه هذه الدعوة قوم يعلمون أن فوق كل ذى علم عليم، وأن لكل ذى رأى حقًا فى إبداء رأيه وأن المصطفى ﷺ وهو أصح الناس رأيًا وأنصحهم فكرة وأكبرهم عقلاً أخذ برأى الحباب فى بدر وبرأى سلمان فى الخندق، وهم يفرحون بكل من يأخذ بفكرتهم إلى العمل الصحيح.

وألا يرى الأخ كذلك أنه إن كان قد جَرَّب مرة أو مرتين أو فوق ذلك فإن ذلك لا يُيئسه، ومن واجبه أن يعاود الكرة مرات حتى يظفر بأمنيته ويصادف بغيته فإنه إن قنط فاته بذلك خير كثير، كالذى حدثوا أن صياداً ظفر بسمكة كبيرة ثم رأى فى قاع الماء صدفة ظنَّها لؤلؤة فترك السمكة وأخذ الصدفة فلما رآها ندم على ما فرط منه، ثم وقع له حوت صغير وعرضت لؤلؤة ظنها صدفة فأعرض عنها وقنع بحوته ففاته خير كثير، أو كالذى حدثوا: أن بطة فى غدير رأت فى الماء ظلا ظنَّته سمكة فأخذت تهوى بمنقارها تلتقطه حتى أتعبها ذلك فتركته غاضبة ثم عرضت لها سمكة فظنتها ظلاً وتركتها ففاتتها الفرصة السانحة وخسرت الأمنية المطلوبة.

هذه ملاحظات نتقدم بها إلى الذين يريدون أن يعملوا للإسلام من أبنائه الغيورين، وهى جديرة بالنظر فيما نعتقد، وندعوهم بدعوة الإخوان المسلمين فعليهم أن يُجرِّبوا ولايتواكلوا ويندمجوا، فإن وجدوا صالحًا شجعوه، وإن وجدوا معوجًا أقاموه، ولاتكن تجربتهم حائلاً بينهم وبين التقدم، ونأمل أن يروا من الإخوان ماتقر به أعينهم إن شاء الله، وإنا موجزون بعض ذلك فى الكلمات التالية.

* * *

مؤسسات ومشاريع

- ٣ - (١)

يعتقد كثير من إخواننا أن الجماعة العملية هي التي تقوم بعمل المشروعات العامة النافعة وتترك في مقرها أثرًا خالدًا من المؤسسات المفيدة، وسنجاريهم في هذا المقال ونزن «(جمعية الإخوان المسلمين) بهذا الميزان، ولنا في الكلمات التالية إن شاء الله تعالى ميزان آخر نزن به جماعتنا، ونقدر به الجهود العملية، قد يكون في باب نهضات الأمم أصح تقديرًا، وأدق تعبيرًا من ميزان اليوم، وكلا وعد الله الحسنى.

انتشرت فكرة الإخوان المسلمين فيما يزيد عن خمسين بلدًا من بلدان القطر المصري وقامت في كل بلد من هذه البلدان تقريبًا بمشروع نافع أو مؤسسة مفيدة فأنت تراها في الإسماعيلية قد أسست مسجد الإخوان المسلمين ونادي الإخوان المسلمين وأنشأت معهد حراء الإسلامي لتعليم البنين ومدرسة أمهات المؤمنين لتعليم البنات..

وفي شبراخيت أسست كذلك مسجد الإخوان ونادي الإخوان ومعهد حراء وأقامت بجوار هذه العمارة الفخمة دارًا للصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الذين لايستطيعون إتمام التعليم وتريد الجمعية أن تهيأ لهم سبيل الحياة العملية بتخريجهم صناعًا مثقفين وعمالاً مهذبين.

وفي محمودية البحيرة قامت بمثل ذلك فأنشأت منسجًا للنسيج والسجاد إلى جوار معهد تحفيظ القرآن بدار نادي الإخوان المسلمين الرحيب، وفي المنزلة دقهلية معهد لتحفيظ القرآن ظهرت ثمرته رغم قصر المدة وها هو يقدم لنا حفّاظًا مستقنين في هذه الفترة الوجيزة التي أنشئ فيها وقل مثل ذلك أو بعضه ولا لزوم للتكرار في كل شُعبة من شُعب الإخوان المسلمين المنتشرة في أنحاء القطر المصري من إدفو إلى الإسكندرية.

وفي كثير من جمعيات الإخوان المسلمين تجد لجانًا تطوعت للمصالحات بين الأفراد

---

(١) نشرت بالعدد ١٦ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ.

والأسر المتخاصمين يجرى الله على يديها خيراً كثيراً ويحل بهـا من المشاكل ماشغل القضاء مدة طويلة.

وفى كثير منها لجان للصدقات تتفقد البائسين والمعوزين فى المواسم والأعياد وغيرها وتحاول بذلك القيام بواجب رعاية هؤلاء من جهة ورد غائلة ذئاب المبشرين عنهم من ناحية أخرى.

وفى كثير منها لجان للوعظ والتذكير فى المجتمعات التى لايظن أن تكون مجامع وعظ كالمقاهى والأندية العامة وحفلات الأفراح والتعزية ونحوها.

وفى كثير منها ولاسيما النواحى القروية لجان تطوعت للإشراف على المرافق العامة فى القرية من ترميم المساجد وتنظيف الشوارع وإضاءة الطرقات والسعى فى إيجاد المشافى المتنقلة وما إلى ذلك من كل مايعود على القرية بفائدة فى دينها ودنياها.

وفى كثير منها لجان لمحاربة العادات الفاسدة والجهالات المنتشرة فى البيئات البعيدة عن مناهل العلم كالزار ونحوه وإلى جانبها لجان لإحياء السنة والفرائض التى نسيها الناس بالعمل لا بالقول كجمع زكاة الحبوب فى مخزن خاص وتوزيعها بمعرفة الجمعية على المستحقين بدون محاباة ولاتحيز كما فعلت ذلك دائرة الإخوان فى برمبال القديمة مثلا.

وفى القاهرة أنشئت (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية ولم تمض فترة قليلة حتى وجدت إلى جانبها (مطبعة الإخوان المسلمين) وكل ذلك فى وقت لم يتجاوز عامًا.

ولقد كان لجمعية الإخوان المسلمين فى حركة التبشير الأخيرة بل فى كل وقت عمل جليل فى دفع خطر التبشير عن المستضعفين والفقراء من أبناء الأمة، فبيوت الإخوان لإيوائهم، ودور صناعاتهم مستعدة لتعليمهم، ومدارسهم ترحب بقبولهم ولجانهم تحذر الناس من شرور هؤلاء المضللين الذى يخادعون الناس عن عقائدهم ويستغلون الفقر والمرض فى إضلالهم وإذلالهم.

تلك بعض آثار جمعية الإخوان المسلمين العملية، ولا أذكر لك الدروس والمحاضرات والخطب والمقالات والوفود والرحلات والمجامع والزيارات فلعل هذه فى

عرف الناس وسائل قولية، وقد قلنا حتى مللنا القول، وتكلمنا حتى سئمنا الكلام ولم يبق إلا أن نعمل.

ولعلك تعجب حين تعلم أن جمعية الإخوان المسلمين التى قامت بهذه الأعمال العظيمة لم تأخذ إعانة حكومية مرة من المرات ولم تستعن بمال هيئة من الهيئات اللهم إلا خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قناة السويس للجمعية بمناسبة عمارة المسجد والمدرسة بالإسماعيلية.

وإن الناس ليتقولون كثيراً، وليظنون، وبعض الظن إثم، ولينطقون بما ليس لهم به علم وما علينا فى ذلك من بأس وحسبنا أن يعلم الله أن ذلك بتوفيقه وأنها أموال الإخوان الخاصة أُنفقت بإخلاص فأثمرت وبوركت وأتت أكلها كل حين بإذن ربها وحسبنا أن نقول لهم فى عبارة صحيحة واضحة نتحدى بها كل إنسان وكل هيئة وكل شخص كائنًا من كان إن جمعية الإخوان المسلمين لم تستعن فى مشروعاتها بغير أعضائها وهى بذلك جد فخورة تجد لذة التضحية، ونشوة الفرح بالإنفاق فى سبيل الله.

ولعلك تعجب كذلك إذا علمت أن الاشتراك المالى فى جمعية الإخوان المسلمين اختيارى لا إجبارى وأن العضو الذى يتخلف عن دفع الاشتراك لاينقص ذلك من حقوق إخوته شيئًا، ومع أن هذا نص صريح فى القانون الأساسى للجماعة، فإن الإخوان جزاهم الله خيراً يبادرون إلى التضحية فى سبيل الله إذا دعاهم إليها داعى الواجب ويأتون فى ذلك بالعجب العجاب، واسمع أحدثك فى بناء مسجد الإسماعيلية: دعاهم رئيسهم إلى التبرع فقام أحد الأعضاء الصناع وتبرع بجنيه ونصف يدفعها بعد ثلاثة أيام. هو صانع فقير أنَّى له بهذا المبلغ؟ أراد أن يقترض فأبت نفسه وخشى المماطلة. حاول الحصول على هذا من غير هذا الباب فلم يجد السبل مباشرة، ولم يبق أمامه إذن إلا أن يبيع دراجته التى يركبها من منزله إلى محل عمله ومن محل عمله إلى منزله وبينهما ستة كيلومترات، وفعلاً أنفذ الفكرة وأحضر المبلغ فى نهاية الموعد تمامًا فجمع بين الوفاء بموعده والقيام بتبرعه.

ولاحظ رئيس الإخوان أنه صار يتأخر عن درس العشاء ولايدركه إلا بشق النفس، وسأله عن ذلك فلم يجب، فأجاب عنه صديق عرف سره وأخبر الرئيس أنه باع

عجلته ليفى بتبرعه وأصبح يعود على رجليه فيتأخر عن الدرس، وأكبر الرئيس والإخوان فيه هذه الأريحية وأقروا تبرعه كما هو واكتتبوا له فى دراجة جديدة خير من دراجته لتكون عنده ذكرى الإعجاب بهذا الوفاء.

بمثل هذه النفوس التى تمتُّ بصلة إلى نفوس السابقين الأولين من رجال الإسلام الغر الميامين نهضت فكرة الإخوان المسلمين ونجحت مؤسساتهم وتمت مشروعاتهم، إنهم فقراء ولكنهم كرماء، إنهم قليلو المال ولكنهم أسخياء النفوس فهم يجودون بالكثير من هذا القليل فيكون كثيراً وتباركه نعمة الله فيأتى بالخير العميم، ولعلى بهذه الناحية قد كشفت ناحية غمضت على بعض الذين رأوا جهود الإخوان فلم يجدوا لنجاحهم سراً إلا أن يتهموهم باستجداء الهيئات وخدمة المصالح والأغراض وهم والحمد الله من ذلك براء.

(وأما بعد) فهى صفحة من صفحات جهاد الإخوان المسلمين العملى نتقدم بها إلى الذين يريدون أن يزنوا الجماعة بميزان المؤسسات والمشروعات والإخوان دائبون فى أن تصبح هذه الصفحة صفحات يتألف منها إن شاء الله تبارك وتعالى كتاب من أعمال الخير البريئة والنزيهة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى، ولعلهم بذلك يفكرون فى تشجيع هذه الجماعة الماضية قدمًا إلى غايتها تعتمد على ربها وتثق بصدق وعده، وهناك صفحة أخرى سنتحدث عنها إن شاء الله.

***

إعداد الرجال

- ٤ -(١)

رأيت فى المقال السابق أن (جمعية الإخوان المسلمين) كانت فى طليعة الجمعيات المنتجة من حيث المشروعات العامة والمؤسسات النافعة من مساجد ومدارس ولجان خير وبر ودروس ومحاضرات وخطب وعظات وأندية يتنابها القول والفعل.

ولكن الأمم المجاهدة التى تواجه نهضة جديدة وتجتاز دور انتقال خطير وتريد أن تبنى حياتها المستقبلة على أساس متين يضمن للجيل الناشئ الرفاهة والهناءة وتطالب بحق مسلوب وعز مغصوب فى حاجة إلى بناء آخر غير هذه الأبنية.

إنها فى مسيس الحاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة حتى يصمدوا لما يقف فى طريقهم من عقبات ويتغلبوا على مايعترضهم من مصاعب.

إن الرجل سر حياة الأمم ومصدر نهضاتها وإن تاريخ الأمم جميعًا إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها فى إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة، وإنى أعتقد - والتاريخ يؤيدنى - أن الرجل الواحد فى وسعه أن يبنى أمة إن صحت رجولته وفى وسعه أن يهدمها كذلك إذا توجهت هذه الرجولة إلى ناحية الهدم لا ناحية البناء.

وإن الأمم تجتاز أدوارًا من الحياة كتلك الأدوار التى تجتازها الأفراد على السواء، فقد ينشأ هذا الفرد بين أبوين مترفين آمنين ناعمين فلا يجد من مشاغل الحياة ما يشغل باله ويؤلم نفسه ولايطالب بما يرهقه أو يضنيه وقد ينشأ الفرد الآخر فى ظروف عصيبة بين أبوين فقيرين ضعيفين فلا يطلع عليه فجر الحياة حتى تتكدس على رأسه المطالب وتتقاضاه الواجبات من كل جانب وسبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولاملامة!.

---

(١) نشرت بالعدد ١٧ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ.

لقد شاءت لنا الظروف أن ننشأ فى هذا الجيل الذى تتزاحم الأمم فيه بالمناكب وتتنازع البقاء أشد التنازع وتكون الغلبة دائمًا للقوى السابق.

وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه نتائج أغاليط الماضى ونتجرع مرارتها وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا.

وشاءت لنا الظروف كذلك أن نخوض لجة عهد الانتقال الأهوج حيث تلعب العواصف الفكرية والتيارات النفسية والأهواء الشخصية بالأفراد وبالأمم وبالحكومات وبالهيئات وبالعالم كله وحيث يتبلبل الفكر وتضطرب النفس ويقف الربان فى وسط لجة يتلمس الطريق ويتحسس السبيل وقد اشتبهت عليه الأعلام وانطمست أمامه الصور ووقف على رأس كل طريق داع يدعو إليه فى ليل دامس معتكر وظلمات بعضها فوق بعض حتى لانجد كلمة نعبر بها عن نفسية الأمم فى مثل هذا العهد أفضل من (الفوضى).

كذلك شاءت لنا الظروف أن نواجه كل ذلك وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية.

وإن الأمة التى تحيط بها ظروف كظروفنا وتنهض لمهمة كمهمتنا وتواجه واجبات كتلك التى نواجهها لاينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأمانى وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف، وصراع قوى شديد بين الحق والباطل وبين النافع والضار وبين صاحب الحق وغاصبه وسالك الطريق وناكبه وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين وإن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد والجهد هو التعب والعناء وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره وعند الصباح يحمد القوم السرى.

وليس للأمة عدة فى هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة والعزيمة القوية الصادقة والسخاء والتضحيات والإقدام عند الملمات وبغير ذلك تُغلب على أمرها ويكون الفشل حليف أبنائها.

ومع أن ظروفنا هى ما علمت فإن نفوسنا لاتزال تلك النفوس الرخوة اللينة المترفة الناعمة التى تجرح خديها خطرات النسيم ويدمى بنانها لمسات الحرير. وفتياتنا وفتياننا

وهم عدة المستقبل ومعقد الأمل لايزال حظ أحدهم أو إحداهن مظهراً فاخراً أو أكلة طيبة أو حلة أنيقة أو مركبًا فارهًا أو وظيفة وجيهة، أو لقبًا أجوف وإن اشترى ذلك بحريته وإن أنفق عليه من كرامته وإن أضاع في سبيله حق أمته.

وهل رأيت أولئك الشبان الذين تنطق وجوههم بسمات الفتوة وتلوح على محياهم مخايل النشاط ويجرى فى قسماتهم ماء الشباب المشرق الرقراق وهم يتذللون على أبواب رؤساء المصالح والدواوين بأيديهم طلبات الوظائف، وهل رأيتهم يتوسلون بالصغير والكبير ويرجون الحقير والأمير ويوسّطون من سعاة المكاتب وحجاب الوزارات فى قضاء المآرب وقبول الطلبات، وهل تظن ياعزيزى القارئ أن هذا الشباب إذا أسعفه الحظ وتحقق له الأمل والتحق بوظيفة من هذه الوظائف الرسمية يفكر يومًا من الأيام فى تركها أو التخلى عنها فى سبيل عزة أو كرامة وإن سيم الخسف وسوء العذاب؟.

نفوسنا الحالية فى حاجة إلى علاج كبير وتقويم شامل وإصلاح يتناول الشعور الخامد والخلق الفاسد والشح المقيم وإن الآمال الكبيرة التى تطيف برءوس المصلحين من رجالات هذه الأمة والظروف العصيبة التى تجتازها تطالبنا بإلحاح بتجديد نفوسنا وبناء أرواحنا بناء غير هذا الذى أبلته السنون وأخلقته الحوادث وذهبت الأيام بما كان فيه من مناعة وقوة، وبغير هذه التقوية الروحية والتجديد النفسى لايمكن أن نخطو إلى الأمام خطوة.

إذا علمت هذا وكنت معى فى أن هذا المقياس أصح وأدق فى نهضات الأمم والشعوب فاعلم أن الغرض الأول الذى ترمى إليه جمعيات الإخوان المسلمين (التربية الصحيحة) تربية الأمة على النفس الفاضلة والخلق النبيل السامى، وإيقاظ ذلك الشعور الحى الذى يسوق الأمم إلى الذود عن كرامتها والجد فى استرداد مجدها وتحمل كل عنت ومشقة فى سبيل الوصول إلى الغاية.

ولعلك تسأل بعد هذا وما الوسائل التى اتخذها الإخوان المسلمون لتجديد نفوسهم وتقويم أخلاقهم؟ وهل جرب الإخوان هذه الوسائل؟ وإلى أى مدى نجحت تجربتهم؟.

وموعدنا الكلمات التالية إن شاء الله.

تحديد الوسيلة واعتماد المبدأ

- ٥ -(١)

قد علمت أيها القارئ الكريم أن الإخوان المسلمين يقصدون أول ما يقصدون إلى تربية النفوس وتجديد الأرواح وتقوية الأخلاق وتنمية الرجولة الصحيحة فى نفوس الأمة ويعتقدون أن ذلك هو الأساس الأول الذى تبنى عليه نهضات الأمم والشعوب.

ولقد استعرضوا وسائل ذلك وطرائق الوصول إليه فلم يجدوا فيها أقرب ولا أجدى من الفكرة الدينية ولا الاستمساك بأهداب (الدين).

الدين - الذى يحيى الضمير ويوقظ الشعور وينبه القلوب ويترك مع كل نفس رقيبًا لايغفل وحارسًا لايسهو وشاهدًا لايجامل ولا يحابى ولايضل ولاينسى يصاحبها فى الغدوة والروحة والمجتمع والخلوة ويرقبها فى كل زمان ويلحظها فى كل مكان ويدفعها إلى الخيرات دفعًا ويدعها عن المآثم دعًا ويجنبها طريق الزلل ويبصرها سبيل الخير والشر ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]

الدين - الذى يجمع أشتات الفضائل ويلم أطراف المكارم ويجعل لكل فضيلة جزاءً ولكل مكرمة كفاءً ويدعو إلى تزكية النفوس والسمو بها وتطهير الأرواح وتصفيتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

الدين - الذى يدعو إلى التضحية فى سبيل الحق والفناء فى إرشاد الخلق ويضمن لمن فعل ذلك أجزل المثوبة ويعد من سلك هذا النهج أحسن الجزاء ويقدر الحسنة وإن صغرت ويزن السيئة وإن حقرت ويبدل الفناء فى الحق خلودًا، والموت فى الجهاد وجودًا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

---

(١) نشرت بالعدد ١٨ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ.

أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء: ٤٧].

الدين - الذى يشترى من المرء هذه الأعراض الدنيوية وتلك المظاهر المادية بسعادة تمتلئ بها نفسه ويهنأ بها قلبه من فضل الله ورحمته ورضوانه ومحبته ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٩٦].

الدين - الذى يجمع كل ذلك ثم هو بعد يصافح الفطرة ويمازج القلوب ويخالط النفوس فيتّحد بهاوتتحد به ويتخلل ذرات الأرواح ويساير العقول فلا يشذ عنها ولاتنبو عنه، يهش له الفلاح فى حقله ويفرح به الصانع فى معمله ويفهمه الصبى فى مكتبه ويجد للذته وحلاوته العالم فى بحوثه ويسمو بفكرته الفيلسوف فى تأملاته وهل رأيت على نفوس البشر أقوى سلطانًا من الدين؟ وهل رأيت فى تاريخ البشرية أعظم تأثيرًا فى حياة الأمم والشعوب منه؟ وهل رأيت للفلاسفة والعلماء ماكان من التأثير البليغ للمرسلين والأنبياء؟.

لا وأبيك، فإنما الدين قبس من روح الله السارية فى ذرات هذه النفوس وفطرها يضىء ظلامها وتشرق بنوره ويأوى إليها فتهش له فإذا تمكن منها كان كل شىء له فداء ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٢٤].

الدين - الذى يسمو بقدسيته وجلاله فوق كل نفس ويعلو على كل رأس ويجل عن الاختلاق ويتنزه عن التقليد والمحاكاة فيوحد بذلك بين القلوب ويؤلف بين النفوس ويقطع مادة النزاع ويحسم أصول الخلاف ويزيد ذلك ثباتًا وقوة بتوجيه القلوب إلى الله وحده وصرف النفوس عن الأغراض والمطامع والشهوات واللذائذ والسمو بالمقاصد والأعمال إلى مراتب المخلصين الصادقين الذين يبتغون بعملهم وجه الله لايرجون من ورائه جزاءً ولاشكورًا ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣]

الدين - الذى يسمو بالوفاء إلى درجة الشهادة ويعده فريضة يُسأل بين يدى الله

عنها وفضيلة يُتقرّب إلى الله بها ودليلاً على الرجولة الكاملة والعزيمة الصادقة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

الدين - مجتمع الفكر الصائبة ومعقدُ الآمال المتشعبة ورمز الأمانى الفردية والاجتماعية والقومية والعالمية وذلك تعبير له تعبير ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

رأى قوم أن يصلحوا من أخلاق الأمة عن طريق العلم والثقافة ورأى آخرون أن يصلحوه عن طريق الأدب والفن ورأى غيرهم أن يكون هذا الإصلاح عن طريق الرياضة وكل أولئك أصابوا فى تحديد معانى الألفاظ أو أخطأوا، وسددوا أو تباعدوا وليس هذا مجال النقد والتحديد ولكن أريد أن أقول إن الإخوان المسلمين رأوا أن أفعل الوسائل فى إصلاح نفوس الأمم (الدين) ورأوا إلى جانب هذا أن الدين الإسلامى جمع محاسن كل هذه الوسائل وبعد عن مساويها فاطمأنت إليه نفوسهم وانشرحت به صدورهم وكان أول وسائلهم العملية فى تطهير النفوس وتجديد الأرواح (تحديد الوسيلة واختيار المبدأ) وعلى هذا الأساس وضعت (عقيدة الإخوان المسلمين) مستخلصة من كتاب الله وسنة رسوله لاتخرج عنهما قيد شعرة وفرض الإخوان على أنفسهم حفظها والتزام حدودها وتنفيذ نصوصها والقيام بتعهداتها وأعتقد أنها وسيلة عملية فى تربية النفوس وتقويم الأخلاق وبهذه المناسبة أذكّر كل أخ مسلم بأن من واجبه أن يحفظ عقيدته ويعمل على إنفاذ ماتستلزمه من تعهدات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

* * *

منزلة الصلاة

-٦-(١)

قد علمت أعزك الله أن الإخوان المسلمين رأوا فى الإسلام أفضل الوسائل لتهذيب نفوسهم وتجديد أرواحهم وتزكية أخلاقهم فاقتبسوا من نوره عقيدتهم واغترفوا من فيضه مشربهم، وأنت جد عليم بأن منزلة الصلاة من الإسلام منزلة الرأس من الجسد فهى عماده ودعامته وركنه وشعيرته ومظهره الخالد وآيته الباقية وهى مع ذلك قرة العين وراحة الضمير وأنس النفس وبهجة القلب والصلة بين العبد والرب والمرقاة تصعد برقيها أرواح المحبين إلى أعلى علىيين فتنعم بالأنس وترتع فى رياض القدس وتجتمع لها أسباب السعادة من عالمى الغيب والشهادة وتلك بارقة تسطع فى نفس من قدح زنادها وحلاوة يستشعرها من تذوق مشهدها وهل رأيت بربك أعذب وأحلى وأروع وأجلى من مظهر ذلك الخاشع العابد الراكع الساجد القانت آناء الليل يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقد نامت العيون وهدأت الجفون واطمأنت الجنوب فى المضاجع وخلا كل حبيب بحبيبه ونادى منادى العارفين من المحبين:

سهر العيون لغير وجهك ضائع ... وبكاؤهن لغير فقدك باطل

يا أخى إن موقفًا واحدًا من هذه المواقف أنفع للقلب وأفعل فى النفس وأزكى للروح من ألف عظة قولية وألف رواية تمثيلية وألف محاضرة كلامية، وجرب تر.

ولأمر ما كان ذلك فى لسان القرآن آية الإحسان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[الذاريات: ١٦ - ١٨]

ولأمر ما كان أجر هؤلاء شيئًا خفيًا ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ألم يكن عملهم خفيًا كذلك وهل تصلح الخلوات فى حضرة الرقباء وهل يلذ لمحب فى غير خلوة نجاء؟ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولقد حدثوا أن أبا القاسم الجنيد رؤى بعد وفاته فقيل له: مافعل الله بك؟

(١) نشرت بالعدد ٢١ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣هـ.

فقال: طاحت الإشارات وفنيت العبارات وغابت الرسوم وضاعت العلوم ومانفعنا إلا ركعات كنا نركعها فى جوف الليل.

لاتستغرب أيها القارئ الكريم فما نفع القلب خير من خلوة يدخل بها ميدان فكرة وماتركت النفس بأفضل من ركعات خاشعات تجلو القلوب وتقشع صدأ الذنوب وتغسل درن العيوب وتقذف فى القلب نور الإيمان وتثلج الصدر ببرد اليقين. والمسلمون فى هذا العصر أمام الصلاة طرائق قدد وطوائف بدد، فمنهم قوم أضاعوها وأهملوها وتركوها وجهلوها وإذا ذكرتهم بأمرها أو خضت معهم فى شأنها لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ويحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم، ولا أحب أن أقول إن منهم من ينهى عنها ويحقر من أدَّاها ويصفه بالرجعية والتأخر، والجمود والتقهقر وإنك لتسمع من هؤلاء وأشباههم أذى كثيراً ومزاعم غريبة وكلامًا تعجب منه وتندهش له وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿فويل للمصلين (٤) الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٤، ٥].

وإنه ليزداد عجبك ويتضاعف اندهاشك حين تعلم أن من الذين يعملون لدعوة الإسلام ويتصدرون كراسى الدفاع فى القضية الإسلامية من يهمل أمر الصلاة ويصغر من شأنها كأن النبى ﷺ لم يصرح بأنها عماد الدين وفريضة المؤمنين وكأنهم لم يسمعوا قوله ﷺ «ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك»[1].

ولسنا نحاول أن نقنع هؤلاء بما هو أوضح من الصبح وأجلى من الضوء وأظهر من الشمس، ولكنا نسأل الله لنا ولهم الهداية وتمام التوفيق ونحن بعد هؤلاء أمام صنفين من المسلمين:

- الغالبية العظمى والكثرة الساحقة وهؤلاء يؤدون صلاة آلية ميكانيكية ورثوها عن آبائهم واعتادوها بمرور الأيام وكر الأعوام لايتعرفون أسرارها ولايستشعرون آثارها وحسب أحدهم أن يلفظ الكلمات ويأتى بالحركات ويسرد الهيئات ثم ينصرف معتقدًا أنه أدى الفريضة وأقام الصلاة وخلص من العقوبة ونال الثواب.

هذا وهم لاحقيقة له وليست هذه الأقوال والأفعال من الصلاة إلا جسمًا روحه

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بعلامة الصحة.

الفهم وقوامه الخشوع وعماده التأثر، وقد ورد في الحديث «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه... إلخ»[1].

ولهذا رأيت أكثر الناس لاينتفعون بصلاتهم ولاينتهون بها عن الفحشاء والمنكر مع أنها لو كملت لأثمرت تزكية النفس وتطهير القلب ولمنعت صاحبها اقتراف الآثام وغشيان المحارم.

- وصنف ثان من الناس وهو قليل نادر فهم هذه المعانى من أسرار الصلاة فهو جاد فى تحقيقها عامل على استكمالها يصلى بخشوع وتدبر واطمئنان وتفكر ويخرج من صلاته وقد تذوق حلاوة العبادة وتأثر بمشاعر الطاعة واستنار بنور الله الذى يتجلى به على من وصلوا نفوسهم بجلال معرفته وفى الحديث «من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتنى، ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولاسجودها ولاخشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفت كما يُلف الثوب الخَلِق فيضرب بها وجهه»[2].

ولهذا تفاوتت درجات الناس واختلف ثوابهم وإن اتحدت الصلاة شكلاً ومظهراً وقولاً وفعلاً، ولهذا كانت عناية السلف الصالحين رضوان الله عليهم عظيمة بإحضار قلوبهم فى صلواتهم وتمام خشوعهم فى عباداتهم ولهذا كان أول وصف وُصف به المؤمنون ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢].

علم الإخوان المسلمون هذا فأخذوا أنفسهم به وحاولوا أن يدرجوا عليه وكان أهم مظهر من مظاهرهم العملية أن يحسنوا الصلاة وهم يعتقدون أنهم بهذا يسلكون أقرب السبل إلى تجديد النفوس وتطهير الأرواح ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣]

فأيها الأخ المسلم تفهم جيداً وكن مثال الإحسان فى صلاتك واعتقد أن أول الخطوات العملية فيما بيننا أن نحسن الصلاة.

---

(١) ورد من رواية الترمذى والنسائى.

(٢) الحديث رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ورواه الطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت.

والزكــاة

- ٧ -[1]

هما فريضتان جعلهما الله سياج الملة ومظهر الشريعة وقرن بينهما فى كثير من آيات كتابه الكريم تنبيهًا على عظيم فضلهمـا وإظهاراً لجلالة قدرهما همـا الصلاة والزكاة فبـالأولى صلاح ما بينك وبين الله، وبالثـانية صلاح مـا بينك وبين الخلق، وهل فى الوجـود إلا خالق ومـخلوق، فإذا صلح شـأنك معـهمـا فقـد بلغت غاية الـصلاح ووصلت إلى ذروة الســعادة، ولئن كانت الصـلاة مطَهّرةَ النفس وتصـفيـة الروح فإن الزكاة مطهرة المال، وتصفية الكسب ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ولقد جعل الله تبـارك وتعالى الصلاة والزكاة مظهـر الإيمان ودليل صحة العـقيدة وأشـار القـرآن إلى ذلك فى الآية الكريمـة ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١] وهو بمفهومه يدل على أن من قصر فى أداء الصلاة والزكاة فليس من الإخـوان فى الدين وكأن هذا المعنى هو الذى فهـمه أبو بكر رضى الله عنه حين قاتل مانعى الزكاة وأقره عليه صحابة رسول الله ﷺ وأطلق على كثير ممن منعوا الزكاة المرتدون، وروى الســتة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لما توفى النبى ﷺ وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر رضى الله عنهما كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فـقد عصم منى ماله ونفســه إلا بحقه وحســابه على الله تعالى»؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه: والله لأقاتلن من فـرق بين الصلاة والزكاة فإن الصـلاة حق الله والزكاة حق المال والله لو منعونى عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسـول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عـمر: فوالله مـاهو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبى بكـر للقتال فـعرفت أنه الحق»، وفى رواية «عقالا» والعناق: الأنثى من ولد المعز، والعـقال: الحبل الذى تقيد به الدابة.

---

(١) نشرت بالعدد ٢٢ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٣ هـ .

فانظر يرعاك الله كيف عبر أبو هريرة رضى الله عنه عن مانعى الزكاة بقوله (وكفر من كفر) وكيف رأى أبو بكر أن منع الزكاة هدم للدين يستوجب قتال مانعها وإن شهد أن لا إله إلا الله وكيف أقر عمر رأى أبى بكر وعرف أنه الحق، ولقد توعد الله ورسوله مانعى الزكاة أشد الوعيد فقال تبارك وتعالى: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك أنا كنزك» والشجاع الأقرع الثعبان الخطر واللهزمتان الشدقان، وفى الحديث كذلك «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التى جعلت لنا فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى لأدنينكم ولأبعدنهم» وإنما كان ذلك كذلك لأن الزكاة نظام المشروعات وقوام الأعمال النافعة وتقويم الفطرة الشحيحة تعود السخاء وتدرب على القصد وتطبع القلوب على الحب، وتدعو النفوس إلى الألفة وتنزع الأغلال والأحقاد وتدعو إلى التعاون والتساند فى الخيرات وتجنب أصول الشرور والمفاسد وتخمد نار الثورات والفتن وكل امرئ يولى الجميل محبب، ومن وجد الإحسان قيدًا تقيد.

والزكاة مهمة من مهمات الحاكم، عليه القيام بجمعها وتنظيم تحصيلها والإشراف على إنفاقها فى مصارفها التى جعلها الله لها ولو أن الحكومات الإسلامية عنيت بشأن الزكاة لكانت لها موردا طيبًا يغنيها عن الضرائب الجائرة والمكوس الظالمة ولأحيت بذلك فريضة ضائعة وركنًا مهملاً من أركان الإسلام فأما إذا نسيت الحكومات الإسلامية واجبها حيال الزكاة جمعًا وإعطاءً فإن على الأفراد أن يقوموا بإحياء هذه الشعيرة وإعادة هذه الفريضة وإخراج حق الله لعيال الله فمن قصر فى ذلك فإثمه على نفسه وجريرته فى عقبه وجزاؤه أليم عند ربه.

وها أنت ترى أن أفراد المسلمين تغافلوا عن حق الله فى أموالهم ولم يخرجوا نصيب الفقراء من إيرادهم مما قطع العلائق وأكثر الجرائم ولوث النفوس وزاد أحقادها وأضغانها.

رأى الإخوان المسلمون ذلك فأرادوا أن يكونوا الرعيل الأول يضربون للناس المثل العليا عمليًا فى إحياء هذا الركن ويبدأون بأنفسهم فيخرجون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم فإذا نجحوا فى ذلك كانوا حجة على المقصرين ودليلاً للراغبين ودعاة للقاعدين وقد سبقت إلى الخير فى هذا الشأن برمبال القديمة من أعمال مديرية الدقهلية بالقطر المصرى فجمعت الزكاة وصرفتها فى مصارفها التى جاءت بها الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولقد كنت عظيم الإشفاق شديد الخوف من انقسام الوحدة وانصداع الكلمة لأن فى المسلمين الآن خصال تحول دون اجتماعهم على مثل هذا الخير ولاسيما إذا اتصل بالمادة والمال فما بالك إذا كان المشروع من أساسه ماليًا؟ كنت أخشى على إخوان برمبال شح الأغنياء وغلهم أيديهم عن الإعطاء وتهم الظنيين الذين يختلقون لكل شىء عيبًا ولو كان هو الكمال مجسمًا فيلمزون المطوعين بالرياء ويلمزون الجامعين بالمحاباة وجشع الآخذين الذين يود أحدهم أن لو كان ما جمع له كله ليس لغيره منه نصيب والعادات المتوارثة التى درجنا عليها والتى تجعل كل بيت ممن بقيت فيهم بقية من المحافظة على إخراج الزكاة يفضل أن يشرف بنفسه على صرف زكاة ماله ولايؤثر بذلك غيره مهما كان لهذا الإيثار من فائدة.

كنت أخشى على إخوان برمبال هذه المعوقات الأربعة وهى واضحة ملموسة فى مجتمعاتنا مما يبكى ويؤسف، ولكن إخوان برمبال وأهل برمبال كانوا أرفع من ذلك وأسمى فقرت بهم العين وسعدت بهم النفس واطمأن بعملهم القلب وأثبتوا للناس أن الطهارة إن خالطت نفوسهم والثقة إن تبودلت بينهم كفيلان بتذليل كل عقبة. لقد كان أغنياء برمبال أرفع من أن يمتنعوا عن أداء حق الله إذ داعى الزكاة بهم أهابا، ولقد كان فقراء برمبال أرفع من أن تمتد أعينهم إلى حقوق إخوانهم فما هو إلا أن وصل إلى كل منهم ما قسم له من الزكوات المجموعة التى سرت نفسه ولهج لسانه بالدعاء للمزكين وللمنظمين، ولقد كان إخوان برمبال أحكم وأحزم بتوفيق الله تعالى من أن يدعوا للتهم مجالاً وللظنة شبهة فتكونت منهم لجنة أولى لعمل الكشوف بالمستحقين أخذ عليها العهد والميثاق ألا تحابى ولاتجامل ولاتفشى سراً ولاتظهر عورة ثم تلتها لجنة أخرى للفحص عن هذه الكشوف ومراجعتها والتثبت من صحتها ثم لجنة رابعة

لمراجعة هذا التقرير وإقراره ثم لجنة خامسة للقيام بالتوزيع عمليًا، وكان هذا النظام الدقيق الموفق مدعاة إلى الإعجاب والفرح من كل من شاهدوه أو عملوا به أو رأوا آثاره الرضية فى نفوس برمبال وجيران برمبال، وكان أهل برمبال بعد ذلك أكبر من العادات وأسمى من القيود فاتبعوا الرشد وآثروا التعاون وضربوا فى ذلك أروع المثل فى تحقيق أمنية كنا نحلم بها من زمن بعيد.

أفلست ترى أيها القارئ بعد هذا البيان أن الإخوان المسلمين قوم عمليون؟ .

وأفلا يرى الإخوان المسلمون فى ذلك تحقيقًا لآمالهم فيعملوا على أن نسمع فى القريب عن هذه الخطوات الموفقة فى بقية الشعب النشيطة؟ ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

* * *

الجهاد عزنا

- ٨ - [1]

مر الأسبوع الفائت ولم أناج القراء الكرام فيه بهذه الخطرات التى تمليها العاطفة ويفيض بها القلب عن جهود الإخوان المسلمين ولا أكتم القراء الكرام أنى وجدت لذلك ألم الحرمان ووخز الضمير لا لأننا نحب أن نرائى الناس بعملنا أو نظهرهم على جهودنا فقد يعلم الله أن الإخوان المسلمين يعملون حين يعملون وهم يبتغون وجه الله ويريدون بذلك رضوانه ولاينتظرون من أحد جزاءً ولاشكوراً ويعتقدون أنهم إنما يقومون ببعض مايوجبه الإسلام على أبنائه ولايزالون بعد مقصرين. وإنما نحب أن نبلغ الناس دعوتنا ونحدد لهم وجهتنا ونكشف لهم عن حقيقتنا لعلنا نجد منهم أعوانًا على الخير وهداة إلى البر فيتضاعف النفع ويقرب المدى وتدنو الغاية ويتحقق مانرجو من إصلاح شامل وإنقاذ عاجل وإن كل يوم يمضى لاتعمل فيه الأمة عملاً للنهوض من كبوتها يؤخرها أمداً طويلا وإن فى دعوة الإخوان لو فقهها الناس لمنقذًا، وإن فى منهاجهم لو اتبعته الأمة لنجاحًا، وإن فى جهودهم لو أعينوا عليها لأملاً، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وبعد فقد ورد فى الصحيح مامعناه أن معاذًا رضى الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ فقال له: «إن شئت يامعاذ حدثتك برأس هذا الأمر وذروة السنام منه، إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإن قوام هذا الأمر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإن ذروة السنام منه الجهاد فى سبيل الله، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل والذى نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم فى عمل تبتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد فى سبيل الله ولا أثقل ميزان عبد كدابة تنفق (أى تموت) فى سبيل الله أو يُحمل عليها فى سبيل الله» ذلك تعريف النبى ﷺ للإسلام وهو أعرف الناس بالإسلام، وإن الإخوان المسلمين لايحملون الناس على غير الإسلام ومبادئ الإسلام

---

(١) نشرت بالعدد ٢٤ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٩ رجب ١٣٥٣ هـ .

ولايتهجون إلا مناهج الإسلام وشعاب الإسلام، وقد حدثتك عنهم فى الصلاة والزكاة وما يريدون من أنفسهم ومن الناس حيالها وهى قوام الأمر ودعامته فلأتحدث إليك الآن عن الإخوان المسلمين المجاهدين وماذا يريدون من أنفسهم ومن الناس حيال الجهاد فى سبيل الله وهو فى الإسلام ذورة السنام.

من الجهاد فى الإسلام أيها الحبيب عاطفة حية قوية تفيض حنانًا إلى عز الإسلام ومجده وتهفو شوقًا إلى سلطانه وقوته وتبكى حزنًا على ما وصل إليه المسلمون من ضعف وماوقعوا فيه من مهانة وتشتعل ألمًا على هذا الحال الذى لا يرضى الله ولا يرضى محمدًا ﷺ ولا يرضى نفسًا مسلمة وقلبًا مؤمنًا «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» كما ورد فى الحديث الصحيح.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان فى القلب إسلام وإيمان

ومن الجهاد فى سبيل الله أيها الحبيب أن يحملك هذا الهم الدائم والجوى اللاحق على التفكير الجدى فى طريق النجاة وتلمّس سبيل الخلاص وقضاء وقت طويل فى فكرة عميقة تمحص بها سبل العمل وتتلمس فيها أوجه الحيل لعلك تجد لأمتك منفذًا أو تصادف منقذًا ونية المرء خير من عمله والله يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور، ومن الجهاد فى سبيل الله أيها الحبيب أن تنزل عن بعض وقتك وبعض مالك وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام وبنى المسلمين فإن كنت قائدًا ففى مطالب القيادة تنفق وإن كنت تابعًا ففى مساعدة الداعين تفعل وفى كل خير وكلاً وعد الله الحسنى، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين (١٢٠) ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١] ومن الجهاد فى سبيل الله أيها الحبيب أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تنصح لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم وأن تدعوا إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وماترك قوم التناصح إلا ذلوا وما أهملوا التآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر

إلا خذلوا ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[المائدة: ٧٨].

ومن الجهاد فى سبيل الله أيها الأخ الحبيب: أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة ولامعاملة ولامؤاكلة ولامشاربة وفى الحديث: «إن أول مادخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجلُ يلقى الرجل فيقول: ياهذا اتّقِ الله ودَعْ ماتصنع فإنه لايحل لك. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلَهُ وشريبَهُ وقعيدَه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض».

ومن الجهاد فى سبيل الله أيها الحبيب أن تكون جنديًا لله تقف له نفسك ومالك ولاتبقى على ذلك من شيء فإذا هدد مجد الإسلام وديست كرامة الإسلام ودوى نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام كنت أول مجيب للنداء أو متقدم للجهاد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[التوبة: ١١١].

وفى الحديث: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم وأبو داود والنسائى، وبذلك يتحقق مايريد الله من نشر الإسلام حتى يعم الأرض جميعًا.

ومن الجهاد فى سبيل الله أيها الحبيب - أن تعمل على إقامة ميزان العدل وإصلاح شئون الخلق وإنصاف المظلوم والضرب على يد الظالم مهما كان مركزه وسلطانه، وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر» رواه أبو داود والبخارى بمعناه، وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

ومن الجهاد فى سبيل الله تبارك وتعالى إن لم توفق إلى شيء من ذلك كله، أن تحب المجاهدين من كل قلبك وتنصح لهم بمحض رأيك وقد كتب الله لك بذلك الأجر وأخلاك من التبعة ولاتكن غير ذلك فيطبع على قلبك ويؤاخذك أشد المؤاخذة ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا

لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢) إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ [التوبة: ٩١ - ٩٣].

وبعد، فهذه بعض مراتب الجهاد فى الإسلام ودرجاته، فأين الإخوان المسلمين من هذه الدرجات؟ فأما إنهم محزونون لما وصل إليه المسلمون اليوم للذلك أشد الألم فعلم الله أن أحدهم يجد من ذلك مايذيب لفائف قلبه وينال من أعماق نفسه ويحز فى قرارة فؤاده ويمنعه فى كثير من الأحيان الأنس بأهله وإخوانه والمتعة بكل ما فى الوجود من لذة وجمال، وأما أنهم فى سبيل الخلاص فعلم الله أنه ما من فكرة تحتل أفكارهم وما من خطة تستهوى عواطفهم وما من شأن يشغل عقولهم كهذا الشأن الذى ملك عليهم رؤوسهم وقلوبهم واستبد منهم بشعورهم وتفكيرهم.

وأما أنهم يبذلون فى هذا السبيل وقتًا ومالاً فحسبك أن تزور ناديًا من أنديتهم لترى عيونًا أذبلها السهر ووجوهًا أشحبها الجهد وجسومًا أضناها النصب وأخذ منها الإعياء على أنها فتية بإيمانها قوية بعقيدتها، وشبانًا يقضون ليلهم إلى مابعد انتصافه مكبين على المكاتب عاكفين على المناضد وأترابهم فى لهوهم وأنسهم ومتعتهم وسمرهم ورب عين ساهرة لعين نائمة وإنما نحتسب ذلك عند الله ولانمن به ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات: ١٧]، فإذا سألت عن المال الذى ينفق على دعوتهم فما هو إلا مالهم القليل يبذلونه فى سخاء ورضاء وراحة وطمأنينة وإنهم ليحمدون الله إذا ترقَّت تضحيتهم بالمال من درجة السخاء بكماليات العيش إلى درجة الاقتصاد من ضرورياته وإنفاق ما يقتصد فى سبيل الدعوة ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر: ٩]، وما أسعدنا أن يقبل الله منا ذلك وهو منه وإليه.

وأما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقد بدأوا فى ذلك بأنفسهم ثم بأسرهم وبيوتهم ثم بإخوانهم وأصدقائهم وهم يتذرعون فى ذلك بالصبر والأناة والحكمة والموعظة، وهل ترى جريدتهم هذه إلا مظهرًا من مظاهر الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر وهل ترى عظاتهم وأقوالهم إلا سبيلاً فى هذه السبيل؟ وأما ما بقى من درجات الجهاد فواجب الجماعة فعلى الجماعة أن تجيب وأن الإخوان المسلمين فى ذلك الرعيل الأول لايدخرون وسعًا ولايحتجزون جهداً وهم يعلمون منزلة ذلك من الإسلام ويعلمون أن النبى ﷺ قال: «من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة» رواه الترمذى وابن ماجه، وهم يسألون الله أن يوفقهم إلى لقائه وليس بهم ثلمات وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين﴾ [النساء: ٨٤]، وإنا لنرجو أن نكون بذلك قد أبلغنا الجماعة وأن يكون هذا الصوت قد وصل إلى نفوسهم فوجد منها خصوبة يزداد بها عدد العاملين وتنتظم معها صفوف المجاهدين ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *



حق القرآن

- ٩ -(١)

ما رأيت ضائعًا أشبه بمحتفظ به ولا مهملاً أشبه بمُعْنَى بشأنه من القرآن الكريم فى أمتنا هذه: أنزل الله القرآن الكريم كتابًا محكمًا ونظامًا شاملاً وقوامًا لأمر الدين والدنيا ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وأعتقد أن أهم الأغراض التى تجب على الأمة الإسلامية حيال القرآن الكريم ثلاثة مقاصد:

أولها: الإكثار من تلاوته والتعبد بقراءته والتقرب إلى الله تبارك وتعالى به

وثانيها: جعله مصدرًا لأحكام الدين وشرائعه منه تؤخذ وتستنبط وتستقى وتتعلم.

وثالثها: جعله أساسًا لأحكام الدنيا منه تستمد وعلى مواده الحكيمة تطبق.

تلك أهم المقاصد والأغراض التى أنزل الله لها كتابه وأرسل به نبيه وتركه فينا من بعده واعظاً ومذكراً وحكمًا عدلاً وقسطاسًا مستقيمًا، ولقد فهم السلف رضوان الله عليهم هذه المقاصد فقاموا بتحقيقها خير قيام فكان من يقرأ القرآن فى ثلاث، ومنهم مَنْ يقرأه فى سبع، ومنهم من يقرأه فى أقل من ذلك أو أكثر، ولقد كان بعضهم إذا شُغل عن ورده من القرآن نظر فى المصحف وقرأ بعض الآيات الكريمة وقال: حتى لا أكون ممن اتخذوا القرآن مهجوراً فكان القرآن ربيع قلوبهم وورد عبادتهم يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ورضى الله عن الخليفة الثالث الذى لم يبل المصحف والحصار على بابه والسيف على عنقه:

تمنى كتاب الله أول ليله   وآخره لاقى حمام المقادر

ويرحم الله ذلك الذى لم يجد فى رثائه أفضل من أن يقول:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا

وأنت إذا رجعت إلى سيرهم لم تجد واحداً منهم هجر كتاب الله أو ترك تلاوته

---

(١) نشرت بالعدد ٢٦ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٢٣ رجب سنة ١٣٥٣هـ.

أسبوعًا واحدًا فضلاً عن شهر كامل فضلاً عن السنين والأعوام ولاأحب أن أطيل عليك بما أشرقت به كتب السير واستنارت بضوء سناه صحائف كتب التاريخ.

وهم حينما أرادوا أن يستنبطوا أحكام دين الله كان القرآن أول المصادر وما الأول إذن إن لم يكن كتاب الله؟ وها أنت ترى أن المصطفى ﷺ قد أقر معاذًا حين سأله بم يحكم؟ فقال: بكتاب الله وبدأ به ثم ثنى بالسنة المطهرة، وقد علمت أن عمر رضى الله عنه حظر على كثير من الصحابة الكرام أن يحدثوا الناس وهم حديثو عهد بالإسلام بالأحاديث والوقائع حتى يفقهوهم فى كتاب الله أولاً ويفقهوهم على حلاله وحرامه، وقد علمت كذلك أن الأئمة من صدور التابعين وتابعيهم بإحسان أمثال سعيد بن المسيب ماكانوا يسمحون للناس بتدوين فتاويهم حذر الانصراف بأقوالهم عن كتاب الله، ولقد مزق سعيد الصحيفة من يد من دوّن إفتاءه وقال: تأخذ كلامى وتدع كتاب الله ثم تذهب تقول قال سعيد! قال سعيد! عليك بكتاب الله وسنة رسوله.

أفلست ترى من هذا وغيره أن السلف الصالحين رضوان الله عليهم قد جعلوا كتاب الله تعالى أصل الأصول التى يستنبطون منها دين الله وأحكامه.

وماكانت أحكام الدنيا عندهم إلا وفق ما يأمر به ونزولاً على حكمه حقوق تؤدى وحدود تقام وأحكام تنفذ وأوامر تسرى لا إلغاء ولاتعطيل ولاتعليل ولاتأويل. كذلك كان، يوم كان الإسلام غضًا طريًا، وثمر الدين بالغًا جنيًا، ويوم فهم المسلمون حكمة وجود القرآن بينهم كما علمهم رب القرآن ونبى القرآن ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

ثم دالت تلك الدولة وذهب ما كان للقرآن على عقول الناس وألبابهم من صولة وسرت فى ألسنتهم وعقولهم لوثة العجمة فإذا هم فى ناحية والقرآن فى ناحية أخرى وبين الناحيتين بُعد المشرقين.

سارت مشرقًا وسرت مغربًا ... شتان بين مشرق ومغرب

فأما التعبد بتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار فالنذر اليسير منا من عنى بذلك وعمل عليه، وأما بقية المتعبدين فلهم فيما وضعوا لأنفسهم ووضع لهم شيوخهم من أوراد وأحزاب ووظائف وصلوات ماتركوا به كتاب الله وأحلوه محله حفظًا واهتمامًا

وتعبداً وتلاوة وترديداً وتكراراً، ومانحرّم تلاوة الأوراد الصحيحة ولانحول بين الناس والأدعية والأحزاب التى لاتخالف ظاهر الشريعة ولكن نقول لهم كتاب الله أولى، أولاً رتبوا على أنفسكم منه أحزابًا تصل قلوبكم به وتربط أرواحكم بفيضه وإشراقه ثم اذكروا الله بعد ذلك بما شئتم من الصيغ التى تنطبق على أحكام الدين، أما أن تهملوا القرآن جملة وتجعلوا عبادتكم كلها مما وضعتم لأنفسكم أو وضع غيركم لكم فترك لكتاب الله وإهمال لحقوقه.

أما استنباط الأحكام منه فقد وقع الناس فى جهالة بكتاب الله تجعل بينهم وبين ذلك حجابًا كثيفًا وسدًا منيعًا مما اضطرهم إلى القناعة بالملخصات والرضا بالتعليقات وقصر هممهم عن السمو إلى ماهو أرقى من ذلك من الغايات.

وأما تطبيق أحكامه الدنيوية فقد استبدلها القوم بغيرها وأحلوا سواها محلها وجعلوا تشريع الأجانب وماوضع الفرنسيون والرومان أساسًا لتشريعهم ومصدراً لأحكامهم وبذلك تعطلت أحكام كتاب الله وأصبحت بين المسلمين نسيًا منسيًا وفيها علم الله لهم كل خير لو كانوا يسمعون، واكتفى المسلمون بعد هذا كله من القرآن الكريم بأن جعلوه تمائم لأمراضهم وزينة لمجتمعاتهم وسلوة فى حلقهم وأفراحهم وأحزانهم، وليتهم إذ جعلوه كذلك أعطوه حقه بل تراهم فى مجلسه لاهين غافلين لاعبين منصرفين إلى اللغو والحديث والعبث والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

كان القرآن فيما مضى زينة الصلوات فأصبح اليوم زينة الحفلات، وكان قسطاس العدالة فى المحاكم فصار سلوة العابثين فى المواسم وكان واسطة العقد فى الخطب والعظات فصار واسطة العقد فى الحلى والتميمات، أفلست مُحقًا حين قلت: مارأيت ضائعًا أشبه بمحتفظ به من كتاب الله! تناقض عجيب فى هذا الموقف منا أمام القرآن إننا نعظمه ما فى ذلك شك ونذود عنه ما فى ذلك شك ونتقرب إلى الله به ما فى ذلك شك ولكن يا قوم أخطأتم طريق التعظيم وتنكبتم سبيل الذود عنه وضللتم عن جادة التقرب إلى الله به. أليس من الإضاعة لكتاب الله أن ترى المراكز التى كان القرآن يعفى منها عدداً عظيمًا من القرعة العسكرية صارت اليوم خلواً ممن يحفظه ويتقدم للمعافاة به؟.

أوليس من الإضاعة لكتاب الله أن ترى الطالب يدخل الأزهر الشريف وهو يحفظه لأن ذلك شرط دخوله، ثم يخرج منه وقد نسيه لأن القرآن لم يشترط فى إجازته بنهاية مدة تعليمه فتراه إن خرج ليكون إمامًا يصلى بالناس قصر بهم، وإن كان واعظًا استند إلى فقهاء الريف المحافظين فى عظاته ودروسه، وإن كان محاميًا أو قاضيًا لجأ إلى المصحف فى تصحيح الآيات التى يستشهد بها من كتاب الله.

إننا حقيقة أضعنا كتاب الله وكأنه بيننا كتاب أثرى لايسرى مفعوله ولاينفذ حكمه، وهذا فى الحقيقة أصل ما أصابنا من بلاء وشر.

وإذا علمت هذا أيها القارئ الكريم فاعلم أن الإخوان المسلمين يحاولون فى جد أن يعودوا هم أولاً إلى كتاب الله ويتعبدون بتلاوته ويستنيرون فى تفهم أقوال الأئمة الأعلام بآياته ويطالبون الناس بإنفاذ أحكامه ويدعون الناس معهم إلى تحقيق هذه الغاية التى هى أنبل غايات المسلم فى الحياة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

***

منهج الإخوان وميزانهم

- ١٠ -(١)

أنت إذا راجعت تاريخ النهضات فى الأمم المختلفة شرقية وغربية قديمًا وحديثًا رأيت أن القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم منهاج محدود عليه يعملون وهدف محدود إليه يقصدون وضعه الداعون إلى النهوض وعملوا على تحقيقه ما امتد بهم الأجل وأمكنهم العمل حتى إذا حيل بينهم وبينه وانتهت بهم تلك الفترة القصيرة فترة الحياة فى هذه الدنيا خلفهم من قومهم غيرهم يعملون على منهاجهم ويبدأون من حيث انتهى أولئك لايقطعون ماوصلوا ولايهدمون مابنوا ولاينقضون ما أسسوا وشادوا ولايخربون ما عمَّروا فإذا زادوا عمل أسلافهم تحسينًا أو مكنوا نتائجه تمكينًا وإما تبعوهم على آثارهم فزادوا البناء طبقة وساروا بالأمة شوطًا إلى الغاية حيث يصلون بها إلى ما تبتغى أو ينصرفون راشدين ويخلفهم غيرهم وهكذا دواليك حتى تحقق الآمال وتصدق الأحلام ويتم النهوض ويثمر الجهاد وتصل الأمة إلى ما إليه قصدت وله عملت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧].

راجع تاريخ الهيئات والشعوب تر هذا القول واضحًا بينًا وأن أساس النجاح فى كل نهضاتها منهجٍ محدود وقوم يعملون فى حدود هذا المنهج لايملون ولايفترون ولاييأسون ولايمتنون، ذلك واضح جلى فى الخطوات التى سلكتها دعوة الإسلام الأولى فقد وضع الله لها منهجًا محدودًا يسير بالمسلمين الأولين رضوان الله عليهم إليه دعوة فى السر ثم إعلان بهذه الدعوة ونضال فى سبيلها لايمل ثم هجرة إلى حيث القلوب الخصبة والنفوس المستعدة فإخاء بين هذه النفوس وتمكين عرى الإيمان فى قلوبها ثم نضال جدى وانتصاف من الباطل للحق.

وهذا أبو بكر يريد أن يخرج من مكة إلى المدينة فيأمره النبى ﷺ أن ينتظر حتى يأتيه هو إذن الله بذلك حتى إذا تمت الخطوات فى القسم الأول من منهاج الدعوة وهى التى أنيطت بالرسول ﷺ تشريعًا وتطبيقًا أنزل الله قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

(١) نشرت بالعدد ٢٧ من جريدة الإخوان المسلمين الصادر يوم ٣٠ رجب سنة ١٣٥٣ هـ.

دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: ٣].

ثم جاء بعد رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين من نقلوا هذا النموذج الكامل من جزيرة العرب إلى غيرها من بلدان العالم لتكون كلمة الله هى العليا و﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وأنت إذا رجعت بذاكرتك إلى تاريخ الفرق الإسلامية وإلى الأدوار التى سبقت وقارنت قيام الدولة العباسية فى الشرق ثم إلى نهضة الدول الحديثة الأوربية من فرنسا وإيطاليا وروسيا وتركيا سواء فى الدور الأول وهودور تكوين الوحدات وتأسيس الحكومات أو فى هذا الدور وهو دور تكوين المبادئ ومناصرة النظريات لرأيت كل ذلك يخضع إلى مناهج معروفة الخطوات تؤدى إلى النتيجة الحتمية التى تعمل لها الأمة.

أعتقد يا عزيزى أن كل انقلاب تاريخى وكل نهضة فى أمة تسير طبق هذا القانون حتى النهضات الدينية التى يرأسها الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم، إلا أن هذه النهضات يرسم منهاجها الحق تبارك وتعالى ويهدى الرسول ومن ورائه قومه ويرشدهم إلى خطوات المنهج خطوة خطوة فى وقتها المناسب ويؤيدهم فى كل ذلك بنصره فتكون النهضة موفقة لامحالة ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾ [المجادلة: ٢١] ومن أين يأتى الخطأ إذا كان واضع المنهج العليم الخبير ومنفذه معصوم من الزلل محفوظ من الخطل مؤيد بالتوفيق والنصر ومن هنا كانت النبوات رحمة للعالمين.

هذا كلام أعتقد أن القراء فيه قسمان: قسم درس تاريخ الأمم وأطوار نهوضها فهو مؤمن به معتقد له، وقسم لم تتح له هذه الفرصة فإن شاء درس ليعلم أنى لم أقل إلا الحق وإن شاء وثق. فما أُريد إلا الإصلاح ما استطعت.

كان ذلك فى النهضات الموفقة فهل سارت نهضتنا وفق هذا القانون الكونى والسنة الاجتماعية؟ ذلك ما أشك فيه كثيراً فإننى الاحظ أن خُلق التسرع المركوز فى طباعنا وسرعة التأثر وهياج العواطف الذى يبدو فينا واضحًا وغيرهما من أسباب اجتماعية وغير اجتماعية جعلت نهضاتنا فورات عاطفية تشتد وتقوى بقوة المؤثر الوقتى وشدته ثم تخمد وتزول كأن لم يكن شىء، ولئن كانت الغاية التى نعمل لها جميعًا واضحة

معروفة للكثيرين فأنا واثق من أمرين بلازمان هذه المعرفة، الأمر الأول أن الوسائل غير معروفة ولامحدودة وقد تكون متعاكسة يخبط بعضها بعضًا ونحن لانشعر والأمر الثانى أن الصلة منقطعة تمامًا بين السابق واللاحق فقد يصل السابق إلى نصف الطريق فإذا جاء اللاحق لم يتبعه لانقطاع الصلة بينهما فيبدأ طريقًا جديدًا قد يصل فيه إلى مقدار ما وصل سابقه وقد يقصر عنه وقد يسبق قليلاً ولكنه على كل حال لايصل بالأمة إلى النهاية لأن أعمار الأفراد قصيرة جد قصيرة بالنسبة لأعمار النهضات والشعوب، ونحن نتصور أن الواحد يستطيع أن يحقق للأمة كل ماتبتغى وهى فكرة خيالية وخدعة نفسية عاطفية يجب أن تزول من نفس كل عامل حتى ينتفع بما عمل سلفه.

هذا استطراد لابد منه وبعده أقول لك إن للإخوان المسلمين منهاجًا محدودًا يتابعون السير عليه ويزنون أنفسهم بميزانه ويعرفون بين الفينة والفينة أين هم منه، فإذا سألتهم عن أصول هذا المنهاج النظرية ماهى؟. فإنى أجيبك فى صراحة تامة هى الأصول والقواعد التى جاء بها القرآن الكريم، فإذا قلت وما وسائلهم وخطواتهم العملية؟ أقول لك فى صراحة كذلك هى الوسائل والخطوات التى أثرت عن الرسول العظيم ﷺ ولايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

* * *

وأما بعد، فبهذه الكلمة تنتهى تلك السلسلة المجملة من الحديث عن الإخوان المسلمين العمليين وأرجو أن يكون لها أثرها المنشود فى نفس قرائنا الكرام فيؤازروا أولئك القوم الذين وقفوا كل شىء فى سبيل الله والدعوة وينضموا إليهم ليساهموا معهم فى هذه النهضة الموفقة التى يكسب العامل فيها كل يوم نصرًا جديدًا إن لم يؤده إلى الفتح فسيؤدى إليه مَنْ بعده بفضل مجهوده إن شاء الله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

حسن البنا

رسالة التعاليم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد المجاهدين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهى ليست دروسًا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ، فإلى العمل أيها الإخوة الصادقون ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، وكلاً وعد الله الحسنى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن البنا

أيها الإخوان الصادقون

○ أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها:

« الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة ».

أيها الأخ الصادق:

○ الفهم

إنما أريد بالفهم:

أن توقن بأن فكرتنا (إسلامية صميمة) وأن تفهم الإسلام كما نفهمه، في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز:

١ - الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خُلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

٢ - والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرُّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولاتعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.

٣ - وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولاتعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

٤ - والتمائم والرُّقى والوَدَعُ والرَّمْلُ والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر يجب محاربته، إلا ماكان آية من قرآن أو رقية مأثورة.

٥ - ورأى الإمام ونائبه فيم لانص فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عدة وفي المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف

والعرف والعادات. والأصل فى العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعانى، وفى العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد.

٦ - وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقًا الكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لانعرض للأشخاص - فيما اختلف فيه - بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ماقدموا.

٧ - ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته. وأن يستكمل نقصه العلمى إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر.

٨ - والخلاف الفقهى فى الفروع لايكون سبباً للتفرق فى الدين، ولايؤدى إلى خصومة ولابغضاء ولكل مجتهد أجره، ولامانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب.

٩ - وكل مسألة لايبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع، والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفى التأول مندوحة.

١٠- معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولاتعطيل، ولانتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا فى ذلك ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

١١- وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها - استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة

فيه أو بالنقص منه - ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لاتؤدى إلى ما هو شر منها.

١٢- والبدعة الإضافية والتَّرْكِيَّة والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى، لكل فيه رأيه؛ ولابأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

١٣- ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لايملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعًا فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم.

١٤- وزيارة القبور أيًا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولانتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة.

١٥ - والدعاء إذا قُرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة.

١٦ - والعرف الخاطئ لايغير حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها، والوقوف عندها. كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.

١٧ - والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

١٨ - والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء، و«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

١٩ - وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى مالا يدخل فى دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى. فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة

شرعية ثابتة؛ ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار.

٢- لانكفرُ مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفروض - برأى أو معصية - إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذّب صريح القرآن، أو فسّره على وجه لاتحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لايحتمل تأويلاً غير الكفر.

وإذا علم الأخ المسلم (دينه) فى هذه الأصول، فقد عرف معنى هتافه دائمًا: (القرآن دستورنا والرسول قدوتنا).

○ الإخلاص

وأريد بالإخلاص:

أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة، لاجندى غرض ومنفعة ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم: (الله غايتنا) و(الله أكبر ولله الحمد).

○ العمل

وأريد بالعمل:

ثمرة العلم والإخلاص ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:

١ - إصلاح نفسه حتى يكون: قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادرًا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدًا لنفسه، حريصًا على وقته، منظمًا فى شئونه، نافعًا لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته.

٢ - وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية. وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام. وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك.

٣ - وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائمًا، وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عامة.

٤ - وتحرير الوطن، بتخليصه من كل سلطان أجنبى - غير إسلامى - سياسى أو اقتصادى أو روحى.

٥ - وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها. والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه.

ولابأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة فى غير مناصب الولاية العامة ولاعبرة بالشكل الذى تتخذه ولا بالنوع، مادام موافقًا للقواعد العامة فى نظام الحكم الإسلامى.

ومن صفاتها: الشعور بالتبعة، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه.

ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة.

ومن حقها - متى أدت واجبها - الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس والأموال.

فإذا قصرت، فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

٦ - وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسـلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتهـا وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافـة المفقودة والوحدة المنشودة.

٧ - وأستـاذية العالم بنشـر دعوة الإسـلام فى ربوعه ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال: ٣٩]، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[التوبة: ٣٢].

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجمـاعة متحدة وعلى كل أخ باعتـباره عضواً فى الجماعـة، وما أثقلها تبعات وما أعظمها مـهمات، يراها الناس خيالاً ويراه الأخ المسلم حقيقة، ولن نيأس أبداً، ولنا فى الله أعظم الأمل: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١].

○ الجهاد

وأريد بالجهاد:

الفريضة الماضية إلى يوم القيامة. والمقصود بقول رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية». وأول مراتبه إنكار القلب، وأعـلاها القتال فى سبيل الله، وبين ذلك: جـهاد اللسان والقلم واليد وكلمـة الحق عند السـلطان الجائر. ولاتحيا الدعـوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعـوة وسعة أفقها تكون عظمـة الجهاد فى سبيلها، وضخامة الثمن الذى يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج: ٧٨].

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (الجهاد سبيلنا).

○ التضحية

وأريد بالتضحية:

بذل النفس والمال والوقت والحـياة وكل شىء فـى سبـيل الغاية، وليس فى الدنيـا جهاد ولاتـضحية معـه. ولاتضيع فى سبـيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجـر الجزيل والثواب الجميل، ومـن قعد عن التضحية مـعنا فهو آثم ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ [التوبة: ١١١] ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الآية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

لا يُصيبُهُمْ ظمأٌ وَلا نَصَبٌ﴾ الآية ﴿فإن تُطيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أجْراً حَسَناً﴾، وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا).

○ **الطاعة**

وأريد بالطاعة:

امتثال الأمر وإنفاذه توًا فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث:

التعريف: بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة فى هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية. وكل شُعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها (القانون الأساسى) وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم، والدعوة فى هذه المرحلة (عامة).

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها. وليست الطاعة التامة لازمة فى هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة - فى هذه المرحلة - صوفى بحت من الناحية الروحية، عسكرى بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا (أمر وطاعة) من غير تردد ولامراجعة ولاشك ولاحرج، وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها «خاصة» لايتصل بها إلا من استعد استعدادًا حقيقيًا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد (كمال الطاعة).

التنفيذ: والدعوة فى هذه المرحلة جهاد لاهوادة معه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء ولايصبر عليهما إلا الصادقون، ولايكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا (كمال الطاعة كذلك) وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين فى يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ.

وأنت بإنضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة، تكون فى الدور الثانى، وبالقرب من الدور الثالث. فَقَدِّر التبعة التى التزمتها وأعِدَّ نفسك للوفاء بها.

○ الثبات

وأريد بالثبات:

أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً فى سبيل غايته، مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين، فإما الغاية وإما الشهادة فى النهاية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[الأحزاب: ٢٣]. والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل كثيرة العقبات. ولكنها وحدها التى تؤدى إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة.

وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا (الستة) تحتاج إلى حسن إعداد وتحين الفرص ودقة الإنفاذ، وكل ذلك مرهون بوقته ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]

○ التجرد

وأريد بالتجرد:

أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادئ والأشخاص، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف: مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أوذمى معاهد، أو محايد، أو محارب. ولكل حكمه فى ميزان الإسلام، وفى حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات ويكون الولاء أو العداء.

○ الأخوة

وأريد بالأخوة:

أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخوة الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، لا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاها مرتبة الإيثار ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩]. والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره؛ وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١] وهكذا يجب أن نكون.

○ الثقة

وأريد بالثقة:

اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: ٦٥]. والقائد جزء من الدعوة ولادعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها فى الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب ﴿فأولى لهم (٢٠) طاعة وقول معروف﴾ [محمد: ٢٠-٢١]. وللقيادة فى دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة؛ ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعًا، والثقة بالقيادة هى كل شىء فى نجاح الدعوات، لهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته:

١ - هل تعرف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته؟.

٢ - هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه؟.

٣ - هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التى تصدر إليه من القيادة فى غير معصية طبعًا

قاطعة لامجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير؟ مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟

٤ - هل هو مستعد لأن يفترض فى نفسه الخطأ وفى القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم فى المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص شرعى؟ .

٥ - هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة فى نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة.

وبالإجابة على هذه الأمثلة وأشباهها يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

أيها الأخ الصادق:

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية فى البناء:

١ - أن يكون لك (وِرْدٌ) يومى من كتاب الله لايقل عن جزء، واجتهد ألا تختم فى أكثر من شهر ولا فى أقل من ثلاثة أيام.

٢ - أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر فى معانيه، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك، وأقل مايكفى فى ذلك كتاب (حماة الإسلام) وأن تكثر من القراءة فى حديث رسول الله ﷺ، وأن تحفظ أربعين حديثًا على الأقل ولتكن الأربعين النووية، وأن تدرس رسالة فى أصول العقائد ورسالة فى فروع الفقه.

٣ - أن تبادر بالكشف الصحى العام وأن تأخذ فى علاج ما يكون فيك من أمراض، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف الصحى.

٤ - أن تبتعد عن الإسراف فى قهوة البن والشاى ونحوها من المشروبات المنبهة، فلا تشربها إلا لضرورة، وأن تمتنع بتاتًا عن التدخين.

٥ - أن تعنى بالنظافة فى كل شىء فى المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل، فقد بُنى الدين على النظافة.

٦ - أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً.

٧ - أن تكون وفيًا بالعهد والكلمة والوعد، فلا تخلف مهما كانت الظروف.

٨ - أن تكون شجاعًا عظيم الاحتمال، وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر، والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب.

٩ - أن تكون وقوراً تؤثر الجد دائماً، ولايمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك في تبسم.

١٠- أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور، عظيم التأثر بالحسن والقبيح تسر للأول وتتألم للثاني، وأن تكون متواضعًا في غير ذلة ولاخنوع ولاملق، وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل إليها.

١١- أن تكون عادلاً صحيح الحكم في جميع الأحوال، ولاينسيك الغضب الحسنات ولاتغضى عين الرضا عن السيئات، ولاتحملك الخصومة على نسيان الجميل، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس إليك وإن كان مراً.

١٢- أن تكون عظيم النشاط مدربًا على الخدمات العامة، تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدّم خدمة لغيرك من الناس، فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضعيف وتواسى المنكوب ولو بالكلمة الطيبة، وتبادر دائمًا إلى الخيرات.

١٣- أن تكون رحيم القلب كريمًا سمحًا تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعًا، محافظًا على الآداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس، ولاتتجسس ولاتغتب ولاتصخب، وتستأذن في الدخول والانصراف، إلخ.

١٤- أن تجيد القراءة والكتابة، وأن تكثر من المطالعة في رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها، وأن تكوّن لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة، وأن تتبحر في علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص، وأن تلم بالشئون الإسلامية العامة إلمامًا يمكنك من تصورها والحكم عليها حكمًا يتفق مع مقتضيات الفكرة.

١٥- أن تزاول عملاً اقتصاديًا مهما كنت غنيًا، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية.

١٦- إذا أتيحت لك، ولاتتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضًا تامًا مع واجبات الدعوة.

١٧- أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجادة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد.

١٨- أن تكون حسن التقاضي لحقك، وأن تؤدى حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب، ولاتماطل أبدًا.

١٩- أن تبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل.

٢٠- أن تبتعد عن الربا فى جميع المعاملات وأن تطهر منه تمامًا.

٢١- أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولاتلبس ولاتأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى.

٢٢- أن تشترك فى الدعوة بجزء من مالك، تؤدى الزكاة الواجبة فيه، وأن تجعل منه حقًا معلومًا للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلاً.

٢٣- أن تدخر للطوارئ جزءًا من دخلك مهما قلّ، وألا تتورط فى الكماليات أبدًا.

٢٤ ـ أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية فى كل مظاهر الحياة، ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزى والأثاث، ومواعيد العمل والراحة، والطعام والشراب، والقدوم والانصراف، والحزن والسرور... الخ، وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك.

٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة.

٢٦- أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى، وتذكر الآخرة وتستعد لها، وتقطع مراحل

السلوك إلى رضوان الله بهمةً وعـزيمة، وتتقرب إليه سبحـانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل، والإكـثار من الذكر القلبى واللسانى، وتحرّى الدعاء المذكور على كل الأحوال.

٢٧- أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء فى غالب الأحيان.

٢٨- أن تحسـن الصلاة وتواظب علـى أدائها فى أوقـاتهـا، وتحرص على الجـماعـة والمسجد ما أمكن ذلك.

٢٩- أن تصوم رمـضان وتحج البيت إن استطعـت إليه سبيـلاً، وتعمل على ذلك إن تكن مستطيعًا الآن ذلك.

٣٠- أن تستـصحب دائمًا نيـة الجهاد وحب الـشهادة وأن تـستعد لذلك مـا وسعك الاستعداد.

٣١- أن تجدد التوبة والاستغفار دائمًا وأن تـتحرز من صغائر الآثام فضلاً عن كبارها، وأن تجعل لنفسك ساعة قـبل النوم تحاسبها فيها على مـا عملت من خير أو شر، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه فى غير فائدة، وأن تتورع عن الشبهات حتى لاتقع فى الحرام.

٣٢- أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفًا حتى يسلس قيادها لك، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقـاوم نوازع الغريزة فى نفسك، وتـسمو بهـا دائمًا إلى الحلال الطيب، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أيًا كان.

٣٣- أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب.

٣٤- أن تبتعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم.

٣٥- أن تحارب أمـاكن اللهـو فضـلاً عن أن تقربهـا، وأن تبتـعد عن مظاهر الـترف والرخاوة جميعًا.

٣٦- أن تعرف أعضـاء كتيبتك فـرداً فرداً معرفة تامـة، وتعرفهم نفـسك معـرفة تامة كذلك، وتؤدى حقوق أخوتهم كاملة مـن الحب والتقدير والمساعدة والإيثار، وأن تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر، وتؤثرهم بمعاملتك دائمًا.

٣٧- أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لايكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك وبخاصة إذا أُمرت بذلك.

٣٨- أن تعمل على نشر دعوتك فى كل مكان وأن تحيط القيادة علمًا بكل ظروفك ولاتقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرًا جوهريًا إلا بإذن، وأن تكون دائم الاتصال الروحى والعملى بها، وأن تعتبر نفسك دائمًا جنديًا فى الثكنة تنتظر الأمر.

أيها الأخ الصادق

هذا مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات:

الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أمنيتنا.

وأن تجمع مظاهرها فى خمس كلمات أخرى:

البساطة. والتلاوة. والصلاة. والجندية. والخلق.

فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلاّ ففى صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين.

وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية من غاياتك، كان جزاؤك العزة فى الدنيا والخير والرضوان فى الآخرة، وأنت منا ونحن منك، وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب. فاختر لنفسك، ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

١ - تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

٢ - وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

١ - يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

نظام الأسر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

الأســرة

يحـرص الإسـلام على تكوين أسـر من أهله يوجـهـهم إلى المُثل العُليـا ويقـوّى روابطهم، ويرفع أخـوّتهم من مـسـتـوى الكلام والنظريات إلى مـسـتوى الأفـعـال والعمليات. فاحرص يا أخى أن تكون لبنة صالحة فى هذا البناء (الإسلام).

وأركان هذا الرباط ثلاثة فاحفظها واهتم بتحقـيقها حتى لايكون هذا تكليفًا لاروح فيه:

١ - التعارف: هو أول هذه الأركان، فتـعارفوا وتحابوا بروح الله، واستشـعروا معنى الأخوة الصـحيحـة الكاملة فيمـا بينكم، واجتهـدوا أن لا يعكر صفو عـلاقتكم شىء، وتمثلوا الآيات الكريمة دائمًا والأحاديث الشريفة، اجعلوها نصب أعينكم وتذاكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقـول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضـه بعضا» «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» «مثل المؤمنين فى توادُّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد».

ولقد ظلت هذه الأوامـر الربانية والتوجيهـات المحمدية بعد الصـدر الأول كلامًا على ألْسِنَةِ المسلمين، وخيالاً فى نفوسهم، حتى جئتم معشر الإخوان المتعارفين، تحاولون تطبيقها فى مجتـمعكم، وتريدون تأليف الأمة، المتآخية بروح الله وأخوة الإسلام من جديد، فهنيئًا لكم إن كنتم صادقين، وأرجو أن تكونوا كذلك، والله ولى توفيقكم.

٢ - التفاهم: وهو الركن الثانى من أركـان هذا النظام. فاستقيـموا على منهج الحق، وافعلوا ما أمـركم الله به واتركوا ما نهاكم عنه. وحاسـبوا أنفسكم حسابًا دقـيقًا على الطاعة والمعصية. ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخـاه، متى رأى فيه عيبًا.

وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح، وليشكر له ذلك. وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة، وليحذر أن يشعره بانتقاصه، أو بتفضيل نفسه عليه، ولكنه يتستر عليه شهراً كاملاً، ولايخبر بما لاحظه أحداً إلا رئيس الأسرة وحده إذا عجز عن الإصلاح، ثم لايزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً. وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة، فإن مرتبة الحب فى الله هى أعلى المراتب، والنصيحة ركن الدين: «الدين النصيحة» والله يعصمكم من بعض، ويعزكُم بطاعته، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان.

٣ - التكافل: هو الركن الثالث. فتكافلوا، وليحمل بعضكم عبء بعض، وذلك صريح الإيمان ولب الأخوة، فليتعهد بعضكم بعضًا بالسؤال والبر، وليبادر إلى مساعدته ماوجد إلى ذلك سبيلاً. وتصوروا قول رسول الله ﷺ: «لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه خير له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهراً»، «من أدخل السرور على أهل بيت من المسلمين لم يرض الله له جزاء دون الجنة» والله يؤلف بين قلوبكم بروحه إنه نعم المولى ونعم النصير.

أيها الأخوان: فى الواجبات التى بين أيديكم - إن وعيتموها - والأعمال التى بين أيديكم - إن اتبعتموها - ما يكفل تحقيق هذه الأركان. فراجعوا دائمًا واجبات الأخ التعاونى، وليحاسب كل منكم نفسه على إنفاذها، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره، ثم ليبادر كل منكم إلى تسديد ما عليه لصندوق أسرته، حتى لايتخلف عن الواجبات متخلف؛ فإذا أديتم هذه الواجبات الفردية والاجتماعية والمالية فإن أركان هذا النظام ستتحقق ولاشك. وإذا قصرتم فيها فسيتضاءل حتى يموت، وفى موته أكبر خسارة لهذه الدعوة، وهى اليوم أمل الإسلام والمسلمين. ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الأسبوعى كأسرة، وذلك أمر سهل ميسور وما أكثر الواجبات وأقل الأوقات. فليكن ما تشغل الأسرة به اجتماعاتها:

١ - يعرض كل أخ مشاكله ويشاركه إخوانه فى دراسة حلولها، فى جو من صدق الأخوة وإخلاص التوجه إلى الله، وفى ذلك توطيد الثقة، وتوثيق للرابطة

«المؤمن مرآة أخيه» وحتى يتحقق فينا شيء من مأثور قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

٢ - مذاكرة حول شئون الإسلام، وتلاوة الرسائل والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للأسر، ولامحل في الأسرة للجدل أو الحدة أو رفع الصوت؛ فذلك حرام في فقه الأسرة، ولكنه بيان واستيضاح في حدود الأدب الكامل والتقدير المتبادل من الجميع. فإذا أغلق شيء، أو أريد اقتراح شيء أو استيضاحه، احتفظ به النقيب حتى يرجع إلى القيادة، قد عاب الله أقوامًا فقال: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به...﴾ [النساء:٨٣] ثم أرشدهم إلى ما يجب أن يكون فقال: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء:٨٣]

٣ - مدارسة نافعة في كتاب من الكتب القيمة. وليحرص الإخوان بعد هذا على تحقيق معنى الأخوة في المجاملات الطارئة، التي لاتحصرها الكتب ولاتحيط بها التوجيهات، وأشار إليها الصادق الأمين ﷺ: عيادة المريض، ومواساة المحتاج ولو بالكلمة الطيبة، وتفقد الغائب، وتعهد المنقطع.. كلها تزيد رابطة الإخاء، وتضاعف في النفوس الشعور بالحب والصلة.

ولزيادة الترابط بين الإخوان عليهم أن يحرصوا على:

١ - القيام برحلات ثقافية لزيارة الآثار والمصانع وغير ذلك.

٢ - القيام برحلات قمرية رياضية.

٣ - القيام برحلات نهرية للتجديف.

٤ - القيام برحلات جبلية أو صحراوية أو حقلية.

٥ - القيام برحلات متنوعة بالدراجة.

٦ - صيام يوم في الأسبوع أو كل أسبوعين.

٧ - صلاة الفجر جماعة مرة كل أسبوع على الأقل في المسجد.

٨ - الحرص على مبيت الإخوان مع بعضهم مرة كل أسبوع أو أسبوعين.

العقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمات

١ - تعريف العقائد:

العقائد: هى الأمورُ التى يجب أن يُصدِّق بها قلبُك، وتطمئنّ إليها نفسُك، وتكون يقينًا عندك، لايمازجُه ريب، ولايخالطه شك.

٢ - درجات الاعتقاد:

والناس فى قوة العقيدة وضعفها أقسام كثيرة، بحسب وضوح الأدلة، وتمكنها من نفوس كل قسم، ولنوضح لك هذا المقام بضرب المثال الآتى:

لو أن رجلاً سمع بوجود بلد لم يَرَه، كاليمن مثلاً، من رجل آخر غير معروف بالكذب، فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقدُه؛ فإذا سمع هذا الخبر من عدّة رجال زاد به ثقةً، وإن كان لايمنعه ذلك من أن يشك فى اعتقاده إذا عرضت له الشُّبهات. فإذا رأى صورته الفوتوغرافية زاد اعتقادُه بوجوده، وأصبح الشك متعسرًا عليه أمامَ قوة هذا الدليل. فإذا سافر وبدت له أعلامُه وبشائرُه زاد إيقانُه وزال شكه، فإذا نزله ورآه رأى العين، لم يعد هناك مجالٌ للريبة، ورسخت فى نفسه هذه العقيدة رسوخًا قويًا حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها. فإذا سار فى طرقه وشوارعه، ودرس شئونَه وأحوالَه ازداد به خبرةً ومعرفةً، وكان ذلك أمرًا واضحًا لاعتقاده زائدًا عليه.

إذا علمت هذا فاعلم أن الناسَ أمامَ العقائد الدينية أقسامٌ كذلك: منهم من تلقاها تلقينًا، واعتقدها عادة، وهذا لايؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبهات. ومنهم من نظر وفكَّر فازداد إيمانُه، وقَوِىَ يقينُه، ومنهم من أدام النظر وأعملَ الفِكْر، واستعان بطاعة الله تعالى وامتثال أمره، وإحسان عبادته، فأشرقت مصابيح الهداية فى قلبه، فرأى بنور بصيرته ما أكملَ إيمانَه وأتمَّ يقينه، وثبَّت فؤاده: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] .

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطنِ التقليدِ فى التوحيد، وتُعمل الفكر فى تَفَهُّمِ عقيدتك، وتستعين بطاعة مولاك فى معرفة أصول دينك حتى تصلَ إلى مراتبِ الرجالِ، وتترقّى فى مدارج الكمال.

قد رشَّحوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ له ... فَاربأْ بنفسكِ أن ترعَى مع الهَمَلِ

٣ ـ تقدير الإسلام للعقل:

أساسُ العقائدِ الإسلامية ـ ككل الأحكام الشرعية ـ كتابُ الله تعالى، ومِنَّةُ رسوله ﷺ.

ويجبُ أن تعلم، مع ذلك، أن كل هذه العقائد يُؤيدُها العقل، ويثبتُها النَظرُ الصحيحُ؛ ولهذا شرف الله تعالى العَقل بالخطابِ، وجَعَلَهُ مناطَ التكليف، وندبه إلى البحث والنظر والتفكير، قال الله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ [يونس: ١٠١][1]. وقال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم[2] كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ [ق: ٦-١١] وذم الذين لايتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى: ﴿وكأين من آية[3] فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ [يوسف: ١٠٥] وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر

---

(١) أى من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وماتغنى الآيات﴾: أى الدلالات ﴿والنذر﴾: أى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) أى: نظر واعتبار وتفكر. ﴿كيف بنيناها﴾ أى: رفعناها بلا عمد ﴿وزيناها﴾ بالنجوم. ﴿ومالها من فروج﴾ أى: شقوق تعيبها. ﴿والأرض مددناها﴾ أى: دحوناها. ﴿وألقينا فيها رواسى﴾ أى: جبالاً تثبتها. ﴿من كل زوج﴾ أى: صنف من النباتات. ﴿بهيج﴾ أى: حسن يسر الناظرين. ﴿تبصرة﴾ أى: فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وذكرى﴾ تذكيراً. ﴿لكل عبد منيب﴾ رجاع إلى طاعتنا. ﴿فأنبتنا به جنات﴾ أى: بساتين. ﴿وحب الحصيد﴾ أى: وحب النبت المحصود. ﴿والنخل باسقات﴾ أى: طوالاً. ﴿لها طلع نضيد﴾ أى: متراكب بعضه فوق بعض. ﴿كذلك الخروج﴾ أى: من القبور.

(٣) ﴿وكأين من آية﴾ أى: وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى ﴿يمرون عليها﴾ أى: يشاهدونها. ﴿وهم عنها معرضون﴾ أى: لايتفكرون فيها.

البطلان، تقديراً للأدلةِ، وإظهاراً لشرف الحجة. وقد ورد في الحديث أن بلالاً جاء يُؤذِن النبي ﷺ بصلاة الصبح، فرآه يبكي فسأله عن سبب بكائه، فقال: «ويحك يابلالُ! ومايمنعني أن أبكي وقد أنزل اللهُ عليَّ في هذه الليلة ﴿إنَّ في خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ﴾[1] ثم قال: ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (التفكر).

ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يَحجُرْ على الأفكار ولم يحبس العقول، وإن أرشدها إلى التزامِ حدِّها، وعرَّفها قلَّةَ علمها، وندَبَها إلى الاستزادة من معارفها، فقال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤].

٤ ـ أقسام العقائد الإسلامية:

العقائد الإسلامية تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ رئيسيةٍ، تحت كل قسم منها فروع عِدَّة:

القسم الأول: الإلهيات، وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسمائه وأفعاله، ويلحق بها مايستلزمه اعتقادُه من العبد لمولاه.

القسم الثاني: النبوّات، وتبحث في كل مايتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلى رسالتهم، ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوانُ الله عليهم، والمعجزةِ والكرامةِ، والكتبِ السماويةِ.

القسم الثالث: الرُّوحانيَّات، وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي: كالملائكةِ عليهم السلام والجنِّ، والروح.

القسم الرابع: السَّمْعيَّات، فيما يتعلق بالحياة البَرْزَخيَّةِ، والحياة الأخروية: كأحوال القبر، وعلاماتِ القيامةِ، والبعثِ، والموقفِ، والحسابِ، والجزاءِ.

---

(١) ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل. قال القرطبي: ختم الله تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لاتصدر إلا عن حي قيوم قدير قدوس غني عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين لا إلى التقليد. سورة آل عمران: آية: ١٩٠.

القسم الأول
الإلهيات

١ ـ ذات الله تبارك وتعالى:

اعلم يا أخى، هدانا الله وإياك إلى الحق، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقولُ البشريةُ، أو تدركَها الأفكارُ الإنسانيةُ، لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوة، محصورة القدرة، وسنفرد لك بحثًا خاصًا إن شاء الله تعالى، تعلم منه مبلغ قصور العقل البشرى عن إدراك حقائق الأشياء، ولكن يكفى أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا، من أكبرها إلى أصغرها، تنتفع بكثير من الأشياء ولاتعلم حقائقها. فالكهرباء، والمغناطيس وغيرهما، قوى نستخدمها وننتفع بها ولانعلم شيئًا من حقيقتها، ولايستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشىء، على أن معرفة حقائق الأشياء وذواتها لايفيدنا شىء، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا.

فإذا كان هذا شأننا فى الأمور التى نلمسها ونحسُّها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى؟! وقد ضل أقوام تكلموا فى ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سببًا لضلالهم وفتنتهم واختلافهم لأنهم يتكلمون فيما لايدركون تحديدَه، ولايقدرون على معرفة كُنْهِه، ولهذا نهى رسولُ الله ﷺ عن التفكر فى ذات الله، وأمر بالتفكر فى مخلوقاته.

التفكر فى ذات الله:

عن ابن عباس رضى الله عنه أن قومًا تفكَّروا فى الله عز وجل فقال النبى ﷺ: «تفكَّروا فى خَلْقِ الله، ولاتتفكَّروا فى الله، فإنكم لن تَقْدُروا قدره» قال العراقى: رواه أبو نُعيم فى الحِلْية بإسناد ضعيف، ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه، ورواه أبو الشيخ كذلك، وهو على كل حال صحيح المعنى.

وليس ذلك حَجرًا على حرية الفكر، ولاجمودًا فى البحث، ولاتضييقًا على العقل، ولكنه عصمةٌ له من التردى فى مهاوى الضلالة، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث

لم تتوفر له وسائلُ بحثها، ولاتحتمل قوتُه، مهما عظمت، علاجَها، وهذه هى طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمة ذاته، وجلال قدره، مثل الشبلى[1] رحمه الله تعالى عن الله تبارك وتعالى فقال: هو الله الواحد المعروف، قبل الحدود وقبل الحروف. وقيل ليحيى بن معاذ: أخبرنى عن الله عز وجل؟ فقال: إلهٌ واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: مَلِكٌ قادر. فقيل له: أين هو؟ فقال: هو بالمِرْصاد. فقال السائل: لم أسألك عن هذا. فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرتك عنه. فاحصر همتك فى إدراك عظمة ربك بالتفكر فى مخلوقاته والتمسك بلوازم صفاته.

٢ ـ أسماء الله الحسنى:

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله، يحسن بالمؤمن حفظها تبركًا بها، وتلذذًا بذكرها، وتعظيمًا لقدرها. وإليك الحديث الصحيح الذى جمعها، فنعم المعلِّم حديث رسول الله ﷺ، ونعم المرشدُ والهادى لسان الوحى ومشكاةُ النبوة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعةٌ وتسعونَ اسمًا مائةٌ إلا واحدًا[2] لايحفظها أحدٌ إلا دخلَ الجنةَ، وهو وِترٌ[3] يحبُّ الوِتْرَ» رواه البخارى ومسلمٌ، وفى رواية البخارى «من أحصاها» ورواه التِّرمِذي وزاد:

---

(١) هو أبوبكر دلف بن جحدر الشبلى، قال أبو القاسم القشيرى: بغدادى المولد والمنشأ، صحب الجنيد ومن فى عصره.

(٢) قوله ﷺ: «مائة إلا واحدًا» قال الحافظ العسقلانى فى شرح البخارى: قال جماعة من العلماء الحكمة فى قوله: «مائة إلا واحدًا» بعد قوله: «تسعة وتسعون» أى يتقرر ذلك فى نفس السامع جمعًا بين جهتى الإجمال والتفصيل، أودفعًا للتصحيف الخطى والسمعى.

(٣) قوله ﷺ: «وهو وتر»: أى أنه تبارك وتعالى الواحد الذى لانظير له فى ذاته ولاانقسام وقوله ﷺ: «يحب الوتر». قال القرطبى: الظاهر أن الوتر هنا للجنس، إذ لامعهود جرى ذكره حتى يحمل عليه. فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه. ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه. ويصلح ذلك لعموم ماخلقه وترًا من مخلوقاته، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها. ويحتمل أنه يريد بذلك [illegible] بعينه وإن لم يجر له ذكر. ثم قال بعد الكلام: ويظهر لى وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد، فيكون [illegible] أن الله فى ذاته وكماله وأفعاله واحد يحب التوحيد؛ أى أنه يوحَّد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه، فيلتئم أول الحديث وآخره، والله أعلم.

(هو الله الذى لا إله إلا هو، الرحمنُ الرحيمُ، الملكُ، القُدُوسُ، السلامُ، المؤمنُ، المُهَيمنُ، العزيزُ، الجبار، المتكبر، الخالقُ، البارئ، المصوّر، الغفّار، القهار، الوهّابُ، الرزّاقُ، الفتّاحُ، العليمُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرافعُ، المعزُّ، المُذلُّ، السميعُ، البصيرُ، الحكَمُ، العدلُ، اللطيفُ، الخبيرُ، الحليمُ، العظيمُ، الغفورُ، الشكورُ، العلىُّ، الكبيرُ، الحفيظُ، المُقيتُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، الرقيبُ، المجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشهيدُ، الحقُّ، الوكيلُ، القوىُّ، المتينُ، الولىُّ، الحميدُ، المحصى، المبدئُ، المُعيدُ، المُحيى، المميتُ، الحىُّ، القيّومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ، الصَّمَدُ، القادرُ، المقتدرُ، المُقدِّمُ، المؤخِّرُ، الأولُ، الآخرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالى، المتعالى، البرُّ، التوّابُ، المنتقمُ، العفوُّ، الرؤوفُ، مالكُ المُلك، ذو الجلال والإكرام، المُقسطُ، الجامعُ، الغنىُّ، المغنى، المانعُ، الضارُّ، النافعُ، النُّور، الهادى، البديعُ، الباقى، الوارثُ، الرّشيدُ، الصّبورُ)

معانى بعض أسماء الله:

﴿القُدُّوس﴾ المطهَّرُ من العيوب. ﴿السَّلامُ﴾ الأمان لخلقه، أو هو السالم من العيوب، ﴿المُؤمِنُ﴾ المصدّقُ وعدَه لخلقه والمؤمِّنُ لهم من عذابه. ﴿المُهيمنُ﴾ المُسيطرُ المتصرِّفُ، أو الشهيدُ الرقيبُ. ﴿العزيزُ﴾ القاهرُ الغالبُ. ﴿الجبَّارُ﴾ المنفذ لأوامره. ﴿المتكبِّرُ﴾ العالى عن صفات الخلق المتفرِّد بصفات عظمته، ﴿البارئُ﴾ الخالقُ وهو فى خلق ذى الروح أظهر. يقال: بارئُ النَّسمَ وخالقُ السموات والأرض. ﴿المقيتُ﴾ العالمُ العارفُ. ﴿الحسيب﴾ الكافى لخلقه. ﴿المُحصى﴾ هو الذى أحصى كل شىء بعلمه فلا يفوته شىء من الأشياء. ﴿البَرُّ﴾ المتعطِّفُ على عباده ببرِّه ولطفه. ﴿المُقسطُ﴾ العادلُ فى حكمه. ﴿الرَّشيدُ﴾ الذى يُرشِدُ الخلق إلى مصالحهم. ﴿الصبورُ﴾ هو الذى لايعاجلُ العُصاةَ بالانتقام منهم.

* * *

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١ ـ الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين:

هذه التسعة والتسعون ليست كل ماورد فى أسماء الله تبارك وتعالى، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء. فقد ورد فى الحديث من رواية أخرى ﴿الحنَّانُ﴾ ﴿المنَّان﴾، ﴿البديعُ﴾، وورد كذلك من أسمائه تعالى: ﴿المغيثُ﴾، ﴿الكفيلُ﴾، و﴿ذو الطَّوْل﴾، و﴿ذو المعارج﴾، و﴿ذو الفضلِ﴾، و﴿الخلاقُ﴾.

قال أبو بكر بنُ العربىُّ فى شرح الترمذىُّ حاكيًا عن بعض أهلِ العلم: إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم. وفى كلام صاحب (القَصد المجرَّد) ما يفيد ذلك، وأشار إلى ذلك الشوكانى فى (تحفة الذاكرين) ثم قال: وأنهضُ ماورد فى إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الكفاية.

٢ ـ الأحاديث التى وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز:

ثم اعلم أن بعض الأحاديث وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى، ولكن قرائن الحال وأصل الوضع يدل على غير ذلك، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة، ومن قبيل تسمية الشىء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات. مثال ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لاتسُبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الله هو الدَّهرُ» رواه مسلم. وحديث عائشة رضى الله عنه: «دَعُوهُ يَئِن فإنَّ الأنينَ اسْمٌ من أسْمَاءِ الله تَعَالَى يَرتَاحُ إليْهِ المريضُ»، وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الصغير عن الرافعى وحسنه، وليس هو من رواية مسلم، ولا من حديث أبى هريرة كما يخطئ بعض الناس، ومنه ماورد فى إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى فى بعض الآثار.

فكل هذه لايُراد منها ظواهرها وحقيقةُ الإطلاق، بل المقصودُ فى الأول مثلاً: فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن يُنسب إلى الدهر شىء ولا أن يُسبَّ

ويُذم[1]، وفى الثانى: فإن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض، وهكذا فى المعانى التى تدل عليها قرائن الأحوال.

٣ - التوقيف فى أسماء الله تعالى وصفاته:

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لايصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسمًا أو وصفًا لم يرد به الشرعُ، بقصد اتخاذه اسمًا له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال. فلا يصح أن نقولَ: مهندسُ الكون الأعظم، ولا أن نقولَ مثلاً: المديرُ العامِ لشئونِ الخلقِ، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلح عليها، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى، ولكنها إن جاءت فى عرضِ الكلام لبيانِ تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس، والأولى العدولُ عن ذلك تأدبًا مع الحق تبارك وتعالى.

٤ - العلمية والوصفية فى هذه الأسماء:

وهذه الأسماء المتقدمةُ منها علَمٌ واحد وضع للذاتِ القُدْسية وهو لفظ الجلالة: الله، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات، ولهذا صح أن تكون أخبارًا للفظ الجلالة. وهل هو مشتَقٌ أو غير مشتق؟ مسألةٌ خلافيةٌ، لايترتب عليها أمرٌ عمليٌّ، وحسبنا أنْ نعلم أنَّ اسم الذاتِ هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربةٌ بالوصفيَّة وفى هذا الكفاية.

٥ - خواص أسماء الله الحسنى:

يذكر البعض أنَّ لكلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى خواصًا وأسرارًا تتعلق به على إفاضةٍ فيها أو إيجازٍ، وقد يتغالى البعض فيتجاوزُ هذا القدر إلى زعم أن لكلِّ اسم خادمًا رُوحانيًا يخدم من يواظب على الذكر به، وهكذا، والذى أعلمهُ فى هذا - وفوقَ كلِّ ذى علمٍ عليمٌ - أن أسماء الله تعالى ألفاظٌ مشرقةٌ لها فضل على سائر الكلام، وفيها بركة وفى ذكرها ثوابٌ عظيمٌ، وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسه، وصفت روحُه، ولاسيما إذا كان ذكره بحضورِ قلبٍ وفهمٍ

---

(١) وقال النووى فى شرح مسلم. أى لاتسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذى هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى.

للمعنى. أما مازاد على ذلك فلم يرد فى كتاب ولا سنة، وقد نُهينا عن الغلو فى دين الله تعالى، والزيادة فيه، وحسبنا الاقتصارُ على ماورد.

٦ - اسم الله الأعظم:

ورد ذكر اسم الله الأعظم فى أحاديث كثيرة، منها:

١ - عن بُرَيْدَة رضى الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِى رجلاً يدعو وهو يقول: اللَّهُمَّ إنى أسألُك بأنّى أشهدُ أنك أنت الله لا إله إلا أنتَ، الأحدُ الصَّمَدُ[1] الذى لم يلد ولم يولَدْ ولم يكن له كُفُوًا أحد. قالَ: فقالَ: «والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم[2]، الذى إذا دُعِى به أجابَ، وإذا سُئِل به أعطَى» رواه أبو داود والتِّرمذىُّ والنَّسائىُّ وابن ماجَه، وقال المنذرىُّ: قال شيخنا أبو الحسن المقدسى: هو إسنادٌ لامطعن فيه، ولا أعلمُ أنه روى فى هذا الباب حديثٌ أجود إسنادًا منه. وقال الحافظُ ابنُ حجر: هذا الحديث أرجح ماورد فى هذا الباب من حيث السند.

٢ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخلَ النَّبىُّ ﷺ المسجدَ ورجلٌ قد صلَّى[3] وهو يدعو ويقول فى دعائه: اللَّهُمَّ لا إله إلا اللهُ، أنت المنَّانُ، بديعُ السَّماواتِ والأرض، ذا الجلال والإكرام[4]، فقال النَّبِىُّ ﷺ: «أتدرون بِمَ دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِىَ به أجابَ، وإذا سُئِل به أعطى» رواه أبو داود والتِّرمذىُّ والنسائى وابن ماجَه.

٣ - عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبىَّ ﷺ قال: «اسمُ الله الأعظمُ فى هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ رواه أحمد وأبو داودَ والترمذىُّ وابنُ

---

(١) ﴿الصمد﴾: أى المقصود فى الحوائج. ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾: أى ولم يكن له أحدٌ مكافئًا ومماثلاً.

(٢) «لقد سأل الله باسمه الأعظم». قال الطيبى: فيه دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دُعى به أجاب، وأن ذلك مذكور ههنا، وفيه حجة على من قال: كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الاسم الأعظم؛ إذ لاشرف للحروف، وقد ذكر فى احاديث أخر مثل ذلك وفيها أسماء ليست فى هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور فى الكل فيستدل بذلك على انه الاسم الأعظم.

(٣) «دخل النبى ﷺ المسجد ورجل قد صلى» قال النووى: قال الخطيب: هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصارى الزرقى.

(٤) ﴿ذا الجلال والإكرام﴾: أى يا ذا العظمة والكبرياء وذا الإكرام لأوليائك.

ماجَه، وقال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤ ـ عن سعدِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «هل أدلكم على اسم الله الأعظمِ الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سُئل به أعطى؟ الدعوة التى دعا بها يونُس حيث نادى فى الظلمات الثلاث(١): ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ فقال رجلٌ: يارسولَ الله هل كانت ليونُسَ خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمعُ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين﴾» (رواه الحاكم).

فأنت ترى من هذه الأحاديث ومن غيرها أنها لم تعينْ الاسمَ الأعظمَ بالذات، وأنَّ العلماء مختلفون فى تعيينه لاختلافهم فى ترجيح الأحاديث بعضها على بعض، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولا، والذى نأخذه من هذه الأحاديث الشريفة، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ المِلّة، أنَّ الاسم الأعظمَ دعاءٌ مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسان، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعًا استجاب الله له، وقد صرَّحتْ به الأحاديثُ الشريفةُ فى عِدّةِ مواضع.

وإذا تقرر هذا، فما يدّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌّ من الأسرارِ يمنح لبعض الأفراد، فيفتحون به المغْلَقات، ويخرقون به العادات، ويكون لهم به من الخواصِّ ما ليس لغيرهم من الناس، أمرٌ زائدٌ على ما ورد عن الله ورسوله، وإذا احتجَّ هؤلاء البعض بالآية الكريمة وهى قوله تعالى: ﴿قال الذى عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل: ٤٠]. على القول بأن معنى: ﴿عنده علم من الكتاب﴾ أنه اسم الله الأعظم، نقول لهم: قد صرح المفسرون بأن ذلك المدعوَّ به كان: يا حَىُّ يا قيُّوم، أو: اللهُ لا إلهَ إلا هو الحَىُّ القَيُّومُ. وادعى بعضُهم أنه سريانى لفظه (آهيا شراهيا)، وهى دعوى بغير دليل. فلم يخرج الأمرُ عما ورد فى الأحاديث الصحيحة.

وخلاصةُ البحث أن بعض الناس ولعوا بالمعميات وادعاء الخصوصيات، والزيادة فى المأثورات، فقالوا ما لم يرد فى كتاب ولا سنة، وقد نُهينا عن ذلك نهيًا شديدًا، فلنقف مع المأثور

---

(١) فى الظلمات الثلاث: ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر.

صفات الله تعالى

١ - صفات الله تبارك وتعالى في نظر العقل:

أنت إذا نظرت إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحِكَم، وغرائب المخلوق، ودقيق الصنع، وكبير الإحكام، مع العظمة والاتساع، والتناسق والإبداع، والتجدُّد والاختراع، ورأيتَ هذه السماءَ الصافيةَ، بكواكبها وأفلاكها، وشموسها وأقمارها ومداراتها، ورأيت هذه الأرضَ بنَباتها وخيراتها، ومعادنها وكنوزها، وعناصرها وموادِّها، ورأيتَ عالَم الحيوانِ وما فيه من غريبِ الهداية والإلهام؛ بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسانِ وما احتواه من أجهزة كثيرةٍ، كلٌّ يقومُ بعمله ويؤدى وظيفتَه، ورأيتَ عالم البحارِ وما فيه من عجائب وغرائب، وعرفتَ القُوَى الكونيةَ وما فيها من حِكَمٍ وأسرارٍ، من كهرباء، ومغناطيس وأثير وراديوم، ثم انتقلت من النظر إلى ذوات العالم وأوصافها، إلى الروابط والصِّلات فيما بينها، وكيفَ أنَّ كلاً منها يتصلُ بالآخر اتصالاً محكمًا وثيقًا، بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزء منها يخدم الأجزاءَ الأخرى، كما يخدم العضوُ في الجسم الواحد بقيةَ الأعضاء، لخرجتَ من كلِّ ذلك، من غير أن يأتيك دليلٌ أو برهانٌ، أو وَحْيٌ أو قرآنٌ، بهذه العقيدة النظرية السهلة وهى: أن لهذا الكون خالقًا صانعًا موجدًا، وأن هذا الصانعَ لابد أن يكونَ عظيماً فوق ما يتصور العقلُ البشريُّ الضعيفُ من العظمة، وقادرًا فوقَ مايفهم الإنسانُ من معانى القدرة، وحيًا بأكملِ معانى الحياة، وأنه مستغنٍ عن كلِّ هذه المخلوقات، لأنه كان قبل أن تكون، وعليمًا بأوسع حدود العلم، وأنه فوق نواميس هذا الكونِ لأنه واضعها، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقُها، وبعدَها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم. وإجمالاً سترى نفسك مملوءًا بالعقيدة بأن صانعَ هذا الكون ومدبِّرهُ متصفٌ بكلِّ صفات الكمال فوق ما يتصورها العقل البشريُّ الصغيرُ، ومنزَّهٌ عن كلِّ صفات النقصِ، وسترى هذه العقيدة وحْيَ وجدانك لوجدانك، وشعورَ نفسك لنفسك: ﴿فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ [الروم: ٣٠]

ونسوق إليك بعد هذه المقدمة بعض غرائب الحوادثِ في هذا الكوْن، وسترى أنها،

على قلتها، بالنسبة لعظمة الكونِ وما فيه من دِقَّةٍ وإحكامٍ ستكون كافية لأن تشعر فى نفسك بما قدمْتُ لك.

الملاحظة الأولى: هذا الهواء الذى نستنشقه مركبٌ من عدة عناصر، منها جزءان هامان: جزء صالح لتنفس الإنسان ويُسمَّى باصطلاح الكيميائيين الأكسجين، وجزء ضار به و يُسمَّى الكربون. فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسهُ النباتُ وهو نافع له، ففى الوقت الذى يكون الإنسانُ فيه يستنشقُ الأكسجين ويطردُ الكربون يكونُ النباتُ يعمل عكس هذه العملية، فيستنشق الكربون ويطرد الأكسجين. فانظر إلى الرابطةِ التعاونية بين الإنسان والنبات فى شيء هو أهم عناصر الحياة عندهما، وهو التنفس، وقل لى، بعد ذلك، هل يفعل هذا فى الكون العظيم غيرُ عظيمٍ قادرٍ واسعِ العلمِ، دقيق الحكمة؟ .

الملاحظة الثانية: أنتَ تأكلُ الطعامَ وهو يتركبُ من عدةِ عناصرٍ نباتية أو حيوانية، يقسمُها العلماءُ إلى مواد زلاليةٍ، أو نشويةٍ، أو دُهنيةٍ، مثلاً، فترى أن الريقَ يهضم بعض المواد النّشوية، ويذيبُ المواد السكريةَ ونحوها مما يقبلُ الذوبانَ، والمعدةَ يهضم عصيرُها الموادَّ الزُّلاليةَ كاللحمِ وغيرهِ، والصفراء المنفرزة من الكبدِ تهضم الدّهنيات، وتجزئها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصُها، ثم يأتى البنكرياسُ بعد ذلك فيُفرزُ أربعَ عُصارات تتولى كل واحدة منها تتميم الهضم فى عنصر من العناصرالثلاثة: النشوية أو الزلالية أو الدهنية، والرابعةُ تحولُ اللبن إلى جُبنٍ، فتأمَّل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجسم البشرىِّ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التى يتغذى بها الإنسانُ!

الملاحظة الثالثة: ترى الزهرةَ فى النبات فترى لها أوراقاً جميلة جذّابةً ملونةً بألوان بهيجة، فإذا سألت علماءَ النبات عن الحكمة فى ذلك، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات التى تمتص رحيقَ الأزهار لتسقط على الزهرة، حتى إذا وقفت على عيدانها علقت حبوبُ اللقاحِ وانتقلتْ من الزهرة الذكر إلى الزهرةِ الأنثى فيتم التلقيح. فانظر كيف جُعلت هذه الأوراقُ الجميلةُ فى الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النباتُ الحيوانَ فى عملية التلقيح الضرورية للإثمار والإنتاج!.

كل ما فى الكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ، وإرادة ساميةٍ، وسيطرةٍ قوية، ونواميس فى غاية الدّقة والإحكام، يسير عليها هذا الوجود. وَرَبُّ هذه الحكمةِ،

وصاحبُ هذه العظمةِ، وواضع هذه النواميس هو: الله.

وقد أفاضَ القرآنُ فى ذلك، وفى لفتِ الأنظارِ إلى هذه الحكمِ البارعة، والأسرارِ العاليـةِ، فلا تكاد تخلو سـورةٌ من سوره من ذكـر آلاء الله ونعمه، ومظـاهرِ قدرته، وحكمته، وحثُّ الناسِ على تجديد النظر فى ذلك، ودوامِ التفكر فيه.

قال تعـالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ[1] أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ[2] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ[3] (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ[4] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا[5] وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٠-٢٤].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا[6] فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٤٨-٥٠]

وغير ذلك كثيرٌ من سورةِ الرَّعْدِ، والقَصَص، والأنبياء، والنملِ، وق، وغيرها من سور القرآنِ الكريم.

---

(١) ﴿ومن آياته﴾: أى ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى تنتشرون فى الأرض تتصرفون فيما هو قيام معايشكم.

(٢) ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾: أى اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما، واختلاف ألوانكم ببياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة.

(٣) ﴿إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ بفتح اللام وكسرها: أى ذوى العقول وأولى العلم.

(٤) ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾ أى: تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾: أى سماع تدبر واعتبار.

(٥) ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾: أى خوفًا للمسافر من الصواعق وطمعًا للمقيم فى المطر.

(٦) ﴿فتثير سحابًا﴾: أى تزعجه ﴿ويجعله كسفًا﴾: أى قطعًا متفرقًا ﴿فترى الودق﴾: أى المطر. ﴿يخرج من خلاله﴾: أى من وسطه. ﴿إذا هم يستبشرون﴾: أى يفرحون بنزول المطر عليهم. ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾: أى لبائسين من نزوله.

٢ - مجمل صفات الله فى القرآن:

أشارت آياتُ القرآنِ الكريم إلى بعضِ الصفات الواجبة لله تعالى، والتى يقتضيها كمالُ الألوهية، وإليك بعضَ هذه الآيات الكريمة:

وجود الله تعالى:

٤ - قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ[١] وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ[٢] يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ[٣] يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ[٤] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[الرعد: ٢ - ٤]

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ[٥] فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨ - ٨٠].

فكلُّ هذه الآياتِ تنبئُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى، وتستدل عليه بما ترى من تصرُّفاته فى شئون الكونِ العجيب.

قدم الله تعالى وبقاؤه:

٣،٢ - قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ[٦] وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

---

(١) ﴿وهو الذى مد الأرض﴾: أى بسطها طولاً وعرضاً. ﴿وجعل فيها رواسى﴾: أى جبالاً ثوابت.

(٢) ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾: أى من كل نوع. ﴿يغشى الليل النهار﴾: أى يغطى الليل بظلمته النهار.

(٣) ﴿ونخيل صنوان وغير صنوان﴾: جمع صنو وهو: النخلة، والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رؤوس فتصير نخلاً.

(٤) ﴿ونفضل بعضها على بعض فى الأكل﴾ الأكل: الثمر، يعنى الحلو والحامض، وهو من دلائل قدرة الله تعالى.

(٥) ﴿وهو الذى ذرأكم﴾: أى خلقكم. ﴿وإليه تحشرون﴾: أى تجمعون يوم القيامة للجزاء.

(٦) ﴿هو الأول﴾: أى قبل كل شىء بلا بداية. ﴿والآخر﴾ بعد كل شىء بلا نهاية. ﴿والظاهر﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس.

عليم﴾ [الحديد: ٣] وقال تعالى: ﴿ولا تدعُ مع الله إلهًا آخر لا إله إلا هو كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه له الحكمُ وإليه ترجعون﴾ [القصص: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿كلُّ من عليها فانٍ (٢٦) ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦ ، ٢٧].

وفى هذه الآيات الكريمة إشارةٌ إلى صِفتَى القِدَم، والبقاءِ لله تبارك وتعالى.

٤ - قال الله تعالى: ﴿قُلْ هو اللهُ أحدٌ (١) اللهُ الصمدُ[1] (٢) لم يلدْ ولم يولدْ (٣) ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ[2]﴾ [سورة الإخلاص] وقال تعالى: ﴿فاطرُ السموات والأرض[3] جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير﴾ [الشورى: ١١].

وفى ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه، وتنزهه عن الولد والوالد والشبيه والنظير.

قيام الله تعالى بنفسه:

٥ - قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناسُ أنتم الفقراءُ إلى الله واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ما أشهدتُهم خلقَ السموات والأرض ولا خلقَ أنفسهم[4] وما كنتُ متخذَ المضلين عضدًا﴾ [الكهف: ٥١].

وفى ذلك إشارة إلى قيامِهِ تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقِهِ مع حاجتهم إليه.

وحدانية الله تعالى

٦ ـ قال الله تعالى: ﴿وقال اللهُ لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلهٌ واحدٌ فإياى فارهبون[5] (٥١) وله ما فى السموات والأرض وله الدينُ واصبًا[6] أفغيرَ الله تتقون (٥٢) وما

---

(١) ﴿الله الصمد﴾: أى المقصود فى الحوائج على الدوام.

(٢) ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾: أى لم يكن له أحد مكافئًا ومماثلاً، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(٣) ﴿فاطر السموات والأرض﴾: أى خالقهما على غيرمثال سبق. ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾: أى حيث خلق حواء من ضلع آدم. ﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾: أى ذكورًا وإناثًا.

(٤) ﴿ولاخلق أنفسهم﴾ أى لم أشهد بعضهم خلق بعض. ﴿وماكنت متخذ المضلين عضدًا﴾: أى أعوانًا فى الخلق.

(٥) ﴿فإياى فارهبون﴾: أى خافون دون غيرى.

(٦) ﴿وله الدين واصبًا﴾: أى دائمًا.

بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون(١) ﴾ [النحل: ٥١-٥٣] وقال تعالى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤]. وقال تعالى: ﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون(٢) (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي(٣) وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٥]. وقال تعالى: ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٥) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء(٤) وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٨) سيقولون لله قل فأنى تسحرون(٥) (٨٩) بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون (٩٠) ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق(٦) ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (٩١) عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٩٢]. وقال تعالى: ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون (٥٩) أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة(٧) ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله

---

(١) ﴿فإليه تجأرون﴾: أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء، ولاتدعون لغيره.

(٢) ﴿هم ينشرون﴾: أى يحيون الموتى، ولا يكون إلهًا إلا من يحيى الموتى.

(٣) ﴿هذا ذكر من معي﴾: أى أمتى، وهو القرآن. ﴿وذكر من قبلي﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله تعالى. وليس فى واحد منها أن مع الله إلهًا كما قالوا، تعالى الله عن ذلك.

(٤) ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾: أى ملك كل شيء والتاء للمبالغة. ﴿وهو يجير ولايجار عليه﴾ أى يحمى ولايحمى عليه.

(٥) ﴿فأنى تسحرون﴾: أى تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة الله وحده. أى كيف يخيل لكم أنه باطل.

(٦) ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق﴾: أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا.

(٧) ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ جمع حديقة وهى البستان الذى عليه حائط. والبهجة: الحسن والجمال.

مع الله بل هم قوم يعدلون (٦٠) أمن جعل الأرض قرارا[1] وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١) أمن يجيب المضطر إذا دعاه[2] ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢) أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر[3] ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته[4] أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[النمل: ٥٩ - ٦٤].

إلى غير ذلك من الآيات، التي تثبتُ أنه تعالى واحدٌ في ذاته، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله وتصرفاته، لا رب غيرُه، ولا إله سواه.

قدرة الله تعالى:

٧ - قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة[5] ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾

---

(١) ﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾: أي لاتميد بأهلها. ﴿وجعل لها رواسي﴾: أي جبالاً أثبت بها الأرض. ﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾: أي بين العذب والملح لايختلط أحدهما بالآخر.

(٢) ﴿أمن يجيب المضطر﴾: أي المكروب الذي مسه الضر. ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾: أي سكانها يهلك قوماً وينشئ آخرين.

(٣) ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾: أي يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً.

(٤) ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾: أي أمام المطر.

(٥) ﴿فإنا خلقناكم من تراب من ثم نطفة﴾: أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من مني ﴿ثم من علقة﴾ أي دم جامد ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾: أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق. ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾: أي نعمركم لتبلغوا أشدكم، أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة. ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾: أي أخسه من الهرم والخرف. ﴿وترى الأرض هامدة﴾: أي يابسة لاتنبت شيئاً. ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾: أي تحركت وارتفعت وزادت. ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾: أي من كل صنف حسن.

[الحج: ٥-٧]. وقال تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ [الكهف: ٥١]. وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب[١]﴾ [ق: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين[٢] هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴿٥٣﴾ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾ [الفرقان: ٥٣، ٥٤]. وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا[٣] ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه[٤] يذهب بالأبصار ﴿٤٣﴾ يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴿٤٤﴾ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [النور: ٤٣-٤٥]

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظيم قدرته تبارك وتعالى وباهر عظمته.

إرادة الله تعالى:

٨ - قال الله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] وقال الله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها[٥] ففسقوا فيها فحق عليها

---

(١) ﴿وما مسنا من لغوب﴾: أي تعب.

(٢) ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾: أي أرسلهما متجاورين. ﴿هذا عذب فرات﴾: أي حلو شديد العذوبة. ﴿وهذا ملح أجاج﴾: أي شديد الملوحة. ﴿وجعل بينهما برزخا﴾: أي حاجزا الا يختلط أحدهما بالآخر. ﴿وحجرا محجورا﴾: أي سترا مستورا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر. ﴿وهوالذي خلق من الماء بشرا﴾: أي خلق من النطفة إنسانا. قال القرطبي: وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في إيجادهم بعد العدم، والتنبيه على العبرة في ذلك.

(٣) ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا﴾: أي يسوقه. ﴿ثم يؤلف بينه﴾: أي يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف. ﴿ثم يجعله ركاما﴾: أي مجتمعا يركب بعضه بعضا. ﴿فترى الودق﴾: أي المطر.

(٤) ﴿يكاد سنا برقه﴾: أي لمعان برقه ﴿يذهب بالأبصار﴾ الناظرة إليه: أي يخطفها ﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة﴾: أي دلالة ﴿لأولي الأبصار﴾: أي لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى.

(٥) ﴿أمرنا مترفيها﴾: أي منعميها بمعنى رؤسائها، أي أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا. ﴿فحق علينا القول﴾: أي العذاب ﴿فدمرناها تدميرا﴾: أي أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

القول فدمرناها تدميرا﴾ [الإسراء: ١٦]. وقال تعالى حكاية عن الخضر فى قصته مع موسى عليهما السلام: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما(١) ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ [الكهف: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم(٢) ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢٦) والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تشير إلى إثبات إرادة الله تعالى وأنها فوق كل إرادة ومشيئة. ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠].

علم الله تعالى

٩ - قال الله تعالى: ﴿الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير (١) يعلم ما يلج فى الأرض(٣) وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور﴾ [سبأ: ١، ٢].. وقال تعالى: ﴿يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾(٤) [التغابن: ٤]. وقال تعالى حكاية عن لقمان فى وصيته لابنه: ﴿يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ [لقمان: ١٦]. وقال تعالى فى حكاية ما وقع بين شعيب وقومه: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين (٨٨) قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علما على الله

---

(١) ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾: أى إيناس رشدهما. ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾: أى تطق صبراً عليه.

(٢) ﴿يريد الله ليبين لكم﴾: أى شرائع دينكم ومصالح أمركم. ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾: أى طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم

(٣) ﴿يعلم ما يلج فى الأرض﴾: أى يدخل فيها من ماء وغيره. ﴿ومايخرج منها﴾: أى من نبات وغيره. ﴿وماينزل من السماء﴾: من رزق وغيره. ﴿ومايعرج فيها﴾: أى يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد.

(٤) ﴿والله عليم بذات الصدور﴾: أى بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق[1] وأنت خير الفاتحين ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم[2] ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ [المجادلة: ٧]. وقال تعالى: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا[3] إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ [يونس: ٦١].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على سعة علمه تبارك وتعالى، وإحاطته بكل شيء، قل أو كثر، دق أو عظم.

○ حياة الله تعالى:

١٠- قال الله تعالى: ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم[4] لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى ﴿ الم ۝ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ۝ نزل عليك الكتاب[5] بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ۝ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾ [آل عمران: ١-٤]. وقال تعالى: ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ۝ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ [غافر: ٦٤، ٦٥].

إلى غير ذلك من آيات كثيرة تدل على أن الله تبارك وتعالى متصف بالحياة الكاملة التي ليس ثم أكمل منها.

---

(١) ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾: أي احكم.

(٢) ﴿مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾: أي بعلمه.

(٣) ﴿إلا كنا عليكم شهودا﴾: أي نعلمه. ﴿إذ تفيضون فيه﴾: أي تأخذون فيه. ﴿ومايعزب عن ربك﴾: أي يغيب.

(٤) ﴿القيوم﴾: أي القائم بتدبير خلقه. ﴿لاتأخذه سنة﴾ السنة بكسر السين: النعاس.

(٥) ﴿نزل عليك الكتاب﴾: أي القرآن، ﴿مصدقا لما بين يديه﴾: أي لما قبله من الكتب المنزلة. ﴿وأنزل الفرقان﴾: أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل.

سمع الله تعالى وبصره:

١١ ـ قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ[1] فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ٩-١٤]. وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا[2] أَوْ أَن يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٣-٤٦] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ[3] وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٩، ٢٠].

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمع والبصر.

كلام الله تعالى:

١٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ[4] اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بصفة الكلام.

صفات الله لاتتناهى:

وصفات الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم كثيرةٌ، وكمالاتُه تبارك وتعالى لاتتناهَى، ولاتُدرِكُ كُنْهَهَا عقولُ البشر، سبحانَه لا نحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

---

(١) ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك﴾: أى تراجعك. ﴿والله يسمع تحاوركما﴾: أى تراجعكما.

(٢) ﴿قالا: ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾: أى يعجل العقوبة. ﴿أو أن يطغى﴾: علينا: أى يتكبر.

(٣) ﴿يعلم خائنة الأعين﴾: أى بمسارقتها النظر إلى محرم. ﴿وما تخفى الصدور﴾: أى القلوب.

(٤) ﴿يسمعون كلام الله﴾: أى التوراة. ﴿ثم يحرفونه﴾: أى يغيرونه. ﴿من بعد ما عقلوه﴾: أى فهموه.

○ بين صفات الله وصفات الخلق:

والذى يجب أن يتفطنَ له المؤمن أن المعنى الذى يُقْصَدُ باللفظ فى صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافًا كليًّا عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه فى صفات المخلوقين. فأنت تقولُ: الله عالم والعلم صفة لله تعالى، وتقولُ: فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس، فهل ما يقصدُ بلفظة العلم فى التركيبين واحد؟ حاشا أن يكون كذلك، وإنما عِلْم الله تبارك وتعالى علمٌ لايتناهَى كمالُه ولايُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئًا إلى جانبه. وكذلك الحياة، وكذلك السمع، وكذلك البصر، وكذلك الكلام، وكذلك القدرة والإرادة. فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظ فيها تختلفُ عن مدلولاتها فى حق الخلقِ من حيث الكمال والكيفية اختلافًا كلّيًا، لأنه تبارك وتعالى لايشبه أحدًا من خلقه. فتفطَّن لهذا المعنى فإنه دقيق. ولستَ مطالبًا بمعرفة كُنْهها، وإنما حسبُك أن تعلم آثارَها فى الكون ولوازمها فى حقِّك. والله نسألُ العصمةَ من الزللِ وحسنَ التوفيقِ.

○ الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى:

يعمد علماء العقائد إلى إثبات صفات الله تبارك وتعالى بأدلة عقلية، وأقيسة منطقية؛ ونحن نقولُ: إن ذلك حسنٌ؛ لأن العقل أساسُ المعرفة ومناطُ التكليفِ، وحتى لايكون فى نفسِ أحدٍ أثرٌ من آثارِ الشُّبهات والأباطيلِ، ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك، ووجودُ الخالقِ تبارك وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمالِ المطلقِ له صار فى حكم البديهيات التى لايُحتَاجُ فى إثباتها إلى دليلٍ أو برهانٍ، ولايطالِب بالدليل عليها إلا كلُّ مكابرٍ مريضِ القلبِ لايُجْديه دليلٌ، ولاتنفع معه حُجَّةٌ، ومع هذا فتتميمًا للفائدة نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ، فنقولُ:

الدليل الأول: هذا الوجودُ الذى يدل بعظمتهِ وإحكامه على وجودِ خالقه وعظمته وكمالِه.

الدليل الثانى: أن فاقدَ الشىء لايعطيه، فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكون متصفًا بصفاتِ الكمالِ فكيف تكون آثارُ هذه الصفات فى مخلوقاته.

الدليل الثالث: وهو خاصٌ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لايتعدد: إن التعددُ مدعاةُ الفسادِ

والخلافِ والعلوِّ ولاسيما وشأنُ الألوهيةِ الكبرياءُ والعظمةُ، وأيضًا فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهم؛ وتعطيلُ صفاتِ الألوهيَّة يتنافى مع جلالِها وعظمتِها، فلابد أن يكون الإله واحدًا لارب غيره.

هذه نماذجُ من الأدلة المنطقيَّة على وجودِ الخالقِ، وإثباتِ صفاته، ومن أراد الاستيعابَ فعليه بالمطولات. على أن الأمرَ مركوزٌ فى فِطَرِ النفوسِ الصافيَة، مستقرٌ فى أعماقِ القلوبِ السليمة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

⊙ سؤال يقف أمامه كثير من الناس:

وردَ فى حديث عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لايزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ هذا: خلقَ اللهُ الخلقَ فمَن خلقَ الله؟ فمَن وجد من ذلك شيئًا فليَقل: آمنتُ بالله[1]» (رواه مسلم).

وهذ السؤالُ وإن كان خطأً من أساسه، لأننا أُمرنا ألا نبحثَ فى ذاتِ الله تبارك وتعالى؛ لأن عقولَنا القاصرةَ التى تعجز عن إدراك حقيقة نفسِها تعجزُ من باب الأولى، عن إدراك حقيقة ذات الله تبارك وتعالى إلا أنه يختلج فى نفوس بعض الناس، ونريدُ أن نوضِّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم، إن شاء اللهُ تعالى، فنقول:

إذا وضعتَ كتابًا على مكتبِك ثم خرجت من الحجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذى تركتَه على المكتبِ موضوعًا فى الدرج، فإنك تعتقدُ تمامًا أن أحدًا لابد أن يكون قد وضعه فى الدرج؛ لأنك تعلم من صفات هذا الكتاب أنه لاينتقل بنفسه. احفظ هذه النقطة وانتقلْ معى إلى نقطةٍ أخرى: لو كان معك فى حجرةِ مكتبِك شخص جالسٌ على الكرسىّ ثم خرجتَ وعدتَ إلى الحجرة فرأيتَه جالسًا على البِساطِ

(١) قال الإمام المازرى: ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولانظر فى إبطالها. قال: والذى يقال فى هذا المعنى أن الخواطر على قسمين، فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمرًا طارئًا وبغير أصل دفع بغير نظر فى دليل، إذ لا أصل له ينظر فيه. وأما الخواطر المستقرة التى اجتلبتها الشبهة فإنها لاتندفع إلا بالاستدلال والنظر فى إبطالها. والله أعلم.

مثلاً فإنك لاتسألُ عن سببِ انتقاله، ولاتعـتقدُ أن أحدًا نقله من موضعِه؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الشخصِ أنه ينتقلُ بنفسه ولايحتاج إلى من ينقله. احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقولُ لك: لما كانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحن نعلم من طبائعِها وصفاتِها أنها لاتوجدُ بذاتها بل لابد لهـا من موجِدٍ، عرفنا أن موجدها هو الله تبارك وتعالى؛ ولما كـان كمـالُ الألوهيَّة يقتـضى عدم احتـياج الإله إلى غـيرِه، بل إن من صفاته قـيامَه بنفسِه، عرفنا أن الله تبـارك وتعالى موجود بذاتِه وغيرُ مـحتاج إلى من يوجِدُه. وإذا وضـعـت النقطتـين السابقـتين إلى جـانب هذا الكلام، اتّضح لك هذا المقامَ، والعقل البشرىُّ أقصرُ من أن يتورّطَ فى أكثرَ من ذلك. والله نسألُ العِصْمَةَ من الزللِ؛ إنه رؤوف رحيم.

وإليك أقوال علماء الأوروبيين فى إثباتِ وجـود اللهِ تعالى والإقرار بكمالِ صفاته، والله ولى توفيقنا وتوفيقك.

○ كلام العلماء الطبيعيين فى إثبات وجود الله وصفاته

قـدمنا لك أن هذه العقـيدة فـطرية فى النفوس السليـمـة، مسـتقـرة فى الأذهان الصافية، تكاد تكـون من بدهيّاتِ المعلومات، تؤيدها نتائج العقول جـيلاً بعد جيل، ولذلك اعتـقدها علمـاءُ الكونِ من الأوربيينَ وغـيرِهم وإن لم يتلقـوها عن دينٍ من الأديان؛ وسننقلُ لك بعض شهاداتهم، لا تأييدًا للعقيدة، ولكن إثباتًا لاستقرارِها فى النفوسِ، وقطعًـا لألسنةِ الذينَ يريدونَ أن يتـحلّلوا من رباطِ العـقـائدِ، ويخادعـوا ضمائرهم وأرواحَهم بالباطل.

١ - قال ديكارت العالم الفرنسى

«إنى مع شعـورى بنقص ذاتى أحسُّ فى الوقت نفسه بوجوبِ وجـودِ ذات كاملة، وأرانى مضطراً للاعـتقاد بأن هذا الشعورَ قـد غرسَته فى ذاتى الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميع صفاتِ الكمالِ، وهى: اللهُ».

فهو يثبتُ فى كلامه هذا ضعفَ نفسـه ونقصَها، ووجودَ اللهِ وكمالَه، ويعترفُ بأن شعـورَه وإحسـاسَه هبـةٌ من اللهِ له وفطرةٌ فيه ﴿فطرت الله التى فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠]

٢ - وقال إسحاق نيوتن العالم الإنجليزي الشهير، ومكتشف قانون الجاذبية:

«لاتشكوا فى الخــالقِ فإنه مما لايعــقلُ أن تكون المصادفــاتُ وحدَها هى فــائدةَ هذا الوجودِ».

٣ - وقال هرشل الفلكى الإنجليزى:

«كلمــا اتسع نطاقُ العلم ازدادت البراهينُ الدامــغةُ القــويةُ على وجودِ خــالقٍ أزلىٍّ لاحدَّ لقدرتــه ولانهاية؛ فالجيولــوجيونَ والرياضيون، والفــلكيون، والطبيعــيونَ، قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ، وهو صرحُ عظمةِ اللهِ وحدَه».

٤ - وقال لينيه، كما نقله عنه كاميل فلاماريون الفرنسى فى كتابه المسمى «الله فى الطبيعة»:

«إن اللهَ الأزلىُّ الأبدىَّ، العــالِمَ بكلِ شىء والمُقْــتَدِرَ على كل شىءٍ، قــد تجلَّى لى ببدائعِ صُنْعِه حتى صرتُ مندهشًا مبهوتًا؛ فأىُّ قدرةٍ وأىُّ حكمةٍ وأىُّ إبداعٍ أبدعَه فى مصنوعــاته، سواءٌ فى أصــغرِ الأشيــاء أو أكبَــرِها! إن المنافعَ التى نستــمدُّها من هذه الكائناتِ تشهــدُ بعظمةِ رحمةِ اللهِ الذى سَــخَّرَهَا لنا، كما أن كــمالَها وتناسُقَــها يُنبِئُ بواسعِ حِكمتِه، وكذلك حفظُها عن التلاشى وتجدُّدُها يقرُّ بجلالِه وعظمتِه».

٥ - ويقول «هربرت سبنسر الإنجليزى» فى هذا المعنى فى رسالته فى التربية:

«العلم يناقضُ الخُرافــات، ولكنهُ لايناقضُ الدِّينَ. يوجد فى شىءٍ كثيرٍ من العلمِ الطبيعىِّ الشائعِ روحُ الزندقةِ، ولكن العلمَ الصــحيحَ الذى تجاوز المعلوماتِ السطحيةَ، ورسبَ فى أعــماقِ الحــقائقِ، براءٌ من هذه الروحِ. العلمُ الطبيــعىُّ لاينافى الدينَ، والتوجُّــهُ للعِلمِ الطَبيعىِّ عــبادة صامتــةٌ واعترافٌ صامتٌ بنفاسةِ الأشيــاءِ التى تعايَن وتُدرسُ، ثم بقدرةِ خالقِها، فليس ذلك التوجهُ تسبيــحًا شفهيًا، بل هوتسبيحٌ عملىٌ، وليس باحترامٍ مُدَّعى، إنمــا هو احترامٌ أثمرتهُ تضحيةُ الوقتِ والتفكير والعملِ. وهذا العلم لا يسلكُ طريقَ الاستــبداد فى تفهيم الإنسانِ استــحالةَ إدراكِ السببِ الأوَّلِ وهو «الله» ولكنهُ ينهجُ بنا النَّهجَ الأوضَــحَ فى تفهــيمنا الاستــحالةَ بإبلاغــنا جميــعَ أنحاء الحدودِ التى لا يُــستطاعُ اجتيازُها، ثم يقف بنــا، فى رفقٍ وهوادة، عند هذه النهاية؛ وهو بعد ذلك يُرينا بكيــفية لا تعادل صغَرَ العــقلِ الإنسانىُّ إزاء ذلك الذى يرى قطرةَ

الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأكسجين والأيدروجين بنسبة خاصة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئًا آخر غيرَ الماء، يعتقدُ عظمةَ الخالق وقُدرَته وحكمتَه وعلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غيرِ العالِم الطبيعيِّ الذي يرى قطعةَ البَرد[1] فيرى تحتَ مجهرِه ما فيها من جمالِ الهندسة، ودقة التقسيم، لاشك أنهُ يشعر بجمالِ الخالِق ودقيقِ حِكمته أكبَر من ذلك الذى لَايعلم عنها إلا مطرٌ تجمَّدَ من شدة البَرْدِ».

وأقوالُ علماء الكونِ فى ذلك لاتقع تحت حصر، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ. وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلَم شبابُنا أن دينَهُم مُؤيَّدٌ من عند الله تباركَ وتعالى، لايزيدهُ العلمُ إلا قُوَّةً وثباتًا وتأييدًا، مصدَاقًا لقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]

* * *



(١) أى قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً.

آيات الصفات وأحاديثها

وَرَدَت في القرآنِ الكريم آياتٌ وفي السُّنَّة المُطَهَّرَة أحاديثُ، تُوهِمُ بظاهرِها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم، نُورِدُ بعضَها على سبيل المثال، ثم نُقَفِّي بذكر ما وردَ فيها من الأقوال. والله نَسألُ أنْ يوفقنا إلى بيان وجه الحق في هذه المسألة، التي طال فيها جدلُ الناسِ ونقاشُهم إلى هذا العصرِ، وأن يُجنِّبَنا الزللَ ويُلهمنا الصَّوابَ، وهوحسبنا ونعم الوكيلُ.

○ **نماذج من آيات الصفات:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(١) (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ومثلُها كل آيةٍ ورَد فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحق تبارك وتعالى.

٢ - قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ(٢) فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٧-٣٩]. وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ(٣) بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٦، ٣٧].

ومثلُها كل آيةٍ ورد فيها لفظُ العينِ مضافاً إلى الله تبارك وتعالى.

٣ - قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ(٤) إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

---

(١) ﴿كل من عليها﴾: أي على الأرض. ﴿فان﴾: أي هالك. ﴿ويبقى وجه ربك﴾: أي ذاته قال الزمخشري: والوجه يعبّر به عن الجملة والذات. ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان.

(٢) ﴿فاقذفيه في اليم﴾: أي في نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾: أي بالشاطئ، ﴿ولتصنع على عيني﴾: أي تربى على رعايتي وحفظي لك.

(٣) ﴿فلا تبتئس﴾: أي فلا تحزن. ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾: أي بمرأى منا وحين نراك. وقال الربيع بن أنس: يحفظنا إياك حفظ من يراك. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: بحراستنا.

(٤) ﴿إن الذين يبايعونك﴾: أي بيعة الرضوان. ﴿يد الله فوق أيديهم﴾: أي التي بايعوا بها النبي ﷺ أي مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها. ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾: أي فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه.

﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ [الفتح: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة(١) غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت(٢) أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾ [يس: ٧١].

٤ - قال الله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه(٣) وإلى الله المصير﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك(٤) إنك أنت علام الغيوب﴾ [المائدة: ١١٦].

٥ - قال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥](٥).

ومثلها كل آية نُسِبَ فيها الاستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى.

٦ - قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده(٦) ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء

---

(١) ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾: أى مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك. ﴿غلت أيدهم﴾: أى امسكت عن فعل الخيرات. ﴿بل يداه مبسوطتان﴾: مبالغة فى الوصف بالجود، وثنى اليد لإفادة الكثرة؛ إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه.

(٢) ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا﴾: أى أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين. والأنعام هى الإبل والبقر والغنم.

(٣) ﴿ويحذركم الله نفسه﴾: أى يخوفكم الله إياه.

(٤) ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾ أى تعلم سرى وما انطوى عليه ضميرى الذى خلقته، ولا أعلم شيئًا مما استأثرت به من غيبك وعلمك.

(٥) ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: العرش سرير الملك، واستوى قال أبو الحسن الأشعرى وغيره: استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين. وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: يريد خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة

(٦) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قال القرطبى: القهر: الغلبة والقاهر الغالب. ومعنى ﴿فوق عباده﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم: أى هم تحت تسخيره لافوقية المكان. كما تقول: السلطان فوق رعيته أى بالمنزلة والرفعة. ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾: أى ملائكة تحصى أعمالكم ﴿توفته رسلنا﴾: أى الملائكة الموكلون بقبض الأرواح.

أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ [الأنعام: ٦١]. وقال تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء[1] أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ [المُلك: ١٦]. وقال تعالى: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم[2] الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ [فاطر: ١٠].

مما يؤخذ منه نسبة الجهة لله تبارك وتعالى.

٧ - قال الله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله[3] في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [التحريم: ١٢][4]. وقال تعالى: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا (٢١) وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢][5].

○ نماذج من أحاديث الصفات:

وردت في الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتي وردت في الآياتِ السابقة، منسوبةٌ إلى اللهِ تبارك وتعالى: كالوجْهِ واليد، ونحوهما فنكتفي بالآيات عن ذكرها، وورد في

---

(١) ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أي أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته. قال القرطبي: وخص السماء وإن عم ملكه تنبيهًا على أنه الإله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض ﴿فإذا هي تمور﴾: أي تذهب وتجيء.

(٢) ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾: أي الله تبارك وتعالى، يصعد الكلم الطيب: أي بعلمه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾: أي يرفعه الله: أي يقبله والكلم الطيب: هوالتوحيد الصادرعن عقيدة طيبة. ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾: أي يهلك.

(٣) ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ :هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﷺ.

(٤) ﴿التي أحصنت فرجها﴾ أي حفظته عن الفواحش. ﴿فنفخنا فيه﴾: أي أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها ﴿من روحنا﴾ أي روحًا من أرواحنا وهي روح عيسى عليه السلام. ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾: أي بشرائعه. ﴿وكانت من القانتين﴾: أي من المطيعين.

(٥) ﴿دكًا دكًا﴾: أي مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضًا فتكسر كل شيء على ظهرها ﴿وجاء ربك﴾: أي أمره وقضاؤه، ﴿والملك﴾: أي الملائكة ﴿صفًا صفًا﴾: أي صفوفًا.

أحاديث كثيرة ألفاظٌ أخرى من هذا القبيل منسوبةٌ إلى ذاتِ الله تبارك وتعالى نوردُ بعضَها؛ فمن ذلك:

١ - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: قال: «خَلَقَ اللهُ آدمَ على صورته[1] طولُه ستون ذراعًا، فلمّا خَلَقه قال: اذهبْ فسلم على أولئك - نفرٍ من الملائكة جلوسٍ - فاستمعْ مايحيّونك فإنها تحيّتُك وتحية ذريتك، فقال: السَّلام عليكم. فقالوا: السَّلامُ عليكَ ورحمةُ الله، فزادوه ورحمةُ الله، فكلُّ من يدخلَ الجنةَ على صورة آدمَ، فلم يزلِ الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآن» رواه البخارىُّ ومُسلمٌ.

٢ - عن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنه عن النبىِّ ﷺ أنه قال: «لاتزالُ جهنمُ يلْقَى فيها وتقولُ: هل من مزيد حتى يضعَ ربُّ العزّة فيها قدمه[2] فينزوى بعضُها إلى بعضٍ، وتقولُ قط قط بعزّتك وكرمِك، ولايزالُ فى الجنة فضلٌ حتى يُنْشِئَ اللهُ لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة» رواهُ البخارىُّ ومُسلمٌ.

٣ - عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «للهُ أشدُّ فرحًا[3] بتوبة أحدكم من أحدِكم بضالّته إذا وجدها» رواه البُخَارِىُّ ومُسْلِمٌ.

انقسم الناس فى هذه المسألة على أربع فرق.

١ - فرقة أخذت بظواهرها كما هى، فنسبت إلى الله وجهًا كوجُوه الخلقِ، ويدًا أو أيديًا كأيْديهمْ، وضحكًا كضحكهم، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخًا، وبعضهم فرضه شابًا، وهؤلاء هم المجسِّمة والمُشَبِّهَةُ، وليسوا من الإسلام فى شئ، وليس لقولهم نصيبٌ من الصحة؛ ويكفى فى الردِّ عليهم، قولُ الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

(١) «على صورته»: أى على صورة آدم عليه السلام. قال الحافظ العسقلانى: المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة أحوالاً ولاتردد فى الأرحام أطوارًا كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سويًا من أول ما نفخ فيه الروح.

(٢) «حتى يضع رب العزة فيها قدمه» قال الزمخشرى: وضع القدم على الشىء مثل للردع والقمع فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع. وقوله ﷺ: فينزوى بعضها إلى بعض»: أى ينقبض بعضها إلى بعض. «وتقول قط قط»: أى حسبى حسبى.

(٣) «لله أشد فرحًا» قال النووى: قال المازرى: الفرح ينقسم على وجوه منه السرور، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به؛ فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته، فعبر عن الرضا بالفرح تأكيدًا لمعنى الرضا فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره.

شيءٌ وهو السميعُ البصير﴾ [الشورى: ١١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

٢ - فرقة عطلَت معانى هذه الألفاظ على أيِّ وَجْهٍ، يقصدونَ بذلك نفى مدلولاتها مطلقًا عن الله تبارك وتعالى، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لايتكلمُ ولايسمعُ ولايُبصرُ؛ لأن ذلك لايكون إلا بجارحةٍ، والجوارحُ يجبُ أنْ تُنفى عنهُ سبحانه؛ فبذلك يعطلون صفات الله تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسه، وهؤلاء هم المعطِّلةُ. ويطلق عليهم بعضُ علماء تاريخ العقائد الإسلامية: الْجَهْمِيَّة، ولا أظن أن أحدًا عنده مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ الْمُتَهافت! وها قد ثبتَ الكلامُ والسمْعُ والبصرُ لبعض الخلائق بغير جارحة، فكيف يتوقَّفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارح؟! تعالى الله عن ذلك عُلوًا كبيرًا.

هذان رأيان باطلان لاحظَّ لهما من النظرِ، وبقى أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظارِ العلماءِ فى العقائدِ وهما رأى السَّلَفِ ورأى الْخَلَفِ.

مذهب السلف فى آيات الصفات وأحاديثها

٣ - أما السَّلَفُ رضوان الله عليهم فقالوا: نؤمنُ بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وردت، ونتركُ بيانَ المقصود منها لله تبارك وتعالى، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواءَ والضَّحِكَ والتعجبَ... إلخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لاندركُها، ونتركُ لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها، ولاسيما وقد نهينا عن ذلك فى قول النبى ﷺ: «تفكَّروا فى خَلْقِ الله ولاتفكَّروا فى الله فإنكم لن تقدروه قَدْرَه».

قال العراقىُّ: رواهُ أبو نعيم فى (الحِلْيَة) بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه الأصبهانىُّ فى الترغيب والترهيب بإسنادٍ أصحَّ منه، ورواه أبو الشيخ كذلكَ مع قطعهم رضوان الله عليهم بانتفاء المشابهة بين الله وبينَ الخلق، وإليك أقوالَهم فى ذلك:

(أ) روى أبو القاسم اللالكائىُّ فى (أصول السُّنَّة) عن محمدِ بنِ الحسنِ صاحب أبى حنيفةَ رضى الله عنهما قال: (اتفقَ الفقهاءُ كلهُم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقاتُ عن رسول الله ﷺ فى صفةِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولاتشبيهٍ، فمن فسَّر اليوم شيئًا من ذلك فقد خرج مما

كان عليه النبى ﷺ وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّروا، ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا).

(ب) وذكر الخلاَّلُ فى كتاب (السُّنة) عن حنبل وذكرهُ حنبل فى كُتُبه مثل كتاب (السُّنة والمحنة) قال حنبل: (سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التى تروى (إن الله تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماء الدنيا». و(إن الله يرى) و (إن الله يَضَعُ قدمه) وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبد الله: نُؤْمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نَرُدُّ منها شيئًا، ونعلمُ أن ما جاء به الرسولُ ﷺ حقٌّ إذا كان بأسانيد صحاحٍ، ولانرد على الله قوله ولايُوصف اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حَدٍّ ولاغاية، ليس كَمِثْلِه شَىْءٌ).

(جـ) وروى حَرْمَلةُ بْن يحيى قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ وَهْبٍ يقولُ: سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ: مَنْ وصف شيئًا من ذات الله مثل قوله: ﴿وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولة﴾ [المائدة: ٦٤] فأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وهو السميعُ البصيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأشار إلى عينه أو أُذُنه أو شىء من يديه، قطع ذلك منه؛ لأنه شَبَّهَ الله بنفسه. ثم قال مالكٌ: أما سمعتَ قول البَرَاء حين حدَّث أن النبىَّ ﷺ لا يضحى بأربع من الضحايا وأشار البَرَاءُ بيده كما أشارَ النبىُّ ﷺ، قال البراءُ: ويدى أقصرُ من يدِ رسولِ الله ﷺ فكره البراء أن يصف يدَ رسولِ الله إجلالاً له وهو مخلوق؛ فكيف الخالق الذى ليس كَمِثْلِه شىءٌ؟!.

(د) وروى أبو بكرٍ الأثرمُ، وأبو عَمْرو الطلمنكىُّ وأبو عبد الله بنِ أبى سَلَمَة الماجشون كلامًا طويلاً فى هذا المعنى ختمهُ بقوله: (فما وصفَ الله من نَفْسِه فسمَّاه عَلَى لسانِ رسوله سمَّيناهُ كما سمَّاه، ولم نتكلَّفْ منه صفة ما سواهُ، لا هذا ولا هذا، ولا نجحد ما وصفَ، ولا نتكلَّفُ معرفةَ مالم يصفْ).

(اعلم، رحمك اللهُ، أن العصمة فى الدين أن تنتهى حيثُ انتُهِىَ بك، ولاتجاوز ما قد حُدَّ لك؛ فإنَّ من قوامِ الدِّينِ معرفةَ المعروف، وإنكارَ المنكرِ، فما بُسطتْ عليه المعرفةُ، وسكنَتْ إليه الأفئدةُ، وذُكر أصله فى الكتابِ والسُّنة، وتوارثَ علْمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ فى ذكرِه وصفته من ربك ما وصف من نفسِه عينًا، ولاتكلفنَّ بما وصف

من ذلك قدراً، وما أنكرته نفسُك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفنّ علمه بعقلك، ولاتصفه بلسانك، واصمُتْ كما صَمَتَ الربُّ عنه من نفسه، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها، فكما أعظمتَ ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعْظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها، فقد والله عزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكر، يسمعون ما وصف اللهُ به نفسه من هذا في كتابه، وما يبلغهم مثلُه عن نبيِّه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم، ولاتكلّف صفة قدره، ولاتسمية غيره من الرب مؤمنٌ، وما ذكر عن رسول الله ﷺ أنه سماهُ من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمَّى ووصفَ الرّبّ تعالى من نفسه، والرّاسخونُ في العلْم، الواقفون حيْثُ انتهى به علمهُمْ، والواصفونَ لربهم بما وصفَ نفسَهُ، التاركون لما ترك من ذكرها لاينكرون صفة ماسمَّى منها جَحداً، ولايتكلّفون وصفه بما لم يسم تعمقاً؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمى ماسمّى، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وهب الله لنا ولكم حكما، وألحقنا بالصالحين).

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

قدمت لك أنَّ السلَفَ، رضوان الله عليهم، يؤمنون بآيات الصفات وأحاديثها كما وردت، ويتركون بيانَ المقصودِ منها لله تبارك وتعالى، مع اعتقادهم بتنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه.

فأما الخلَفُ فقد قالوا: إننا نقطع بأن معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لايرادُ بها ظواهرها، وعلى ذلك فهي مَجازاتٌ لامانع من تأويلها، فأخذوا يؤوّلون (الوجه) بالذاتِ و (اليد) بالقدرةِ وما إلى ذلك؛ هرباً من شبهةِ التشبيه. وإليك نماذجَ من أقوالهم في ذلك.

١ - قال أبو الفرج بن الجوزيّ الحنبليُّ في كتابه (دفع شبهة التشبيه): قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]. أي يريدونه. وقال الضّحّاكُ وأبو عبيدة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أي إلا هو.

وعقد فى أول الكتاب فصلاً إضافيًا فى الرد على من قالوا إن الأخذ بظاهر هذه الآيات والأحاديث هو مذهبُ السلَف؛ وخلاصةُ ما قاله أن الأخذ بالظاهر هو تجسيمٌ وتشبيهٌ؛ لأن ظاهِر اللفظ هو ما وُضع له، فلا معنى لليد حقيقةً إلا الجارحة، وهكذا. وأما مذهب السلف فليس أخذها على ظاهرها، ولكن السكوتُ جملةً عن البحث فيها، وأيضًا فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفاتٍ و أحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب ولا فى سنة، وليست حقيقيةً فإنها إضافات ليس غير، واستدل على كلامه فى ذلك بأدلة كثيرة لامجال لذكرها هنا.

٢ - وقال فخرُ الدينِ الرازىُّ فى كتابه (أساسُ التقديس): واعلم أن نصوص القرآن لايمكنُ إجراؤها على ظاهرها لوجوهٍ: الأول أن ظاهر قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عينى﴾ [طه: ٣٩] يقتضى أن يكون موسى عليه السلام مستقرًا على تلك العين ملتصقًا بها مستعليًا عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ، والثانى أن قوله تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ [هود: ٣٧] يقتضى أن يكون آلة تلك الصنعة هى تلك العين، والثالثُ أن إثبات الأعين فى الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدة العناية والحراسة.

٣ - قال الإمامُ الغزالىُّ فى الجزء الأول من كتابه (إحياء علوم الدين) عند كلامه على نسبة العِلم الظاهر إلى الباطن وأقسام ما يتأتّى فيه الظهورُ والبطونُ، والتأويل وغير التأويل: القسمُ الثالثُ أن يكون الشىء بحيث لو ذُكِرَ صريحًا لفهم ولم يكن فيه ضررٌ، ولكن يُكنّى عنه على سبيل الاستعارة والرمز؛ ليكون وقْعُهُ فى قلب المستمع أغلبَ... ومنه قوله ﷺ «إن المسجد لَيَنْزَوِى[1] من النُّخامة كما تنزوى الجلدةُ على النار». ومعناه أن روحَ المسجد وكونَهُ معظّمًا، ورَمْىَ النخامة فيه تحقيرٌ له فيضاد معنى المسجدية مضادةَ النار لاتصال أجزاء الجلدة، وأنت ترى أن ساحةَ المسجد لاتنقبضُ من نخامة، كذلك قوله ﷺ: «أما يخشى الذى يرفعُ رأسهُ قبل الإمامِ أن يُحوِّلَ الله رأسه

(١) قوله ﷺ: «إن المسجد لينزوى» أى لينقبض. قال الزبيدى فى شرح الإحياء: قال العراقى: هذا لم أر له أصلاً فى المرفوع وإنما هو من قول أبى هريرة ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه. قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفًا على أبى هريرة، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال: «ما بال أحدكم يستقبل ربه فيتنخع أمامه! أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع فى وجهه؟»

رأسَ حمار»[1] وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولايكون، ولكن من حيث المعنى هو كائنٌ؛ إذ رأسُ الحمار لم يكن بحقيقته وكونه شكله بل بخاصيته، وهى البلادةُ والحمقُ، ومن رفعَ رأسَه قبل الإمام فقد صار رأسُهُ رأسَ الحمارِ فى معنى البلادة والحمق، وهو المقصودُ دون الشكلِ، وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقلىٍّ أو شرعىٍّ. أما العقلىُّ فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن، كقوله ﷺ: «قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»[2] إذ لو فتّشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع، فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سرُّ الأصابع وروحها الخفىُّ، وكنّى بالأصابع عن القدرة التى هى سرُّ الأصابع وروحها الخفىُّ؛ وكنّى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعًا فى تفهم تمام الاقتدار).

وقد تعرض لمثل هذا الكلام فى موضع آخر من هذا البحث، وفيما ذكرناه كفاية.

إلى هنا وضح أمامك طريقا السَّلَف والخلَف، وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديد بين علماء الكلام من أئمة المسلمين، وأخذ كلٌّ يدعم مذهبه بالحجج والأدلة، ولو بحثت الأمر لعلمتَ أنَّ مسافة الخلف بين الطريقين لاتحتملُ شيئًا من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرف والغلوَّ، وأن البحث فى مثل هذا الشأن، مهما طال فيه القول، لايؤدى فى النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ، هى التفويضُ لله تبارك وتعالى، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى.

○ بين السلف والخلف

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَفِ فى الآياتِ والأحاديثِ التى تتعلقُ بصفات الله تبارك وتعالى أن يُمِرُّوها على ماجاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها؛ وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه، وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبية؛ وبيانُ ذلك من عدة أوجه.

أولاً: اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه.

---

(1) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة.

(2) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو.

ثانيًا: كلٌّ منهما يقطعُ بأن المراد بألفاظ هذه النصوص فى حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرها التى وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ فى حقِّ المخلوقات، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفى التشبيه.

ثالثًا: كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ فى النفوسِ؛ أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحابِ اللغة وواضعيها، وأن اللغاتِ، مهما اتسعت لاتحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقه علمٌ، وحقائقُ مايتعلقُ بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيلِ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التى تدلُّ على هذه الحقائق، فالتحكمُ فى تحديدِ المعانى بهذه الألفاظِ تغريرٌ.

وإذا تقرر هذا فقد اتفق السَّلَفُ والخلَفُ على أصل التأويلِ، وانحصرَ الخلافُ بينهما فى أنَّ الخلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيه إلى ذلك حفظًا لعقائد العوامِّ من شبهةِ التشبيهِ، وهو خلافٌ لايستحقُّ ضجةً ولا إعناتًا.

○ ترجيح مذهب السلف:

ونحن نعتقدُ أن رأى السلَفِ من السكوتِ وتفويضِ علم هذه المعانى إلى الله تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباع، حسمًا لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ؛ فإن كنتَ ممن أسعدَه الله بطمأنينة الإيمانِ، وأثلجَ صدرَه ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلاً؛ ونَعتَقدُ إلى جانب هذا أن تأويلاتِ الخلَفِ لاتوجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولافسوقٍ، ولاتستدعى هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرهم قديمًا وحديثًا، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه. وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكًا برأى السلَفِ، رضوانُ الله عليهم، إلى التأويل فى عدةِ مواطنَ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حَنْبلٍ رضى الله عنه؛ من ذلك تأويلُ حديث: «الحجرُ الأسودُ يمينُ الله فى أرضه»[1]؛ وقوله ﷺ: «قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»[2]؛ وقوله ﷺ: «إنى لأجد نفَس الرحمن من جانب اليمن»[3].

وقد رأيت للإمام النووىّ رضى الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيين مما

---

(١) قال العراقى: رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) قال العراقى: رواه أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ورجاله ثقات.

لايدعُ مجالاً للنزاعِ والجدالِ ولاسيما وقد قيَّد الخلفُ أنفسهم فى التأويل بجوازه عقلاً وشرعًا، بحيث لايصطدم بأصل من أصولِ الدينِ.

قال الرازىُّ فى كتابه (أساسُ التقديس): (ثم إنْ جوَّزْنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيلِ؛ وإن لم نجز التأويلَ فوَّضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلىُّ المرجوعُ إليه فى جميع المتشابهاتِ، وبالله التوفيقُ).

* * *

وخلاصةُ هذا البحث أن السَّلفَ والخلف قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهرِ المتعارفِ بين الخلقِ، وهو تأويلٌ فى الجملةِ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ، فانحصرَ الخلافُ فى تأويلِ الألفاظ بما يجوزُ فى الشرعِ، وهو هينٌ كما ترى، وأمرٌ لجأ إليه بعضُ السلف أنفسُهم، وأهمُّ مايجبُ أن تتوجَّه إليه هممُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ، وجمعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، والله حسبنا ونعمَ الوكيلُ.

* * *

المأثورات

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغُرّ الميامين.

وبعد: فهذه تعليمات مختصرة حررتها على رسالة (المأثورات) للأستاذ التقى الصفى الجليل شقيق الروح المرحوم الشيخ حسن البنا طيب الله ثراه، توضح الغامض من ألفاظها وتعين قراءها على فهم معانيها ومقاصدها. وقد عنيت بمقابلة أحاديثها على أصولها من (الجامع الصحيح) للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، و(الجامع الصحيح) للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، و(السنن) للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى، و(السنن) للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى، و(السنن) للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شُعَيب النسائى، و(السنن) للإمام أبى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، و(عمل اليوم والليلة) للإمام أبى بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدنيورى الشهير بابن السنى، وغيرها، فأصلحت ما ألفيت فيها من غلط أو تحريف وتصحيف حيث لم أظفر بنسخة فضيلة الأستاذ المؤلف رضى الله عنه التى حررها بخطه.

وأرجو أن أكون بذلك كله قد قمت ببعض الواجب علىّ نحو الحديث النبوى، ونحو الأستاذ المؤلف وقراء مأثوراته.

رضوان محمد رضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الذاكرين، وسيِّد الشاكرين، وإمام المرسَلين وخاتم النبيين وقائدِ الغُرِّ المحَجَّلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن سلك طريقهم إلى يومِ الدين.

١ - الذكر في كل حال:

وبعد: فاعلم يا أخى - رزقنى الله وإياك حسن التوفيق - أن لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكارُه وتتجه نحوها أعمالُه، وتتركز حولها آماله، وهى التى يسمونها (المثل الأعلى) ومتى سمَت هذه الغاية وعلت صدرت عنها أعمالٌ سامية مجيدة، وانطبعت نفسُ صاحبها بصورة من الجمال الروحى، وحَدَت به إلى الكمال دائمًا حتى يأخذ فيه بالنصيب الذى قدرَ له.

والإسلام، وقد جاء لإصلاح نفوس البشر وتزكيتها والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها، أوضح للإنسانية جميعًا الغاية القصوى وحدا بها، نحو المثل الأعلى، وكان هذا المثل هو (قدس حضرة الله جل وعلا) والآية الكريمة تقول: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ[١] إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وإذا عرفت هذا أيها الأخ الكريم فلا تستغرب بعدُ أن يكون المسلم ذاكرًا لله على كل حال، وأن تؤثر عن النبى ﷺ - وهو أعرف الخلق بربه - تلك الصِّيَغُ الرائعة البليغة من الذكر والدعاء والشكر والتسبيح والتحميد فى كل الأحوال صغيرها وكبيرها وعظيمها وحقيرها، فقد كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحواله[٢] ولاتعجب إذا طالبنا الإخوان المسلمين أن يستَنّوا بسُنّة نبيهم ويقتَدُوا به ﷺ فيحفظوا هذه الأذكار ويتقربوا بها إلى العزيز الغفار: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[٣] لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

---

(١) ﴿ففروا إلى الله﴾ أى فروا إلى ثوابه من عقابه، وذلك بأن تطيعوه ولا تعصوه. الذاريات: ٥٠.

(٢) هذا حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى ولفظه: عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

(٣) ﴿أسوة حسنة﴾: أى اقتداءً برسول الله ﷺ و﴿يرجو الله﴾: أى يخاف الله تعالى. الأحزاب: ٢١.

٢ - فضل الذكر والذاكرين:

وقد ورد الأمر بالذكر والإكثار منه وبيان فضله وفضل الذاكرين في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ، وحسبك أن كان خاتمة المراتب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ(١) وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ(٢) وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

وقد أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(٣).

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل الذكر، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال الله تبارك وتعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ(٤) ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه(٥)، من حديث أبي هريرة.

وعن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يارَسُولَ الله إنَّ شرائعَ الإِسْلاَمِ(٦) قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أتشبث به. قال: «لاَيَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٣ - آداب الذكر:

واعلم يا أخي أن الذكر ليس المقصود به الذكر القولي فحسب بل إن التوبة ذكر،

---

(١) ﴿والقانتين﴾: أي العابدين المطيعين.

(٢) ﴿والخاشعين﴾: أي الخائفين من الله. الأحزاب: ٣٥.

(٣) ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾: أي أول النهار وآخره. الأحزاب: ٤١، ٤٢.

(٤) «وإن ذكرني في ملأ»: الملأ الجماعة.

(٥) أي رواه البخاري ومسلم.

(٦) «شرائع الإسلام»: ما شرع الله لعباده من الفرائض والسنن، وقوله: «أتشبث به»: أي أتعلق به وأستمسك. قال الطيبي طيب الله ثراه: ولم يرد ﷺ بترك شرائع الإسلام رأسًا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه.

والتفكر من أعلى أنواع الذكر، وطلب العلم ذكر، وطلب الرزق إذا حسنت فيه النية ذكر، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته فيه عليك ذكر؛ ولهذا كان العارف ذاكراً على كل حالاته. ولابد ليكون للذكر أثره فى القلب من مراعاة آدابه وإلا كان مجرد ألفاظ لاتأثير فيها. وقد ذكروا له آدابًا كثيرة أهمها وأولاها بالرعاية:

(١) الخشوع والتأدُّب، واستحضار معانى الصِّيَغ، ومحاولة التأثر بها، وملاحظة مقاصدها وأغراضها.

(٢) خفض الصوت ما أمكن ذلك مع اليقظة التامة والهمة الكاملة حتى لايشوِّش على غيره، وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الآداب فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[1].

(٣) موافقة الجماعة إن كان الذكر مع جماعة فلا يتقدم عليهم ولايتأخر عنهم ولايبنى على قراءتهم، بل إن حضر وقد بدأوا ابتدأ معهم من أول صيغة ثم قضى ما فاته بعد انتهائه، وإن تأخر عنهم أثناء القراءة قرأ ما فاته وأدركهم، ولايبنى على قراءتهم أصلاً، لئلا يكون بذلك قد حرَّف القراءة وغيَّر الصيغ، وذلك حرام اتفاقًا.

(٤) النظافة فى الثوب والمكان، ومراعاة الأماكن المحترمة والأوقات المناسبة، حتى يكون ذلك أدعى إلى اجتماع همته، وصفاء قلبه، وخلوص نيته.

(٥) الانصراف فى خشوع وأدب، مع اجتناب اللغط واللهو الذى يذهب بفائدة الذكر وأثره.

فإذا لاحظ هذه الآداب فإنه سينتفع بما قرا ويجد أثر ذكره حلاوة فى قلبه، ونوراً لروحه، وانشراحًا فى صدره، وفيضًا من الله، إن شاء الله تعالى.

---

(١) ﴿بالغدو والآصال﴾: أى أول النهار وآخره. الأعراف: ٢٠٥.

٤ ـ الذكر فى جماعة:

ورد فى الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر، ففى الحديث الذى يرويه مُسلم: «لايَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عزَّ وجلَّ إلا حَفَّتْهُمُ الملائكةُ[(١)] وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، ونَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وكثيراً ما ترى فى الأحاديث أنه ﷺ خرج على جماعة وهم يذكرون الله فى المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم[(٢)].

والجماعة فى الطاعات مستحبة فى ذاتها ولاسيما إذا ترتب عليها كثير من الفوائد مثل: تآلف القلوب، وتقوية الروابط، وقضاء الأوقات فيما يفيد، وتعليم الأمى الذى لم يحسن التعليم وإظهار شعيرة من شعائر الله تعالى.

نعم إن الجماعة فى الذكر تكره إذا ترتب عليها محظور شرعى كالتشويش على مصلٍّ، أو لغو وضحك، أوتحريف لصِيَغ، أو بناء على قراءة غيره، أو نحو ذلك من المحظورات الشرعية، فحينئذ تمتنع الجماعة فى الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة فى ذاتها، وخصوصًا إذا كان الذكر فى جماعة بالصيغ المأثورة الصحيحة، كما فى هذه الوظيفة. فحبذا لو اجتمع الإخوان على قراءتها صباحًا ومساءً فى ناديهم أو فى مسجد من المساجد مع اجتناب هذه المكروهات. ومن فاتته الجماعة فيها فليقرأها منفردًا ولايفرِّط فى ذلك.

***

---

(١) «إلا حفّتهم الملائكة»: أى طافت بهم ودارت حولهم. «وغشيتهم الرحمة»: أى عمّتهم.

(٢) منها حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا منى، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: «أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة». رواه مسلم والترمذى والنسائى.

القسم الأول

الوظيفة

أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم(١).

﴿بسم الله الرحمن الرحيم(٢) (١) الحمد لله رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم (٣) مالك يوم الدين(٣) (٤) إياك نعبد وإياك نستعين (٥) اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [سورة الفاتحة].

﴿الم (١) ذلك الكتاب(٤) لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(٥)﴾

[البقرة: ١-٥]

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم(٦) لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في

---

(١) قال الله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وأخرج ابن السني عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أجير من الشيطان حتى يمسي».

(٢) وروى أبو داود وغيره بسنده عن رسول الله ﷺ، قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع». أي قليل البركة.

(٣) ﴿مالك يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة. في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها (الفاتحة) وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) ﴿ذلك الكتاب﴾: أي القرآن. ﴿لا ريب فيه﴾: أي لا شك فيه إنه من عند الله تعالى.

(٥) روى الدارمي والبيهقي في الشعب، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أول النهار لم يقربه شيطان حتى يمسي، وإن قرأها حين يمسي لم يقربه شيطان حتى يصبح ولا يرى شيئًا مكروهًا في أهله وماله».

وروى الطبراني في الكبير، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات أربعًا من أول البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح».

(٦) ﴿القيوم﴾: القائم بتدبير شئون خلقه. والسنة: النعاس.

الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما(١) وهو العلى العظيم (٢٥٥) لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت(٢) ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى(٣) لا انفصام لها والله سميع عليم (٢٥٦) الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥٥-٢٥٧]

﴿لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير (٢٨٤) آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢٨٥) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً(٤) كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٨٤-٢٨٦].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم (١) الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ [آل عمران: ١، ٢]

﴿وعنت الوجوه(٥) للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً (١١١) ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً(٦)﴾ [طه: ١١١، ١١٢]

---

(١) ﴿ولا يئوده حفظهما﴾: أى لا يثقله حفظ السماوات والأرض.

(٢) الطاغوت: الشيطان.

(٣) ﴿العروة الوثقى﴾: العقد المحكم.

(٤) ﴿ولا تحمل علينا إصراً﴾ الإصر: الأمر الذى يثقل حمله.

(٥) ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾: أى خضعت لله تعالى.

(٦) ﴿ولا هضماً﴾: أى ينقص من حسناته، وعن القاسم بن عبدالرحمن رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن اسم الله الأعظم فى ثلاث سور من القرآن. فى سورة البقرة وآل عمران، وطه. قال القاسم: فالتمستها فوجدتها فى سورة البقرة آية الكرسى: ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾، وفى سورة آل عمران: ﴿الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾، وفى سورة طه: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ رواه الحاكم ولم يتعقبه الذهبى.

﴿حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾(1) [التوبة: 129] (سبعًا).

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (110) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾(2) [الإسراء: 110، 111].

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (115) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم (116) ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (117) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾(3) [المؤمنون: 115-118].

﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (17) وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون(4) (18) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (19) ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون(5) (20) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (21) ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف

---

(1) عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي: (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)، سبع مرات كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر الدنيا، والآخرة» أخرجه ابن السني وابن عساكر مرفوعًا، وأخرجه أبو داود موقوفًا على أبي الدرداء.

(2) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في مصبح أو ممسى ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ إلى آخر السورة لم يمت قلبه في ذلك اليوم ولا تلك الليلة» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(3) عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «وجهنا رسول الله ﷺ في سرية فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ الآيات فقرأنا فغنمنا وسلمنا» أخرجه ابن السني وأبو نعيم وابن منده، قال الحافظ: سند ابن منده لا بأس به.

(4) ﴿وحين تظهرون﴾: أي تدخلون في الظهيرة.

(5) ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾: أي تنتشرون في الأرض.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشيًا وحين تظهرون﴾ إلى ﴿وكذلك تخرجون﴾ أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته» رواه أبو داود.

أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ[1] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ[2] ﴾ [الروم: ١٧-٢٦].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ[3] شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ[4] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ[5] ﴾ [غافر: ١-٣].

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ[6] السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ[7] الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا[8] (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا[9] (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا[10] لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ

---

(١) ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾: أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته سبحانه وتعالى.

(٢) ﴿كل له قانتون﴾: أى مطيعون.

(٣) ﴿وقابل التوب﴾: أى التوبة.

(٤) ﴿ذى الطول﴾: اى الإنعام الواسع.

(٥) ﴿إليه المصير﴾: اى المرجع.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حم﴾ المؤمن إلى ﴿إليه المصير﴾ وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح» أخرجه الترمذى والدارمى وابن السنى والمروزى.

(٦) ﴿القدوس﴾ أى: المنزه عن كل نقص، الطاهر عما لا يليق به و﴿المهيمن﴾: الشهيد على عباده بأعمالهم

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة» أخرجه البيهقى.

(٧) ﴿البارئ﴾: أى المنشئ من العدم.

(٨) ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾: اى حُرِّكت لقيام الساعة

(٩) ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها.

(١٠) ﴿يصدر الناس أشتاتا﴾: أى متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار.

مثقال ذرة شراً يره﴾(١) [سورة الزلزلة].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ يا أيها الكافرون (١) لا أعبدُ ما تعبدون (٢) ولا أنتم عابدون ما أعبدُ (٣) ولا أنا عابدٌ ما عبدتم (٤) ولا أنتم عابدون ما أعبدُ (٥) لكُم دينكُم ولى دين﴾(٢) [سورة الكافرون].

﴿إذا جاء نصرُ الله والفتح(٣) (١) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً(٤) (٢) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا(٥)﴾ [سورة النصر].

﴿قُلْ هو الله أحدٌ (١) اللهُ الصمدُ(٦) (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفواً(٧) أحد﴾ [سورة الإخلاص](ثلاثا).

﴿قل أعوذ برب الفلق(٨) (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق(٩) إذا وقب (٣) ومن شر النفاثات(١٠) في العقد (٤) ومن شر حاسد إذا حسد(١١)﴾ [سورة الفلق] (ثلاثا).

---

(١) فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعًا: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن» رواه الترمذى والحاكم من حديث يمان بن المغيرة.

(٢) فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن» رواه الترمذى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾: أى فتح مكة.

(٤) ﴿يدخلون فى دين الله أفواجًا﴾: أى جماعات فوجًا بعد فوج بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين

(٥) فى حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن». رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٦) ﴿الله الصمد﴾: أى المقصود فى الحوائج على الدوام.

(٧) ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾: أى لم يكن له أحد مكافئًا ومماثلاً.

(٨) ﴿الفلق﴾: الصبح.

(٩) ﴿من شر غاسق إذا وقب﴾: أى الليل إذا أظلم

(١٠) ﴿ومن شر النفاثات﴾: أى الساحرات اللاتى ينفثن ﴿فى العقد﴾ أى فى عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يفعل مَنْ يرقى.

(١١) عن عبدالله بن خبيب رضى الله عنه أنه قال: «خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلى لنا فأدركناه فقال: (قل) فلم أقل شيئًا. ثم قال: (قل) فلم أقل شيئًا. ثم قال: (قل). فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

﴿قل أعوذ برب الناس ① ملك الناس ② إله الناس ③ من شر الوسواس[1] الخناس ④ الذى يوسوس فى صدور الناس ⑤ من الجنة والناس﴾ [سورة الناس](ثلاثًا).

أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ لله والحَمْدُ لله لاشَرِيكَ لَهُ، لا إلَه إلا هُوَ وإليهِ النُّشُور[2] (ثلاثًا).

أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإسْلامِ، وكَلِمَةِ الإخْلاصِ وعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إبْراهِيمَ حَنِيفًا[3] ومَاكَان مِنَ المُشْرِكِين[4] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ إنِّى أَصْبَحْتُ مِنْكَ فى نِعْمَةٍ وعَافِيَةٍ وسِتْرٍ، فَأَتِمَّ عَلَىَّ نِعْمَتَكَ وعَافِيَتَكَ وسِتْرَكَ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ[5] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ ما أَصْبَحَ بِى مِن نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاشَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ ولَكَ الشُّكْرُ[6] (ثلاثًا).

---

(١) ﴿من شر الوسواس﴾: أى من شر الشيطان. ﴿الخناس﴾: الذى يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذُكر الله تعالى.

(٢) «وإليه النشور»: أى المرجع.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا أصبح: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور»، وإذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا هو وإليه المصير» أخرجه ابن السنى والبزار، وقال البيهقى: إسناده جيد.

(٣) «حنيفًا» قال ابن سيده فى المحكم: الحنيف المسلم الذى يتحنف عن الأديان أى يميل إلى الحق.

(٤) عن أُبى بن كعب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبحنا أن نقول: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا، وما كان من المشركين» وإذا أمسينا مثل ذلك، أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد فى زوائده.

(٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم علىَّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى، كان حقًا على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته» رواه ابن السنى.

(٦) عن عبدالله بن غنام البياضى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته» رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه.

يَا رَبِّي لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ[1] (ثلاثًا).

رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وبِالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولاً [2] (ثلاثًا)؟

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ[3] (ثلاثًا).

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لايَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ[4] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لانَعْلَمُهُ[5] (ثلاثًا).

---

(١) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين (أعيتهما) فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها؟ قال الله عز وجل وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدى؟ قالا: يارب إنه قد قال: يا ربي لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله عز وجل لهما: اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها، رواه الإمام أحمد وابن ماجه، ورجاله ثقات.

(٢) عن أبى سلام رضى الله عنه خادم النبى ﷺ مرفوعًا أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، كان حقًا على الله أن يرضيه» رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم.

(٣) عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها، أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة، حين صلى الصبح، وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال: «ما زلت اليوم على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم. فقال النبى ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسك وزنة عرشه ومداد كلماته» رواه مسلم.

(٤) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلن يضره شىء» رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم فقال: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه» رواه أحمد و الطبرانى بإسناد جيد، ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه: «يقول كل يوم ثلاث مرات».

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ[١]. (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، وأَعُـوذُ بِكَ مِنْ العَجْزِ والكَسَلِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ والبُخْلِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجَالِ[٢]. (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ عَـافِنِي فِى بَدَنِـى، اللَّهُمَّ عَـافِنِى فِى سَـمْعِى، اللَّهُمَّ عَـافِنِي فِى بَصَـرِى. (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ[٣]. (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لا إِلَه إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِى وأَنَـا عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عَهْـدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَاصَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ[٤] بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِى فَاغْفِرْ لِى فَإِنَّهُ لايَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ[٥]. (ثلاثًا).

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قـال: «من قال حين يمسى ثلاث مـرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضـره حمة تلك الليلة» رواه ابن حبان فى صحيحـه، و الحمة بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم: السم أو لدغة كل ذى سم.

(٢) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: «يا أبا أمامة ما لى أراك جالسًا فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟» قال: هموم لزمتنى وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بـك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجـال» قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عنى دينى. أخرجه أبو داود.

(٣) عن عبد الرحمن بن أبى بكرة رضى الله عنه أنه قال لأبيـه: يا أبت إنى أسمعك تدعو كل غداة: اللهم عافنى فى بدنى، اللهم عافنى فى سـمعى، اللهم عافنى فى بصـرى، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفـقر، اللهم إنى أعوذ بك من عـذاب القبر، لا إله إلا أنت، تعيدها حين تصبح ثلاثًا، وثلاثًا حين تمسى: فـقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسـنه. رواه أبو داود وغيره.

(٤) «أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى» أى أقر وأعترف.

(٥) عن شداد بن أوس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «سيـد الاستغفـار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالهـا موقنًا بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها موقنًا بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة» رواه البخارى وغيره.

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ[(١)]. (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[(٢)]. (عشرًا).

سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ[(٣)]. (مائة).

لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[(٤)]. (عشرًا).

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ[(٥)]. (ثلاثًا).

---

(١) عن زيد مولى النبى ﷺ قال: سمعت أبى يحدثنيه عن جدى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف» رواه أبو داود والترمذى والحاكم، وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم.

(٢) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسى عشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة» رواه الطبرانى.

(٣) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبّح الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حج مائة حجة، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حمل على مائة فرس فى سبيل الله، ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشى لم يأت فى ذلك اليوم أحد أكثر مما أتى به إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال» أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن، وأخرج نحوه النسائى.

وعن أم هانئ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا أم هانئ إذا أصبحت فسبحى الله مائة، وهلليه مائة، واحمديه مائة، وكبريه مائة، فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة تهدينها، ومائة تهليلة لا تبقى ذنبًا قبلها ولا بعدها» أخرجه الطبرانى.

(٤) عن أبى أيوب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، عشر مرات كتب الله عز وجل له بكل واحدة قالها عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفعه عشر درجات، وكن كعتق عشر رقاب، وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره، ولم يعمل يومئذ عملاً يقهرهن. وإن قالها حين يمسى فمثل ذلك» أخرجه أحمد والطبرانى وسعيد بن منصور وغيرهم.

(٥) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فى مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها فى مجلس لغو كان كفارة له» رواه النسائى والحاكم وغيرهم.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم تَسْلِيمًا عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَخَطَّ بِهِ قَلَمُكَ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَتِنَا أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِىٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ[1].

الوظيفة الصغرى :

إذا وجد الأخ ضيقًا فى وقته، أو فتوراً فى نفسه، أو فى إخوانه إذا كان يقرأ الوظيفة بهم، فليختصرها على هذا النحو: يقرأ الاستعاذة والفاتحة وآية الكرسى وخواتيم البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين كل منهما (ثلاثًا)، ثم يتبع ذلك بالأذكار الواردة إلى الاستغفار الأخير:

«أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِى لا إله إلا هُوَ الحَىَّ القَيُّومَ...» إلخ، ثم يتبع الاستغفار مباشرة بصيغة: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ» إلى آخر الوظيفة.

* * *

(١) قال الإمام النووى فى الأذكار: روينا فى حلية الأولياء عن على كرم الله وجهه: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل فى آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

القسم الثانى

الورد القرآنى

فضل القرآن:

القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الإسلام، وهو المنبع الذى يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة، وهوأفضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى.

وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنَّ هَذَا القُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ[(١)] فَاقْبَلُوا مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ حَبْلُ اللهِ[(٢)] وَالنُّورُ المُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، لايَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلايَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلا تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ وَلايَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ[(٣)]. اتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. أَمَا إِنِّى لا أَقُولُ لَكُمْ ﴿الم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلامٌ وَمِيمٌ» رواه الحاكم.

وفى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأبى ذَرٍّ رضى الله عنه: «عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِى الأَرْضِ وَذُخْرٌ لَكَ فِى السَّمَاءِ» رواه ابْنُ حِبَّانَ فِى حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المَاهِرُ[(٤)] بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِى يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» رواه البخارى ومسلم.

---

(١) «إن هذا القرآن مأدبة الله» أى مدعاته، شبّه النبى ﷺ القرآن بصنيع صنعه الله لهم فيه خير ومنافع.

(٢) «إن هذا القرآن حبل الله»: أى نور هداه.

(٣) «ولايخلق» قال النووى: بضم اللام ويجوز فتحها والياء فيهما مفتوحة، ويجوز ضمها مع كسر اللام. يقال: خلق الشىء، وخلق، وأخلق إذا بلى، والمراد هنا لا تذهب جلالته وحلاوته من كثرة التلاوة والقراءة.

(٤) «الماهر»: الحاذق الكامل الذى لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه. و«السفرة»: الملائكة. «البررة»: المطيعون. «ويتتعتع فيه» قال القرطبى: التتعتع التردد فى الكلام عيًّا وصعوبة. وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان القرآن متعتعًا عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة.

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْقُرْآنِ حَمْلاً، وَيُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ بِمَنْزِلَتِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُوصِى مَنْ عَجَزَ عَنِ الْقِرَاءَةِ بِأَنْ يَسْتَمِعَ وَيَتَفَهَّمَ حَتَّى لاَيُحْرَمَ بَرَكَةَ الصِّلَةِ الرُّوحِيَّةِ بِكِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ تَلاهَا كَانَتْ لَه نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أحمد.

وَفِى حَدِيثِ أبى هريرة رضى الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعثًا وَهُمْ ذَوو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ[1]، فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، يَعْنِى مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِم سِنًّا فَقَالَ: «مَا مَعَكَ يَا فُلاَنُ؟» قَالَ: مَعِى كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ. قَالَ: «أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟» قَالَ: نَعَم. قَالَ: «اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُم[2]». رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فضل القرآن وتلاوته، فجعلوه مصدر تشريعهم، ودستور أحكامهم، وربيع قلوبهم، وورد عبادتهم، وفتحوا له قلوبهم وتدبروه بأفئدتهم، وتشربت معانيه السامية أرواحهم، فأثابهم الله فى الدنيا سيادة العالم، ولهم فى الآخرة عظيم الدرجات؛ وأهملنا القرآن فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف فى الدنيا ورقة فى الدين.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ أُمَّتِى حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ. وَعُرِضَتْ عَلَىَّ ذُنُوبُ أُمَّتِى فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمُ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَو آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيهَا» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه.

ولهذا عُنِىَ الإخوان المسلمون بأن يجعلوا كتاب الله تبارك وتعالى أول أورادهم، وكان من تعهدهم أن يرتب الأخ على نفسه كل يوم حزبًا من القرآن الكريم.

---

(١) «فاستقرأهم»: أى طلب منهم أن يقرأوا.

(٢) تمام الحديث: فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه فقام به كمثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه فى كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب وكىء على مسك» وقوله ﷺ: «وكىء على مسك» أى ربط بالوكاء وهو الخيط الذى يشد به فم القربة.

◌ مقدار الورد:

تختلف ظروف الإخوان وأحوالهم، ولهذا لم يحدد مقدار الورد، وترك ذلك لظروف كل شخص ومقدرته[١] والمهم ألا يَمُرَّ به يوم بغير أن يقرأ شيئًا من كتاب الله تعالى.

وسنورد هنا أوجه تقسيم الورد القرآني عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، على سبيل المثال والتوضيح فنقول:

(١) أقل مدة للختمة ثلاثة أيام، وقد كرهوا أن يختم الإنسان في أقل من ثلاث وفي أكثر من شهر وقالوا: إن في الختم في أقل من ثلاث إسراعًا لايعين على التفهم والتدبر، وفي الختم في أكثر من شهر إسرافًا في هجر التلاوة.

عن عبد الله بن عَمْرو بن العَاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمْ يَفْقَهْ[٢] مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ» رَوَاه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ وابنُ مَاجَه، وَقَالَ التِّرمِذِي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) الحد الوسط أن يختم كل أسبوع مرة إذا تمكن من ذلك، وقد أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو أن يختم في كل أسبوع مرة[٣] وكذلك كان جماعة من

---

(١) قال النووي في التبيان، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة.

(٢) «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» أي لم يفهم ظاهر معانيه. وأما فهم دقائقه فلا تفي به الأعمار، والمراد نفي الفهم لا نفي الثواب.

(٣) هاك حديثه: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إليَّ، فأتيته فقال لي: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كلَّ ليلة؟» فقلت: بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا، فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس» قلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، واقرأ القرآن في كل شهر» قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه في كل عشرين» قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه في كل عشر» قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك =

الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون: كعثمان، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبى ابن كعب رضى الله عنهم. وكان عثمان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الإثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، يعنى القصص، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، وليلة الخميس يختم الختمة. وكان لابن مسعود رضى الله عنه تقسيم آخر يختلف فى عدد السور، ولكنه يتفق فى الختم كل أسبوع، وقد ورد فى التقسيم فى الأسبوع أخبار كثيرة[1].

سور يستحب الإكثار من تلاوتها:

من أوراد الإخوان القرآنية المواظبة على تلاوة هذه السور كل يوم، وهى: يس، والدخان، والواقعة، وتبارك الملك، ويتأكد ذلك يوم الجمعة وليلة الجمعة، ويضاف إليها سورة الكهف، وسورة آل عمران، وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ:

(١) عَنْ مَعْقَلِ بن يَسَارٍ رضى الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «قَلْبُ القُرْآنِ ﴿يس﴾ لايَقْرَأُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ الله والدَّارَ الآخِرَةَ إلا غَفَرَ الله لَهُ، اقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِي وَغَيْرُهُمْ.

(٢) وَعَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنه: «مَنْ قَرَأَ ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ الله بِهَا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَكُنَّا فِى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ نُسَمِّيهَا المَانِعَةَ، وَإِنَّهَا فِى كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ سُورَةٌ مَنْ قَرَأَ بِهَا فِى لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ» رَوَاهُ النَّسَائِى، وَرَوَى مِثْلَهُ الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

= عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا» فشددت فشدد علىّ وقال لى النبى ﷺ: «إنك لا تدرى لعلك يطول بك عمر» فصرت إلى الذى قال لى النبى ﷺ فلما كبرت وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله ﷺ» رواه البخارى ومسلم.

وقوله ﷺ: «ولزورك عليك حقًا» أى لزائرك. وقوله: «فى كل سبع ولا تزد» قال النووى: هذا من الإرشاد إلى الاقتصاد فى العبادة، والإرشاد إلى تدبر القرآن.

(١) ليس هذا التقسيم بمتعين بل هو على سبيل الاتباع والأفضلية، وللأخ أن يقرأ حسب مقدرته بحيث لا يمضى يوم بغير تلاوة، فإن لم يكن من أهل القراءة فليجتهد فى الاستماع أو فى حفظ بعض السور يتلوها كلما سنحت له الفرصة.

(٣) وفى حَديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه: «مَنْ قَرَأَ ﴿حم الدُّخَان﴾ فِى لَيْلَةٍ أَصبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلفَ مَلَك» رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ والأصبَهَانِى.

(٤) وَفِى حَدِيث أَبِى سَعِيد الْخُدرِى رضى الله عنه أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ فِى يَوْمِ الجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ» رَوَاهُ النَّسَائِىُّ وَالبَيْهَقِىُّ مَرْفُوعًا.

(٥) وَفِى حَدِيث ابْنِ عَبَّاس رضى الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِى يُذْكَرُ فِيهَا آل عِمرَان يومَ الجُمُعَة صَلَّى عَلَيه الله وَمَلائكتُه حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ» رَوَاه الطَّبَرانِى فِى الأوسَط والكَبِير.

(٦) وقد وردت الآثار كذلك مرفوعة وموقوفة من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بفضل سورة الواقعة، ولاسيما وفيها البعث والجزاء والاستدلال على ذلك بما لايدع شبهة لقائل، فيستحب للأخ المسلم ألا يحرم نفسه فضل تلاوة هذه السورة مرة كل يوم وفى الليل أفضل وفى يوم الجمعة لابأس من تلاوتها فى الليل مرة وفى النهار مرة، ويجعل وقت العصر إلى المغرب لسورة آل عمران لعلها ساعة الإجابة فيكون فيها مشغولاً بأفضل الذكر وهو تلاوة القرآن.

آداب التلاوة:

ذكرنا فى المقدمة طرفًا من آداب الذكر، ونزيد هنا أن من آداب التلاوة الاجتهاد كل الاجتهاد فى التدبُّر والتفكر فذلك هو المقصود الأول منها. والله تبارك وتعالى يقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩].

ولاسيما إذا لاحظ أنَّ فى ذلك خطاب ربِّ العالمين العزيز الحكيم، كما أن من آداب التلاوة كذلك مراعاة أحكام التجويد، فيُخرج الحروف من مخارجها، ويؤدِّيها على قواعدها، ويمد المدود ويغنَّ ما يستحق الغنَّة، ويفخم المفخم ويرقق المرقق وهكذا.

عَنْ سَعْد بن أَبِى وَقَّاص رضى الله عنه عَنْ رَسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ نَزَلَ بحزْن فَإذَا قَرَأتُمُوه فَابكُوا، فَإنْ لَمْ تَبكُوا فَتَبَاكُوا وتَغَنَّوا بِه، فَمَن لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ فَلَيسَ مِنَّا» رَوَاه ابنُ مَاجَه.

والمراد بالتَّغَنّى هُنَا التحزّن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة، فقد جاء حديث جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالقُرْآنِ الَّذِى إذَا سَمِعْتُمُوه يَقْرَأ حَسِبْتُمُوه يَخْشَى الله» رَوَاه ابْن مَاجَه.

○ مجلس الاستماع:

ومن أَوْرَاد الإخوان المسلمين القرآنية الاجتماع لسماع كتاب الله تبارك وتعالى ممن يحسن تلاوته، وعلى القارئ فى مجلس الاستماع أن يقرأ قراءة مرسلة يلاحظ فيها الآداب السابقة. وعلى الإخوان إذا استمعوا أن ينصتوا ويفكروا فى المعانى، وأن يكونوا على غاية الخشوع والتوقير والتعظيم لكتاب الله تبارك وتعالى ويستحضروا الآية الكريمة:[1] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠٤]

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون القرآن وكأن على رؤوسهم الطير، وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعى رضى الله عنه، وكان حسن القراءة، فقرأ عليهم واستمعوا فلا يرى الراؤون أكثر بكاءً منهم فى حالهم تلك حين الاستماع.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾
[المائدة: ٨٣]

ويستحب إتمامًا للفائدة إذا حضر مجلسهم هذا أهل العلم أن يلخصوا لهم مقاصد ما تُلى من آيات.

○ ورد الحفظ:

ويستحب كذلك للأخ المسلم، وهو من أورادنا القرآنية، أن يجتهد ما استطاع فى

---

(١) قال ابن كثير: والغرض أن المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائى، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك.

حفظ ما يمكن من القرآن الكريم، فيرتب على نفسه كل يوم آية أو آيات بقدر طاقته يحفظها حفظًا جيدًا، وبهذه الطريقة التدريجية يمكنه أن يحفظ الشيء الكثير من كتاب الله تبارك وتعالى.

وفي الحديث أنَّ رَسُول الله ﷺ قَال لأبى ذَر رضى الله عنه: «يَا أَبَا ذَرٌّ لأَنْ تَغْدُوَ[1] فَتَعْلَمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ الله خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّى مَائَةَ رَكْعَةٍ» رَوَاهُ ابن مَاجَه بِإسْنَادٍ حَسَن، ويعضده حديث مسلم وأبى داود فى هذا المعنى[2].

فاجتهد يا أخى أن تفوز بهذه الفضيلة، والله نسأل أن يجعلنا وإياك من أهل القرآن، فنكون بذلك من أهل الله وخاصته، والله حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

---

(١) «يا أبا ذر لأن تغدو» الغدوة : أول النهار .

(٢) وإليك لفظه: عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن فى الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطع رحم؟» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل» رواه مسلم وأبو داود.

و«بطحان» بضم الباء وسكون الطاء والمد: موضع بالمدينة. و«الكوماء» فتح الكاف وسكون الواو: الناقة العظيمة السنام، «ومن أعدادهن من الإبل»: أى وأكثر من أربع آيات يعلمها أو يقرؤها خير له من أعداد النوق، فخمس آيات خير من خمس إبل، ودواليك.

القسم الثالث

أدعية اليوم والليلة

أولا: دعاء الاستيقاظ من النوم:

(١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ وَأَبِي ذَرٍّ رضى الله عنهما قَالا: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ[١]» رواه البخارى.

(٢) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ» رواه ابن السنى.

(٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يَرُدُّ الله تَعَالَى رُوحَهُ: لا إله إلا الله وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَعَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، إلا غَفَرَ الله تَعَالَى لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَو كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[٢]» رواه ابن السنى.

(٤) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِهِ فَيَقُولُ: الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ النَّوْمَ وَاليَقَظَةَ، الحَمْدُ لله الَّذِي بَعَثَنِي سَالِمًا سَوِيًّا، أَشْهَدُ أَنَّ الله يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَعَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، إلا قَالَ الله تَعَالَى: صَدَقَ عَبْدِي» رواه ابن السنى.

(٥) وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُم أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلاتُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ» رواه أبو داود.

ثانيًا: دعاء لبس الثوب وخلعه:

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رضى الله عنه أَنَّ النَّبِي ﷺ كَانَ إِذَا لَبِسَ ثَوبًا سَمَّاهُ

---

(١) وإليه النشور: أى المرجع.

(٢) زبد البحر: الزبد بفتحتين: الرغوة، أى ولو كان ذنوبه فى الكثرة مثل زبد البحر.

باسْمه قَمِيصاً أو رِداءً أو عِمامَةً يَقُولُ: «اللّهم إنّي أسْألُكَ مِنْ خَيْرِه وَخَيْرِ مَا هُوَ لَهُ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّه وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ» رواه ابن السنى.

(٢) وَعَنْ مُعَاذ بن أنس رضى الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيداً فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيه مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاقُوَّة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه» رواه ابن السنى.

(٣) وَعَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ أنْ يَقُولَ الرَّجُلُ المُسْلِمُ إذَا أرَادَ أنْ يَطْرَحَ ثِيَابَه: بِسْمِ الله الَّذِي لا إله إلا هُوَ» رَوَاه ابْنُ السُّنِّي.

ثالثًا: دعاء الخروج من المنزل ودخوله:

(١) عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ، يَعْنِي إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لاحَوْلَ وَلاقُوَّةَ إلا بِالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ وَتَنَحَّى عَنْه الشَّيْطَانُ» رَوَاه أبُو دَاوُد وَالتِّرمِذِي وَالنَّسَائِي، وَقَالَ التِّرمِذِيُّ: حَدِيث حسن صحيح.

(٢) وَعَنْ أبِي مَالِك الأشْعَرِي رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهَ فَلْيَقُلْ: اللّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيْرَ المَوْلِج وَخَيْرَ المَخْرَجِ، بِاسْمِ الله وَلَجْنَا، وَبِاسْمِ الله خَرَجْنَا وعَلَى الله رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أهْلِه» رواهُ أبُو دَاوُد.

رابعًا: دعاء المشي إلى المسجد ودخوله والخروج منه:

(١) عَنْ عَبْدالله بْنِ عَبَّاس رضى الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إلَى المَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَفَوْقِي نُوراً، وَتَحْتِي نُوراً، وَأمَامِي نُوراً وَخَلْفِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً» رواه البخاري.

(٢) وَعَنْ عَبْدالله بن عَمْرو بن العَاص رضى الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه كَانَ إذَا دَخَلَ المَسْجد قَالَ: «أعُوذُ بِالله العَظِيمِ وَبِوَجْهِه الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِه القَدِيمِ، مِنْ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ» رواه أبو داود.

(٣) وَعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رضى الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وإِذَا خَرَجَ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ» رواه ابن السنى.

(٤) وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضى الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

خامسًا: دعاء التخلي والمباشرة:

(١) عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الخَلاءِ[1]: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» رواه الشَّيخان.

(٢) وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاءِ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ، وَأَبْقَى فِيَّ قُوَّتَهُ، وَدَفَعَ عَنِّي أَذَاهُ» رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّي والطبرانى.

(٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ الغَائِطِ قَالَ: «غُفْرَانَكَ[2]» رواه أبو داود.

(٤) وَعَنْ عَبْدِاللهِ بِنْ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» رواه البخارى.

---

(١) الخلاء، بفتح الخاء والمد: موضع قضاء الحاجة، والخبث بضم الباء: جمع خبيث، والخبائث: جمع خبيثة، استعاذ ﷺ من مردة الجن ذكورهم وإناثهم.

(٢) غفرانك أى أسألك مغفرتك. قال الخطابى: وقيل فى تأويل ذلك وفى تعقيبه الخروج من الخلاء بهذا الدعاء قولان: أحدهما أنه قد استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء، وكان ﷺ لا يهجر ذكر الله إلا عند الحاجة، فكأنه رأى هجران الذكر فى تلك الحالة تقصيرا وعدّه على نفسه ذنبا فتداركه بالاستغفار. وقيل: معناه التوبة من تقصيره فى شكر النعمة التى أنعم الله تعالى بها عليه فأطعمه ثم هضمه ثم سهل خروج الأذى منه فرأى شكره قاصرا على بلوغ حق هذه النعم ففزع إلى الاستغفار منه، والله أعلم.

سادسًا: دعاء الوضوء والغسل والأذان:

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رضى الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ اغْفِر لِي ذَنْبِي، وَوَسِّع لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي» قُلْتُ يَا نَبِيَّ الله لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَدْعُو بِكَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «وَهَل تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ مِن شَيء؟» رواه النسائى وابن السنى.

(٢) وَعَن عُمَرَ بن الخَطَّاب رضى الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وَحْدَه لاشَرِيك لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتطَهِرِين(١) فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّة يَدْخُل مِنْ أَيِّهَا شَاء» رواه مسلم والترمذى.

(٣) وَعَنْ جَابِر بن عَبْدالله رضى الله عنهما أَنْ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِدَاء(٢): اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِه الدَعْوَةِ التَّامَّة، وَالصلاة القَائمَة آت مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَه، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوم القِيَامَة» رواه البخارى.

سابعًا: دعاء الطعام:

(١) عَنْ عَبْدالله بنْ عَمْرو رضى الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُول فِي الطَّعَامِ إذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِسْمِ الله» رواه ابن السنى.

(٢) وَعَنْ عَائشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا أَكَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله تَعَالَى فِي أَوَّلِه فَلْيَقُلْ: بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» رواه أبو داود والترمذى.

(٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِه

---

(١) «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين» قال المباركفورى فى شرح الترمذى: جمع بينهما إلمامًا بقوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ولما كانت التوبة طهارة الباطن من أدران الذنوب، والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى، ناسب الجمع بينهما.

(٢) النداء: الأذان، والوسيلة: منزلة فى الجنة، والفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق. والمقام المحمود: هو شفاعة النبى ﷺ العظمى يوم القيامة.

قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ». رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٤) وَعَنْ مُعَاذِ بنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٥) وَعَنْ أَنَسِ بنْ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلَائِكَةُ» رواه أبو داود.

ثامنًا: دعاء التهجد والأرق والرؤيا:

(١) عَنْ عَبْدِاللهِ بنْ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ[1] قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» رواه البخاري.

(٢) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا وَلَايَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَاتَضُرُّهُ» رواه البخاري ومسلم.

(٣) وَعَنْ عَمْرِو بنْ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنهم، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ

(١) التهجد: اسم لدفع النوم، والهجود: هو النوم، يقال: هجد إذا نام، وتهجد إذا أزال النوم.

وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ[1] وَأَنْ يَحْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى: حديث حسن.

(٤) وَعَنْ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ رضى الله عنه أَنَّهُ أَصَابَهُ الأَرَقُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ؟ قُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لِى جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَىَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ[2] أَوْ أَنْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ»، فَقَالَهُنَّ فَنَامَ. رواه الطبرانى فى الأوسط وابن شيبة فى مصنفه.

(٥) وَعَنْ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ رضى الله عنه قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرَقاً أَصَابَنِى فَقَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ غَارَتِ النُّجُومُ، وَهَدَأَتِ العُيُونُ، وَأَنْتَ حَىٌّ قَيُّومٌ، لاتَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلانَوْمٌ، يَاحَىُّ يَاقَيُّومُ، اهْدِ لَيْلِى، وَأَنِمْ عَيْنِى»، فَقُلْتُهَا فَأَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَاكُنْتُ أَجِدُهُ. رواه ابن السنى.

تاسعًا: دعاء النوم:

(١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ[3] ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّى وَضَعْتُ جَنْبِى وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِى فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» رواه الجماعة[4].

(٢) وَعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: «إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ وَنَفَخَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ» رواه البخارى.

(٣) وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِى رضى الله عنه، عَنْ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ

---

(١) «ومن همزات الشياطين» - الهمز: النخس والغمز وكل شىء دفعته فقد همزته

(٢) «أن يفرط على أحد منهم»: أى يعجل بالعقوبة. «أو أن يطغى»: يتكبر على.

(٣) الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وفتح الفاء: طرف الثوب.

(٤) رواه الجماعة أى: البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

يأوى إلى فراشه: أَستَغْفِرُ الله الَّذِى لا إله إلا هُوَالحَىَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّات، غَفَرَ الله لَهُ ذُنُوبَه وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ[1] وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا» رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٤) وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِى إِلَى فِرَاشه، لا إله إلا الله وَحْدَه لاشَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ، لاحَوْلَ ولاقُوَّة إلا بالله العَلِىِّ العَظِيمِ، سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلا إِلَهَ إِلا الله والله أَكْبَرُ، غُفِرَتْ ذُنُوبُه وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» رواه ابن حبان.

(٥) وَعَنْ البَرَاءِ بنْ عَازِب رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضأْ وُضُوءَكَ للصَلاة، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيمَن، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِى إِلَيْكَ، وَفَوَّضتُ أمْرِى إِلَيْكَ، وألجأتُ ظَهْرِى إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لامَلْجَأ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إلا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَة، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ» أخرجه الجماعة.

عاشرًا: ختام الصلاة وختام المجلس:

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من سبّح اللهَ فى دبر كلِ صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمدَ الله ثلاثًا وثلاثين، وكبّر اللهَ ثلاثًا وثلاثين، فتلكَ تسعةٌ وتسعون، وقَالَ تمامُ المائة: لا إِلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَهُ الحمدُ وهو عَلَى كلِ شىءٍ قديرٌ، غُفِرتْ خَطَايَاهُ وإنْ كانتْ مثلَ زَبدِ البحرِ» رواه مسلم.

(٢) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذُ والله إنى لأحبُكَ، أُوصيكَ يا معاذُ لا تَدعنَ فى دبرِ كلِ صلاةٍ أنْ تقولَ: اللهمَّ أعنّى على ذكرِكِ وشكرِكِ وحسنِ عبادتكِ» رواه أبو داود.

---

(١) «وإن كانت عدد رمل عالج» بفتح اللام وكسرها، موضع بالبادية فيه رمل كثير.

(٣) وعن أبى برزة رضى الله عنه قال: كان رسـول الله ﷺ يقول بأخرة[١] إذا أراد أن يقـوم من المجلس: «سُبْـحانَكَ الـلهمَّ وبحمْـدِكَ، أشهـدُ أنْ لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفـرُكَ وأتُوبُ إلَيكَ» فقال رجل: يارسول الله إنك لتقول قـولاً ما كنت تقول فيمـا مضى؟ قال: «ذَلِكَ كفارةٌ لما يَكُونُ فِى الْـمجلِس» رواه أبو داود والحاكم فى المستدرك.

وعن على رضى الله عنه قال: «مَنْ أحبَ أنْ يَكتَالَ بالمكيـال الأوفَى فليقلْ فِى آخرِ مجلسه أو حـينَ يقومُ: سبحانَ رَبِّكَ ربِ العـزة عمّا يَصِفُـونَ، وسلامٌ عَلَى المرسَلِينَ والحمدُ للّه ربِ العَالَمِين» رواه أبو نعيم فى الحلية.

* * *

---

(١) «كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة» بفتح الهمزة والخاء المعجمة: أى فى آخر الأمر

القسم الرابع

الأدعية المأثورة فى حالات مختلفة

أولاً: دعاء الاستخارة الشرعية:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال فى عاجل أمرى وآجله، فاصرفه عنى، واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به» قال: ويسمى حاجته، رواه البخارى.

ثانيًا: صلاة الحاجة:

عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بنى آدم، فليتوضأ وليحسن وضوءه، ثم ليصل ركعتين، ثم يثنى على الله تعالى، وليصل على النبى ﷺ وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك[1] وعزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم لاتدع لى ذنبًا إلا غفرته، ولاهمًا إلا فرجته ولاحاجة هى لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يقدر» أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه.

---

(١) «أسألك موجبات رحمتك» بكسر الجيم: أى أسبابها، «وعزائم مغفرتك» قال الطيبى: أى أعمالاً تتعزم وتتأكد بها مغفرتك.

ثالثًا: من أدعية السفر:

يقول المقيم للمسافر: «أستودع الله دينك، وأمانتك[1]، وخواتيم عملك، وأقرأ عليك السلام» رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمر.

ثم يوصيه فيقول: «عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف[2]، اللهم اطو له البعد، وهون عليه السفر» رواه الترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة.

ثم يدعو بقوله: «زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيثما كنت» أخرجه الترمذى والنسائى من حديث أنس.

ويقول المسافر للمقيم: «أستودعك الله الذى لاتضيع ودائعه» رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة.

ثم يدعو الله بقوله: «اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أسير، اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده. اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل. اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر[3] وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد. وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» رواه أحمد والبزار ومسلم وغيرهم من حديث على وابن عمر وعبد الله بن سرجس وغيرهم.

فإذا بدأ الركوب قال: «بسم الله»، فإذا استوى على مركبه قال: الحمد لله الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين[4]، وإنا إلى ربنا لمنقلبون» رواه أبو داود والترمذى من حديث على رضى الله عنه.

رابعًا: من أدعية الظواهر الكونية:

(١) إذا رأى المطر قال: «اللهم صيبًا[5] نافعًا» مرتين أو ثلاثًا، رواه ابن أبى شيبة من

---

(١) «وأمانتك» قال الخطابى: الأمانة هنا أهله، ومن يخلفه، وماله الذى عند أمينه، وذكر الدين هنا لأن السفر مظنة المشقة فربما كان سببًا لإهمال بعض أمور الدين.

(٢) «والتكبير على كل شرف» بالتحريك: أى على كل مكان عال.

(٣) «وعثاء السفر» بفتح الواو وسكون العين المهملة وبالمد: أى مشقته وشدته.

(٤) «وما كنا له مقرنين»: أى مطيقين.

(٥) «اللهم صيبًا» هو بتشديد الياء المثناة: أى منهمرًا متدفقًا.

حديث عائشة، فإذا كثر المطر أو خاف ضرره قال: «اللهم حوالينا ولاعلينا، اللهم على الآكام، والآجام[1] والظراب والأودية، ومنابت الشجر». رواه البخارى من حديث أنس.

(٢) إذا سمع الرعد والصواعق قال: «اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك» رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك من حديث عبد الله بن عمر.

(٣) إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، اللهم أهله علينا باليمن[2] والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربى وربك الله». «هلال خير ورشد». ثم يقول ثلاثًا: «اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر، وأعوذ بك من شره» رواه الدارمى والترمذى والطبرانى وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر وغيره.

خامسًا: من أدعية الزواج والأولاد:

(١) يقول لمن تزوج: «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير» رواه البخارى ومسلم والأربعة من حديث أنس وأبى هريرة.

(٢) إذا أُتىَ بمولود أذن فى أذنه حين ولادته. رواه أبو داود والنسائى.

(٣) تعويذ الأطفال: «أعيذك بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة[3] ومن كل عين لامة» رواه البخارى من حديث ابن عباس.

(٤) إذا أفصح الصبى فليعلمه لا إله إلا الله، وإذا أثغر[4] فليأمره بالصلاة. أخرجه ابن السنى من حديث عبد الله بن عمر.

---

(١) «اللهم على الآكام» الآكام جمع أكمة وهى الرابية. والآجام: الشجر الكثير الملتف. والظراب: الجبال الصغار.

(٢) «اللهم أهله علينا باليمن»: البركة.

(٣) «من كل شيطان وهامة» الهامة بتشديد الميم: هى كل ذى سم يقتل. واللامة بتشديد الميم: أى ذات لمم وهى التى تصيب بسوء ما نظرت إليه.

(٤) «وإذا أثغر»: أى سقطت رواضعه.

سادسًا: من أدعية المرئيات:

(١) إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات». وإذا رأى ما يكره قال: «الحمد لله على كل حال» رواه الحاكم وابن ماجه من حديث عائشة.

(٢) إذا رأى وجهه فى المرآة قال: «اللهم أنت حسنت خَلْقِي فحسن خُلُقِي وحرم وجهى على النار، الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله، وكرم صورة وجهى فأحسنها وجعلنى من المسلمين» رواه ابن حبان وابن مردويه والطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود وعائشة وأنس.

(٣) وإذا رأى باكورة ثمرة أو فاكهة قال: «اللهم بارك لنا فى ثمرنا، وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مدنا، اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره» ثم يعطيه أصغر من يكون عنده من الصبيان، رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة.

(٤) إذا رأى أخاه المسلم يضحك، قال: «أضحك الله سنك» رواه البخارى ومسلم من حديث سعيد بن أبى وقاص.

سابعًا: من أدعية السلام والتحية:

(١) إذا بُلِّغَ عن أحد سلامًا رده على المُبَلِّغ والمُسَلِّم معًا. أخرجه النسائى وابن القطان من حديث أنس فى سلام خديجة.

(٢) إذا قال له إنسان إنى أحبك قال: «أحبك الذى أحببتنى له» رواه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث أنس.

(٣) إذا قيل له: «كيف أصبحت؟» يقول: «أحمد الله إليك، أو يقول: بخير، أحمد الله» رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر وأنس.

(٤) إذا صنع إليه أحد معروفًا قال: «جزاك الله خيرًا» رواه الترمذى من حديث أسامة.

ثامنًا: من أدعية عوارض الحياة:

(١) إذا أصابه الكرب أو الهم أو الغم أو الحزن يقول: «لا إله إلا الله الكريم العظيم

سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين» «توكلت على الحى الذى لايموت»، «الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا»، «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت» «ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث» «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين»، «اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك، ماض فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور بصرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى» «لاحول ولا قوة إلا بالله» رواه النسائى وابن حبان من حديث على، والحاكم من حديث أبى هريرة وعبد الله بن مسعود والترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص، وأحمد والبزار من حديث بن مسعود.

(٢) إذا وقع له ما لا يختاره فليقل: «قدر الله وماشاء فعل، ولايقول: لو، فإن لو تفتح باب الشيطان» رواه النسائى من حديث أبى هريرة.

(٣) إن غلبه أمر فليقل: «حسبنا الله ونعم الوكيل» رواه أبو داود من حديث عوف ابن مالك.

(٤) إن أصابته مصيبة قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى منها خيراً» رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى سلمة.

(٥) إذا استصعب عليه شىء قال: «اللهم لاسهل إلا ماجعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن[1] إذا شئت سهلا» رواه ابن حبان من حديث أنس.

(٦) إذا غضب قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» رواه البخارى ومسلم من حديث سليمان بن صُرد.

(٧) إذا ابتلى بالدين قال: «اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك» رواه الترمذى والحاكم من حديث علىّ.

---

(١) الحزن بفتح الحاء : الصعب .

تاسعًا: من أدعية المرض والوفاة:

(١) إذا اشتكى وضع يده على موضع الألم من جسده ثم قال: «بسم الله، ثلاث مرات، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر، سبع مرات» رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص.

(٢) إذا عاد مريضًا قال: «اللهم أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لاشفاء إلا شفاؤك، شفاءً لايغادر سقمًا» ويمسح بيده عليه ويطيب خاطره. رواه البخاري من حديث عائشة.

(٣) وفي العزاء يسلم ويقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب[1]». رواه البخاري من حديث أسامة.

وكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ يعزيه في ابنه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فأعظم الله الأجر وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا، وأهلنا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنية، وعواريه المستودعة، نمتع بها إلى أجل معدود، ويقبضها لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنية، وعواريه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير: الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبت، فاصبر ولايحبط جزعك أجرك فتندم، واعلم أن الجزع لايرد شيئًا، ولايدفع حزنًا، وما هو نازل فكأنْ قد، والسلام» رواه الحاكم وابن مردويه.

(٤) وفي صلاة الجنازة يدعو للميت بقوله: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار» رواه مسلم من حديث عوف بن مالك.

---

(١) «ولتحتسب» : أي تحتسب ثواب ما نزل بك عند الله تعالى.

(٥) فى زيارة القبور يقول: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية، أنتم لنا فرط[١] ونحن لكم تبع، اللهم لاتحرمنا أجرهم، ولاتضلنا بعدهم» رواه مسلم والنسائى وابن ماجه وابن السنى.

عاشرًا: صلاة التسبيح:

أربع ركعات بتسليمة واحدة أو بتسليمتين، يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وسورة ثم يسبح قائمًا خمس عشرة مرة يقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ويسبح فى الركوع عشرًا، وفى الرفع عشرًا، وفى السجود عشرًا، وبين السجدتين عشرًا، وفى السجدة الثانية عشرًا، وفى الرفع منها قبل القيام أو التشهد عشرًا، فهى خمسة وسبعون تسبيحة، يفعل ذلك فى كل ركعة» الحديث، أخرجه أبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

* * *

---

(١) «أنتم لنا فرط» بفتحتين: أى متقدمون. قال ابن الأثير: يقال: فرط يفرط فهو فارط وفرط، إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والأرشية.

من أوراد الإخوان
بعد الورد القرآنى ورد المأثورات

١ - ورد الدعاء:

«أستغفر الله» مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» مائة مرة، «لاإله إلا الله» مائة مرة، الدعاء للدعوة والقائمين بها وللإخوان وللنفس والأهل بعد ذلك بما تيسر من الدعوات.

ويقرأ الورد صباحًا بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب أو العشاء أو قبل النوم مع الخشوع التام، وألا يقطع ورده بكلام دنيوى إلا للضرورة استكمالا للخشوع وتأدبًا فى الذكر.

٢ - ورد الرابطة:

يتلو الأخ الآية الكريمة فى تدبر كامل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

ثم يتلو الدعاء المأثور بعد ذلك:

«اللهم إن هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، فاغفر لى» ثم يستحضر صورة من يعرف من إخوانه فى ذهنه ويستشعر الصلة الروحية بينه وبين من لم يعرفه منهم، ثم يدعو لهم بمثل هذا الدعاء: «اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثق اللهم رابطتها، وأدم ودها، واهدها سبلها، واملأها بنورك الذى لايخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها على الشهادة فى سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير، اللهم

آمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» ووقت هذا الورد ساعة الغروب تمامًا من كل ليلة.

٣ ـ ورد المحاسبة:

وهو استعراض أعمال اليوم ساعة النوم فإن وجد الأخ خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليستغفر، وليسأل ربه، ثم يجدد التوبة وينام على أفضل العزائم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

* * *



الفهرس